الفصل الأول

الآثار والحضارة الإسلامية العباسية
فى القرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى

الحميمة ومبدأ الدعوة العباسية

بدأت الدعوة العباسية السرية فى أوائل القرن الثانى الهجري/ الثامن الميلادى من الحميمة، وذلك في عهد الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١ هـ/ ٧١٧ ـ ٧٢٠م)، ومنها وجه محمد بن على العباسى النقباء والدعاة إلى الولايات الإسلامية لبث الدعوة سرًا، وأوصاهم أن يتظاهروا بنشرها لآل البيت عامة تسكينًا للعلويين، ومنها انطلق إلى الكوفة، فقد أورد ابن خلكان عند ذكره ابن هبيرة "ثم وصل أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه الملقب بالسفاح وأخوه أبو جعفر عبد الله بن محمد الملقب بالمنصور من الحميمة، بضم الحاء المهملة، القرية التى كانت مسكن بنى العباس فى أطراف الشام من أرض البلقاء إلى الكوفة، وبها جماعة من أشياعهم ونوابهم ومن قام معهم بإقامة دولتهم وإزالة دولة بنى أمية التى أميرها إذ ذاك مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموى المعروف بالجعدى والمنبوز بالحمار آخر ملوكهم، فلما وصلوا إلى الكوفة بويع أبو العباس السفاح بها"،[1] فقد اتخذ العباسيون من بلدة الحميمة من أعمال عمان مركزًا لنشر الدعوة العباسية، والحميمة ذكرها ياقوت الحموى فى معجم البلدان بقوله "الحميمة: بلفظ تصغير الحمة، وقد مر تفسيرها: بلد من أرض الشراة من أعمال عمان فى أطراف الشام كان منزل بنى العباس".[2]

الكوفة وقيام الدولة العباسية

دعا الإمام محمد بن على بن عبد الله بن العباس الناس إلى ولاية آل البيت من العلويين والعباسيين، وكانت العلاقة بين البيت الهاشمى بشقيه العلوى والعباسى تقوم على الود والصفاء، خاصة فى وجه البيت الأموى الحاكم (٤١ ـ ١٣٢هـ/ ٦٦١ ـ ٧٥٠م) إلى أن انتقل حق الإمامة من العلويين إلى العباسيين بنزول أبى هاشم بن محمد بن الحنفية عن حقه فى الإمامة لمحمد بن على بن عبد الله بن العباس، فقد قال ابن خلكان عند ذكره ابن الحنفية هو "أبو القاسم محمد بن على بن أبى طالب، رضى الله عنه، المعروف بابن الحنفية، أمه الحنفية خولة بنت جعفر.. وانتقلت إمامته إلى ولده أبى هاشم عبد الله ومنه إلى محمد بن على والد السفاح والمنصور"،[٣] وفى موضع آخر أورد ابن خلكان "أن محمد بن الحنفية.. كانت الشيعة تعتقد إمامته بعد أخيه الحسين، رضى الله عنه، فلما توفى محمد بن الحنفية انتقل الأمر إلى ولده أبى هاشم.. وكانت الشيعة تتوالاه، فحضرته الوفاة بالشام فى سنة ثمان وتسعين للهجرة ولا عقب له، فأوصى إلى محمد بن على.. ودفع إليه كتبه وصرف الشيعة نحوه. ولما حضرت محمدًا المذكور الوفاة بالشام أوصى إلى ولده إبراهيم المعروف بالإمام"،[٤] وعلى ما يبدو فإن العباسيين كانوا فى أواخر القرن الأول الهجري/ السابع الميلادى، أكثر كفاية ونشاطًا فى الناحية السياسية من العلويين، وأكثر تطلعًا منهم إلى النفوذ والسلطان[٥].

وكان الأمويون قد اتخذوا من دمشق عاصمة وحاضرة لدولتهم (الدولة الأموية)، غير أن بلاد الشام لم تعد صالحة لأن تكون حاضرة للخلافة العباسية،

فقد رأى العباسيون أن مدينة دمشق كانت مقرًا للأمويين وأنصارهم منذ وليها معاوية بن أبى سفيان فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لقربها من حدود الدولة البيزنطية، ومن ناحية ثالثة لبعدها عن بلاد الفرس مصدر قوة العباسيين، فكان من المناسب إذًا أن يعدل العباسيون عن اتخاذ دمشق عاصمة وحاضرة لخلافتهم وأن يستبدلوا بها عاصمة وحاضرة جديدة على مقربة من بلاد الفرس[٦].

مال العباسيون إلى الفرس، وعملوا على التأثير فى عقول الناس عن طريق إعادة الأمر إلى آل محمد، صلى الله عليه وسلم، وإزالة سلطان بنى أمية المغتصبين هذا الأمر منهم وهو الخلافة، وقد اختار الأئمة من بنى العباس لنشر دعوتهم فى الكوفة وخراسان اللتين كانتا مهد التشيع من قديم، لأن الفرس الذين دخلوا فى الإسلام كانوا أقرب إلى غيرهم من التأثر بآراء الشيعة، لأنهم لا يفرقون بين الخلافة والملك، ومن ثم ناصروا العلويين، ووجدوا فى نشر الدعوة لآل محمد فرصة يتخلصون بها من نير الأمويين، ويستردون شيئًا مما كان لهم من نفوذ وسلطان، لذلك رأوا أنهم بمساعدتهم هذه الدولة الجديدة يصبحون أصحاب الكلمة المسموعة فيها، ومن ثم غدا هذا النزاع فى حقيقة الأمر نزاعًا بين العرب والفرس، بعد أن كان نزاعًا بين بنى أمية وبنى العباس[٧].

وجد الإمام محمد بن على بن عبد الله بن العباس أن كلًا من الكوفة[٨] وخراسان[٩] يصح أن يكون مركزًا لنشر الدعوة، لأن الكوفة مهد التشيع لآل البيت منذ بداية عصر الخلفاء الراشدين، ولأن أهل خراسان من جهة أكثر فهمًا لفكرة التشيع، ومن جهة أخرى يعتقدون فى نظرية[١٠] الحق الملكى المقدس التى كانت سائدة فى بلاد الفرس منذ أيام آل ساسان، ومن جهة ثالثة فقد عانى الفرس تحت نير الأمويين كما تقدم، وهو الأمر الذى عبر عنه المقدسى فى أحسن التقاسيم بقوله "ويقال أن محمد بن عبد الله قال لدعاته أما الكوفة وسوادها فشيعة على وأما البصرة[١١] فعثمانية تدين بالكف وأما الجزيرة[١٢] فحرورية[١٣] صادقة وأعراب كأعلاج[١٤] ومسلمون فى أخلاق النصارى وأما أهل الشام فلا يعرفون غير معاوية

وطاعة بنى أمية وعداوة راسخة وجهل متراكم وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهم أبو بكر وعمر ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل ولم يقدح فيها فساد وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة وبعد فانى أتفاءل إلى المشرق والى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق..."[١٥].

إعلان قيام الدولة العباسية

بدأ محمد بن على بن عبد الله بن العباس الدعوة فى سرية تامة فى أوائل القرن الثانى الهجري/ الثامن الميلادى من الحميمة بعمان فى أطراف الشام كما تقدم، ووجه منها الدعاة إلى كافة الولايات الإسلامية، وكتب إليهم دستورًا يسيرون عليه فى نشر الدعوة، على أن تكون "للرضا من آل محمد"، ويمكن تقسيم الدعوة إلى قسمين أحدهما يبدأ فى مستهل القرن الأول الهجري/ السابع الميلادى وينتهى بإنضمام أبى مسلم[١٦] الخراسانى الذى أجمع المؤرخون على أنه يتصف بالشجاعة والإقدام، وكانت الدعوة فى هذا الدور خالية من أساليب العنف والشدة، والآخر يبدأ بإنضمام أبى مسلم الخراسانى إلى الدعوة، وهنا يدخل النزاع بين الأمويين والعباسيين فى دور العمل الذى انتهى بزوال الدولة الأموية فى سنة ١٣٢ هـ/ ٧٥٠م[١٧].

توفى الإمام محمد بن على بن عبد الله بن العباس فى سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٢م، وكانت الدعوة العباسية قد قطعت شوطًا بعيدًا، وقد أوصى الإمام محمد بالإمامة من بعده لابنه إبراهيم، وقد اتصل أبو مسلم الخراسانى بالإمام إبراهيم، واضطلع بأعباء الدعوة العباسية فى خراسان، وقضى على سلطان الأمويين فيها، وإليه يرجع الفضل فى قيام الدولة العباسية، ففى سنة ١٢٨هـ/ ٨٤٥م تسلم أبو مسلم الخراسانى مقاليد الأمور فى خراسان، وقد ساعدت الاضطرابات التى انتشرت فى خراسان فى ذلك الوقت أبا مسلم على تحقيق سياسته والتى تمثلت على سبيل المثال

فى اشتعال نار العصبية بين المضرية واليمانية، وضعف قوة أمير البلاد، وخروج الخوارج فى اليمن وحضرموت، فاستطاع بدهائه أن يرابط بجنده سبعة أشهر فى ظاهر مدينة مرو[١٨] قاعدة خراسان، وأن يستميل اليمانيين إليه، ومن ثم تمكن فى نهاية الأمر من الاستيلاء على تلك البلاد، فقد ذكره ابن خلكان بقوله "القائم بالدعوة العباسية"[١٩].

ولى الإمام إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بعد القبض عليه من قبل الخليفة الأموى مروان بن محمد (١٢٧ ـ ١٣٢ هـ/ ٧٤٤ ـ ٧٥٠م) آخر الخلفاء الأمويين أخاه الإمام أبا العباس عبد الله بن محمد بن على، وأوصاه بمواصلة الدعوة والمسير إلى الكوفة، ولما قتل الإمام إبراهيم سار رسوله إلى الحميمة، وسلم وصيته إلى الإمام أبى العباس، فتوجه الإمام إلى الكوفة، وبصحبته كبار بنى هاشم من ولد العباس، وفيهم أخوه أبو جعفر المنصور، وابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد، وعمه عبد الله بن على، وفى يوم الجمعة أقام أبو العباس الخطبة فخطب على المنبر قائمًا، وكان الأمويون يخطبون قعودًا، قال الطبرى فى أحداث سنة "إثنتين وثلاثين ومائة" ما نصه "قال أبو جعفر: وفى هذه السنة بويع لأبى العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، ليلة الجمعة لثلاث عشرة مضت من شهر ربيع الآخر، كذلك حدثنى أحمد بن ثابت، عمن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبى معشر. وكذلك قال هشام بن محمد. وأما الواقدى فإنه قال: بويع لأبى العباس بالمدينة بالخلافة فى جمادى الأولى فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة. قال الواقدى: وقال لى أبو معشر: فى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وهو الثبت.. وذكر أن أبا العباس لما صعد المنبر حين بويع له بالخلافة، قام فى أعلاه، وصعد داود بن على فقام دونه، فتكلم أبو العباس.. يا أهل الكوفة، أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا. أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك، ولم يثنكم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم، حتى أدركتم زماننا، وأتاكم الله بدولتنا، فأنتم أسعد الناس بنا، وأكرمهم علينا، وقد زدتكم فى أعطياتكم مائة درهم، فاستعدوا، فأنا السفاح المبيح.."[٢٠]،

ومدينة الكوفة غدت ذات أهمية تاريخية منذ عهد الخليفة على بن أبى طالب، رضى الله عنه، فقد كانت المدينة المنورة عاصمة وحاضرة للدولة الإسلامية منذ أن هاجر الرسول، صلى الله عليه وسلم، إليها حتى ولى الخلافة الإمام على بن أبى طالب، رضى الله عنه، فتركها واتخذ الكوفة بعد موقعة الجمل عاصمة وحاضرة لخلافته، حيث كان بها شيعته وأنصاره، ثم لخصوبة أرضها وكثرة خيراتها، ووقوعها فى مكان متوسط سهل الاتصال بأجزاء الدولة الإسلامية، غير أن تركه المدينة هدم التوازن الذى كان بين القبائل العربية فى عهد الخلفاء من قبله، وقد تبين له بعد فوات الفرصة أن اعتماده على أهل الكوفة لم يكن إلا سرابًا، ومدينة الكوفة ذكرها المقدسى عند ذكره إقليم العراق بما نصه "الكوفة قصبة جليلة خفيفة حسنة البناء جليلة الأسواق كثيرة الخيرات جامعة رفقة مصرها سعد بن أبى وقاص أيام عمر.. وأول من نزلها من الصحابة على بن أبى طالب وتبعه عبد الله بن مسعود وأبو الدرداء.."[٢١].

أبو العباس (السفاح)[٢٢]

(١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٥٠-٧٥٤م)

يعد الخليفة أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الذى لقب بالسفاح أول خليفة عباسى جلس على عرش الدولة العباسية، قال الطبرى ".... ثم نزل أبو العباس وداود بن على أمامه، حتى دخل القصر، وأجلس أبا جعفر ليأخذ البيعة على الناس فى المسجد، فلم يزل يأخذها عليهم، حتى صلى بهم العصر، ثم صلى بهم المغرب، وجنهم الليل، فدخل"[٢٣].

مما تقدم يتضح أن مدينة الكوفة قد شهدت قيام الدولة العباسية فى سنة ١٣٢ هـ/ ٧٥٠م حين بايع الناس فيها أبا العباس السفاح، وقد تمت هذه البيعة فى دار الوليد بن سعد الأزدى بعد أن تم النصر للجيوش العباسية فى خراسان وفى العراق بعد هزيمة ابن هبيرة، ثم كان أن خرج الخليفة السفاح بعد الخطبة وإتمام البيعة من الكوفة فعسكر بحمام أعين[٢٤]، قال الطبرى "وكان أبو سلمة[٢٥] قد أنزل أبا العباس حين قدم الكوفة مع من قدم معه من أهل بيته فى دار الوليد بن سعد.. وخرج أبو العباس، فعسكر بحمام أعين فى عسكر أبى سلمة.. وحاجب أبى العباس يومئذ عبد الله بن بسام. واستخلف على الكوفة وأرضها عمه داود بن على، وبعث عمه عبد الله بن على إلى أبى عون بن يزيد، وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قحطبة، وهو يومئذ بواسط[٢٦] محاصر ابن هبيرة، وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن عباس إلى حميد بن قحطبة بالمدائن[٢٧]، وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام بالأهواز[٢٨]، وبعث سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن طريف، وأقام أبو العباس فى العسكر أشهراً ثم ارتحل، فنزل المدينة الهاشمية فى قصر الكوفة"[٢٩].

مدينة الهاشمية الأولى بقصر الكوفة

(قصر ابن هبيرة)

قصر الكوفة أو قصر ابن هبيرة ذكره ياقوت الحموى عند ذكره القصر فى موضعين بما نصه" القصر: لهذا اللفظ بهذا الوزن معانٍ.. والقصر المراد به ههنا: هو البناء المشيد العالى المشرف، مشتق من الحبس والمنع، ومنه قوله تعالى: حور مقصورات فى الخيام، أى محبوسات فى خيام من الدر مجوفات.. والقصر فى مواضع كثيرة إلا أنه فى الأعم الأكثر مضاف.. قصر الكوفة.. قصر ابن هبيرة: ينسب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، كان لما ولى العراق من قبل مروان بن محمد بن مروان بنى على فرات الكوفة مدينة فنزلها ولم يستتمها حتى كتب إليه مروان بن محمد يأمره بالاجتناب عن مجاورة أهل الكوفة فتركها وبنى قصره المعروف به بالقرب من جسر سورا، فلما ملك السفاح نزله.. وأما قصر ابن هبيرة فإنى أذكر فيه عدة حمامات وكثيراً من الناس...."[٣٠].

نزل الخليفة أبو العباس السفاح مدينة قصر ابن هبيرة بالكوفة واستتمها وسماها الهاشمية، غير أنه رفضها وتحول عنها لأنها لم تشتهر بين الناس باسم الهاشمية، وإنما ظلت تعرف بمدينة أو قصر ابن هبيرة، وفى ذلك أورد البلاذرى فى فتوح البلدان "حدثنى أبو مسعود وغيره، قالوا كان يزيد بن عمر بن هبيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات ونزلها ومنها شئ يسير لم يستتم فأتاه كتاب مروان يأمره باجتناب مجاورة أهل الكوفة فتركها وبنى القصر الذى يعرف بقصر ابن هبيرة بالقرب من جسر سورا، فلما ظهر أمير المؤمنين أبو العباس نزل تلك المدينة واستتم مقاصير فيها

وأحدث فيها بناء وسماها الهاشمية فكان الناس ينسبونها إلى ابن هبيرة على العادة، فقال: ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها، فرفضها..."[٣١].

ويرى طاهر مظفر العميد أن الخليفة أبا العباس السفاح كان قد أدرك انه من الصعب عليه أن يركن إلى أهل الكوفة بعد إعلان قيام الدولة العباسية ومبادئها فآثر أن يقيم بين جنده الخراسانيين فى معسكر حمام أعين لإدارة أمور الدولة، فقد خشى فى تلك الفترة من تعاظم الدعوة إلى العلويين، تلك الدعوة التى كانت تجد صدى بعيد الأثر وتأييداً كبيراً فى الكوفة وبعض الأقاليم والمدن الإسلامية الأخرى، فقد كانت الكوفة كما تقدم على لسان المقدسى ".. أما الكوفة وسوادها فشيعة على..."، ويضيف طاهر العميد أن أبا العباس السفاح أطلق اسم الهاشمية على المدينة التى شيدها ابن هبيرة بالكوفة على الفرات، وهو الأمر الذى تقدم ذكره، ثم تحول عنها لأنها لم تشتهر بين الناس باسم الهاشمية، وإنما ظلت تعرف باسمها القديم قصر ابن هبيرة[٣٢].

مدينة الهاشمية الثانية أو الجديدة

شيد الخليفة أبو العباس السفاح مدينة جديدة عرفت بالهاشمية أيضًا وذلك بجوار قصر ابن هبيرة، أو الهاشمية الأولى، وذلك لكون الهاشمية الأولى كما تقدم لم تشتهر بين الناس باسم الهاشمية، وإنما ظلت تعرف بقصر ابن هبيرة على عادتها الأولى، وذلك بعد أن رأى أن ذكر ابن هبيرة لن يسقط عنها، قال البلاذرى "فرفضها وبنى بحيا لها الهاشمية ونزلها"[٣٣].

وفى ذلك أورد ياقوت الحموى "فلما ملك السفاح نزله واستتم تسقيف مقاصير فيه وزاد فى بنائه وسماه الهاشمية، وكان الناس لا يقولون إلا قصر ابن هبيرة على العادة الأولى، فقال: ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنه، فرفضه وبنى حياله مدينة ونزلها أيضاً المنصور"[٣٤]، والهاشمية الأولى والثانية أو الجديدة ذكرهما ياقوت الحموى بقوله ".. والهاشمية أيضاً: مدينة بناها السفاح بالكوفة وذلك أنه لما ولى الخلافة نزل بقصر ابن هبيرة واستتم بناءه وجعله مدينة وسماها الهاشمية فكان الناس ينسبونها إلى ابن هبيرة على العادة، فقال: ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها، فرفضها وبنى حيالها مدينة سماها الهاشمية"[٣٥]. ويذكر طاهر العميد أن العباسيين قد حرصوا فى بداية العصر العباسى على تخليد البيت الهاشمى وتأكيد حب هذا البيت وطاعته من خلال إطلاق اسم الهاشمية على المراكز والمدن التى شيدت فى فجر الدولة العباسية[٣٦].

الخليفة أبو العباس السفاح وتجديد مدينة بالأنبار

أورد البلاذرى عند ذكره الهاشمية الأولى والثانية أن الخليفة السفاح ترك الهاشمية الأولى والثانية ونزل الأنبار فشيد بها مدينة، وأغلب الظن أنها عرفت أيضًا بالهاشمية، فقد ذكر ما نصه "فلما ظهر أمير المؤمنين أبو العباس نزل تلك المدينة واستتم مقاصير فيها وأحدث فيها بناء وسماها الهاشمية فكان الناس ينسبونها إلى ابن هبيرة على العادة، فقال: ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها، فرفضها وبنى بحيالها الهاشمية ونزلها، ثم اختار نزول الأنبار فبنى بها مدينته المعروفة فلما توفى دفن بها"(٣٧).

والأنبار ذكرها ياقوت الحموى بقوله "الأنبار: بفتح أوله:... والأنبار أيضًا: مدينة على الفرات فى غربى بغداد.. وكانت الفرس تسميها فيروز سابور.. وكان أول من عمرها سابور بن هرمز.. ثم جددها أبو العباس السفاح أول خلفاء بنى العباس وبنى بها قصورًا وأقام بها إلى أن مات، وقيل: إنما سميت الأنبار لأن بخت نصر لما حارب العرب الذين لا خلاق لهم حبس الأسراء فيها، وقال أبو القاسم: الأنبار حد بابل سميت به لأنه كان يجمع بها أنابير الحنطة والشعير والقت والتبن، وكانت الأكاسرة ترزق أصحابها منها، وكان يقال لها الأهراء، فلما دخلتها العرب عربتها فقالت الأنبار، وقال الأزهرى: الأنبار أهراء الطعام، واحدها نبر.."(٣٨).

وفى ذلك أورد ابن خلكان عند ذكره الحلاج الزاهد المشهور "وكان السفاح

وأخوه المنصور قد نزلا بالكوفة. ثم بنى السفاح بليدة عند الأنبار سماها الهاشمية، فانتقلا إليها، ثم انتقلا إلى الأنبار، وبها مات السفاح وقبره ظاهر بها"[٣٩]، وفى موضع آخر أورد ابن خلكان عند ذكره ربيعة الرأى "وكانت وفاته فى سنة ست وثلاثين، وقيل: سنة ثلاثين ومائة، بالهاشمية، وهى مدينة بناها السفاح بأرض الأنبار، وكان يسكنها، ثم انتقل إلى الأنبار رحمه الله تعالى"[٤٠].

مقتل الخليفة الأموى مروان بن محمد بقرية بوصير بمصر

بمقتل مروان بن محمد آخر خليفة أموى فى سنة ١٣٢ هـ/ ٧٥٠م انتقلت الخلافة من الأمويين إلى العباسيين، وكان قتله بقرية بوصير، قال ابن الأثير عند ذكره قتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم "وفى هذه السنة قتل مروان بن محمد، وكان قتله ببوصير، من أعمال مصر، لثلاث بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة"(٤١).

وقرية بوصير ذكرها ياقوت الحموى فقال "بوصير: بكسر الصاد، وياء ساكنة، وراء: اسم لأربع قرى بمصر، بوصير قوريدس، وقال الحسن بن إبراهيم بن زولاق: بها قتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الذى به انقرض ملك بنى أمية، وهو المعروف بالحمار، والجعدى قتل بها لسبع بقين من ذى الحجة سنة ١٣٢، وقال أبو عمر الكندى: قتل مروان ببوصير من كورة الأشمونين.."(٤٢).

وفى ذلك أورد ابن خلكان عند ذكره "أبو مسلم الخراسانى" ما نصه "وتجهزت العساكر الخراسانية وغيرها من جهة السفاح لقصد مروان بن محمد ومقدمها عبد الله بن على، عم السفاح، فتقدم مروان إلى الزاب، النهر الذى بين الموصل وإربل.. وانكسر عسكر مروان وهرب إلى الشام، فتبعه عبد الله بجيوشه، فهرب إلى مصر، فأقام عبد الله بدمشق وأرسل جيشًا وراء مروان.. فلما وصل إلى بوصير القرية التى عند الفيوم قتل بها.. واحتزوا رأسه وبعثوه إلى السفاح، فبعثه السفاح إلى أبى مسلم وأمره يطيف به فى بلاد خراسان.. فاستقل السفاح بالخلافة، وخلاله الوقت من منازع"(٤٣).

وذكر ابن دقماق فى الانتصار ما نصه "أبو صير قوريدس" هذه البلدة من المدن القديمة وهى فى رأس الجبل المنسوب إلى حاجر بنى سليمان وعبرتها ثلاثون ألف دينار.. وهى الآن جارية فى الديوان الشريف السلطانى وبها قتل مروان بن محمد الحمار آخر ملوك بنى أمية"(٤٤).

الزيادة فى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط فى سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م

شهدت سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م عمارة جامع عمرو بن العاص ٢١هـ/ ٦٤٢م بفسطاط مصر من قبل واليها صالح بن على، وفى ذلك أورد الكندى عند ذكره الدولة العباسية وصالح بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ما نصه "ثم وليها صالح بن على من قبل أمير المؤمنين أبى العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس فاستقبل صالح بولايته المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وبعث بوفد أهل مصر إلى أبى العباس ببيعة أهل مصر عليهم الوليد بن عبد العزيز بن المطلب وفيهم عيسى بن شافع بن السائب ومحمد بن معاوية بن بحير بن ريسان وعبد الأعلى بن سعيد ومعاوية بن الزبير بن عبد كلال وعبد العزيز بن ودعة الحميرى وحمد بن مشهور الأزدى.. وزاد صالح بن على فى مؤخر المسجد الجامع بالفسطاط أربعة أساطين"[٤٥].

ويعلق أحمد فكرى على هذه الزيادة بأن صالح بن على أضاف إلى المسجد أربعة أروقة (أربع بلاطات) فى مؤخره، مما زاد فى طول كل من الجدارين الشرقى والغربى أكثر من عشرين متراً[٤٦].

تأسيس مدينة العسكر بمصر ١٣٢هـ/ ٧٥٠م

أسست مدينة العسكر فى خلافة أبى العباس السفاح فقد أورد الكندى فى أحداث سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م "وورد كتاب أبى العباس أمير المؤمنين على صالح بن على بإمارته على فلسطين ويأمره بالاستخلاف على مصر واستخلف عليها أبا عون عبد الملك بن يزيد مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة"[٤٧].

ويحدثنا المقريزى عن موضع العسكر بقوله "اعلم أن موضع العسكر قد كان يعرف فى صدر الإسلام بالحمراء القصوى وقد تقدم أن الحمراء القصوى كانت خطة بنى الأزرق وبنى روبيل وبنى يشكر بن جزيلة ثم دثرت هذه الخطط بعد العمارة بتلك القبائل حتى صارت صحراء فلما قدم مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية إلى مصر منهزما من بنى العباس نزلت عساكر صالح بن على وأبى عون عبد الملك بن يزيد فى هذه الصحراء حيث جبل يشكر حتى ملؤا الفضاء"[٤٨].

ويذكر فريد شافعى أن الفسطاط كانت تضم منذ أول الأمر المنطقة التى شيدت عليها مدينة العسكر بعد الفتح العربى بأكثر من مائة سنة، وكانت تلك المنطقة تعرف فى العصر الأموى بالحمراء القصوى، وبها خطط القبائل التى تقدم ذكرها، وكان أكثر هذه القبائل من عرب الشام، وكانوا حمر الوجوه فسميت المنطقة لذلك بالحمراء القصوى، غير أن تلك المنطقة قد انحسر عنها العمران مع الوقت، وصارت صحراء، ثم أعيدت عمارتها ثانية بعد انتهاء العصر الأموى ومنذ بداية العصر العباسى، وعمرها عسكر العباسيين[٤٩].

ويحدثنا ابن دقماق عن المنشئ وتاريخ الإنشاء وسبب التسمية بما نصه

"(العسكر) انما سمى هذا الموضع بالعسكر لأن عسكر صالح بن على الهاشمى وأبى عون عبد الملك بن يزيد نزل هناك وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة فسمى المكان بالعسكر"(٥٠).

وفى ذلك أورد المقريزى فى خططه عند ذكره العسكر الذى بنى بظاهر مدينة فسطاط مصر "وأمر أبو عون أصحابه بالبناء فيه فبنوا وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة فلما خرج صالح بن على من مصر خرب أكثر ما بنى فيه إلى زمن موسى بن عيسى الهاشمى فابتنى فيه دارا أنزل فيها حشمه وعبيده وعمر الناس ثم ولى السرى بن الحكم فأذن للناس فى البناء فابتنوا فيه وصار مملوكا بأيديهم واتصل بناؤه ببناء الفسطاط وبنيت فيه دار الإمارة ومسجد جامع عرف بجامع العسكر ثم عرف بجامع ساحل الغلة وعملت الشرطة أيضا فى العسكر.. وسمى من حينئذ ذلك الفضاء بالعسكر وصار أمراء مصر إذا ولوا ينزلون به من بعد أبى عون فقال الناس من يومئذ كنا بالعسكر وخرجنا إلى العسكر وكتب من العسكر وصار مدينة ذات محال وأسواق ودور عظيمة"(٥١).

مما تقدم يتضح أن مدينة العسكر شيدت فى سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م فى الفضاء الواقع فى الجهة الشمالية الشرقية من الفسطاط، وهى تعد الحاضرة الثانية لمصر فى العصر الإسلامى بعد مدينة الفسطاط ٢١هـ/ ٦٤٢م، وقد شيد بها صالح بن على دار الإمارة وثكنات الجند، قال المقريزى "إلى أن قدم الأمير أبو العباس أحمد بن طولون من العراق أميرًا على مصر فنزل بالعسكر بدار الإمارة التى بناها صالح بن على بعد هزيمة مروان وقتله وكان لها باب إلى الجامع الذى بالعسكر وكان الأمراء ينزلون بهذه الدار إلى أن نزلها أحمد بن طولون ثم تحول منها إلى القطائع وجعلها أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون عند امارته على مصر ديوانا للخراج ثم فرقت حجرا حجرا بعد دخول محمد بن سليمان الكاتب إلى مصر وزوال دولة بنى طولون.."(٥٢).

ومما هو جدير بالذكر أن صالحا بن على لم يشيد مسجدًا جامعًا عند إنشاء مدينة

العسكر فى سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م، فقد كان جامع عمرو بن العاص بالفسطاط يقوم بوظيفة المسجد الجامع فى ذلك الوقت، ولم تكن هناك حاجة إلى تشييد مسجد جامع آخر، وفى سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م رأى الوالى العباسى الفضل بن صالح إقامة المسجد الجامع بالعسكر بسبب تزايد عمران العسكر، حيث حفلت بالدور والبساتين والأسواق حتى اتصلت بالفسطاط، فقام بتشييد جامع العسكر إلى جانب دار الإمارة، قال المقريزى عند ذكره جامع العسكر "هذا الجامع بظاهر مصر وهو حيث الفضاء الذى هو اليوم فيما بين جامع أحمد بن طولون وكوم الجارح بظاهر مدينة مصر وكان إلى جانب الشرطة والدار التى يسكنها أمراء مصر ومن هذه الدار إلى الجامع باب وكان يجمع فيه الجمعة وفيه منبر ومقصورة وهذا الجامع بناه الفضل بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس فى ولايته إمارة مصر ملاصقا لشرطة العسكر التى كان يقال لها الشرطة العليا فى سنة تسع وستين ومائة فكانوا يجمعون فيه.. ولم يزل الجامع بالعسكر إلى أن ولى عبد الله بن طاهر.. فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة ومائتين فزاد فى عمارته وكان الناس يصلون فيه الجمعة قبل بناء جامع أحمد بن طولون ولم يزل هذا الجامع إلى ما بعد الخمسمائة من سنى الهجرة.."[٥٣].

فنون صينية بمدينة كِس

أورد الطبرى فى أحداث سنة ١٣٤هـ/ ٧٥١م عدة فنون صينية وغير ذلك مما صنع فى الصين بمدينة كس التى تقارب سمرقند[٥٤] بما نصه "وفى هذه السنة غزا أبو داود خالد بن إبراهيم أهل كس فقتل الأخريد ملكها.. وأخذ أبو داود من الأخريد وأصحابه حين قتلهم من الأوانى الصينية المنقوشة المذهبة التى لم ير مثلها، ومن السروج الصينية ومتاع الصين كله من الديباج وغيره، ومن طرف الصين شيئاً كثيرًا، فحمله أبو داود أجمع إلى أبى مسلم وهو بسمرقند"[٥٥].

ومدينة كس ذكرها ياقوت الحموى بقوله "كِس: بكسر أوله، وتشديد ثانيه: مدينة تقارب سمرقند، قال البلاذرى: كس هى الصغد.. وقال ابن ماكولا: كسره العراقيون، وغيرهم يقوله بفتح الكاف، وربما صحفه بعضهم فقاله بالشين المعجمة وهو خطأ، ولما عبرت نهر جيحون وحضرت بخارى وسمرقند وجدت جميعهم يقولون كس، بكسر الكاف والسين المهملة"[٥٦].

ويمثل نص الطبرى أهمية كبيرة بالنسبة للفنون الصينية والإسلامية على حد سواء، فقد أبدع الصينيون بما لهم من حضارة عريقة فى فنونهم سواء من حيث أساليب الصناعة أو الزخرفة بحيث وصفت فى النص بأنها "لم ير مثلها" ومن ثم انتشرت هذه الفنون بما تتميز به من روعة وجمال فى خارج الصين، ويتضح من النص أن أبا داود خالد بن إبراهيم فى أثناء غزواته وفتوحاته أصابه الإبهار من روعة وجمال هذه الفنون الصينية فأعطاه لأبى مسلم بنفسه، فقد أورد النص "فحمله أبو داود أجمع إلى أبى مسلم"، ومن المرجح أن أبا مسلم حمله كله أو بعضًا منه إلى

الخليفة العباسى السفاح، وهو الأمر الذى يساعد على تفسير رقى الفنون الصينية من جهة، وتأثيرها فى الفنون الإسلامية خلال تلك الفترة المبكرة من تاريخ الحضارة الإسلامية من جهة أخرى.

بناء حائط سمرقند

ومن الأعمال المعمارية التى قام بها أبو مسلم الخراسانى خلال غزواته وفتوحاته فى الصغد[٥٧] وبخارى[٥٨] ومرو وسمرقند فيما يتعلق بالعمارة الدفاعية أو العسكرية بناء حائط سمرقند، فقد أورد الطبرى فى أحداث سنة ١٣٤ هـ/ ٧٥١م "وانصرف أبو مسلم إلى مرو بعد أن قتل فى أهل الصغد وأهل بخارى، وأمر ببناء حائط سمرقند، واستخلف زياد بن صالح على الصغد وأهل بخارى"[٥٩].

المنار

كما أورد الطبرى فى أحداث هذه السنة أيضًا "وفيها ضرب المنار من الكوفة إلى مكة والأميال"[٦٠].

وفاة السفاح

وقد أورد الطبرى فى أحداث سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٤م وفاة الخليفة العباسى السفاح بقوله "وفيها توفى أبو العباس أمير المؤمنين بالأنبار يوم الأحد، لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة.. وقال هشام بن محمد: توفى لاثنتى عشرة ليلة مضت من ذى الحجة.. وأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثى.. وصلى عليه عمه عيسى بن على، ودفنه بالأنبار العتيقة فى قصره.. وفى هذه السنة بويع لأبى جعفر المنصور بالخلافة، وذلك فى اليوم الذى توفى فيه أخوه أبو العباس، وأبو جعفر يومئذ بمكة، وكان الذى أخذ البيعة بالعراق لأبى جعفر بعد موت أبى العباس عيسى بن موسى"[٦١].

قال ابن الأثير "وكانت ولايته من لدن قتل مروان إلى أن توفى أربع سنين. ومن لدن بويع له بالخلافة إلى أن مات أربع سنين وثمانية أشهر، وقيل: وتسعة أشهر، منها ثمانية أشهر يقاتل مروان"[٦٢].

وكان خليفة أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٥٠-٧٥٤م) أول من جلس على عرش الدولة العباسية، وكان أبوه محمد أول من اضطلع بنشر الدعوة العباسية، وكان أول من خطب قائمًا، وكان بنو أمية يخطبون قعودًا، وقضى معظم عهده فى محاربة قواد العرب الذين ناصروا بنى أمية، وقضى على أعقاب الأمويين، حتى إنه لم يفلت منهم إلا عبد الرحمن الداخل، الذى أسس الدولة الأموية ببلاد الأندلس، وكذلك وجه السفاح همته إلى الفتك بمن والوه وساعدوه على تأسيس دولته، فقتل أبا سلمة الخلال، وهم بقتل أبى مسلم الخراسانى لولا أن عاجلته منيته، كما قتل ابن هبيرة أحد قواد مروان بن محمد آخر خليفة أموى، وكان السفاح جميلًا وسيمًا، وكريمًا حليمًا وقورًا، وعاقلًا كاملًا، كبير الحياء، حسن الأخلاق، ويحب مسامرة الرجال، ويشجع الأدب والغناء، ويجزل العطاء على الشعراء والمغنيين، فقد كان يطرب من وراء الستر"[٦٣].

أبو جعفر المنصور (١٣٦ ـ ١٥٨هـ/ ٧٥٤ ـ ٧٧٥م)

ولد أبو جعفر عبد الله بن محمد بن على العباسى سنة ١٠١هـ/ ٧٢٠م فى الحميمة، وأمه سلامة البربرية، وقد تربى وسط كبار الرجال من جلة بنى هاشم، وصحب أباه وجده فنشأ أديبًا فصيحًا، ملمًا بسير الملوك والأمراء، استعان به الخليفة السفاح فى التخلص من أبى سلمة الخلال لأنه كان يعمل على تحويل الخلافة إلى العلويين، فتم له ما أراد، وفى سنة ١٣٢ هـ/ ٧٥٠م ولى الخليفة السفاح أبا جعفر الجزيرة وأذربيجان وأرمينية، وفى سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٤م ولاه السفاح إمارة الحج، ثم توفى الخليفة السفاح، وكان قد عهد بالخلافة من بعده إلى أخيه أبى جعفر، ثم إلى عيسى بن موسى بن محمد بن على، وكتب بذلك العهد، وختم عليه بخاتمه، وشهد بذلك أهل بيته، وسلمه إلى عيسى بن موسى بن محمد[٦٤].

نزل الخليفة المنصور المدينة الهاشمية بالكوفة التى بناها الخليفة العباسى السفاح، وهى الهاشمية الثانية أو الجديدة التى تقدم ذكرها، فقد أورد البلاذرى "واستخلف أبو جعفر المنصور فنزل المدينة الهاشمية بالكوفة واستتم شيئًا كان بقى منها وزاد فيها بناء وهيأها على ما أراد، ثم تحول منها إلى بغداد"[٦٥]، وفى ذلك أورد ياقوت الحموى عند ذكره الهاشمية "واستخلف المنصور فنزلها أيضًا واستتم بناء كان بقى فيها وزاد فيها على ما أراد ثم تحول عنها فبنى مدينة بغداد"[٦٦].

مما تقدم يتضح أن الخليفة المنصور حكم العالم الإسلامى خلال الفترة من ١٣٦ ـ ١٤٩ هـ/ ٧٥٤ ـ ٧٦٦م من المدينة الهاشمية بالكوفة التى من المؤكد أنها شهدت اكتمال عمائرها الدينية والمدنية والدفاعية أو العسكرية خلال تلك الفترة من حكم

المنصور، حيث يمثل التاريخ الأخير الفراغ من عمارة مدينة بغداد، وهو الأمر الذى نلحظه جليًا فى نصى البلاذرى وياقوت الحموى، حيث أن المنصور رأى ضرورة بناء عاصمة وحاضرة جديدة للعالم الإسلامى، ومن ثم شرع فى تأسيس مدينة بغداد فى سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م، وفرغ من عمارتها فى سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م وذلك لأسباب عديدة سياسية وعسكرية ودينية واقتصادية وغير ذلك مما سيأتى ذكره عند ذكر مدينة بغداد فى أحداث سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م.

مصلى لأبى عون ببرقة[٦٧]

من الإشارات التاريخية المعمارية التى أوردها الكندى فى أحداث سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٧م عمارة مصلى لأبى عون ببرقة، قال الكندى "وتوفى أمير المؤمنين أبو العباس.. سنة ست وثلاثين ومائة واستخلف أبا جعفر.. فاستقبل بخلافته سنة سبع وثلاثين ومائة فأقر صالح بن على على صلاتها وخراجها وكتب صالح إلى أبى عون.. وبلغ أبو عون برقة فأقام بها أحد عشر شهرًا واتخذ بها مصلى وتركه"[٦٨].

عمارة بلدة مَلطَية من بلاد الروم

من الأعمال المعمارية التى قام بها الخليفة أبو جعفر المنصور فى أحداث سنة ١٣٩ هـ/ ٧٥٧م بناء بلدة ملطية ببلاد الروم وهى بلدة مشهورة على حدود الشام، فقد أورد الطبرى فى أحداث هذه السنة "تسع وثلاثين ومائة" ما نصه "فمن ذلك ما كان من إقامة صالح بن على والعباس بن محمد بملطية، حتى استتما بناء ملطية"[٦٩].

وملطية بلدة ذكرها ياقوت الحموى بقوله "ملطية: بفتح أوله وثانيه، وسكون الطاء، وتخفيف الياء، والعامة تقوله بتشديد الياء وكسر الطاء، هى من بناء الاسكندر وجامعها من بناء الصحابة: بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهى للمسلمين، قال خليفة بن خياط: فى سنة ١٤٠ وجه أبو جعفر المنصور عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس لبناء ملطية فأقام عليها سنة حتى بناها وأسكنها الناس"[٧٠].

عمارة المسجد الحرام فى سنة الخصب

ومن الأعمال المعمارية التى تعد من مآثر الخليفة المنصور عمارته فى المسجد الحرام بمكة المكرمة، فقد أورد الطبرى فى أحداث سنة "تسع وثلاثين ومائة" ما نصه "وفيها وسع أبو جعفر المسجد الحرام، وقيل إنها كانت سنة خصبة فسميت سنة الخصب"[٧١].

ويذكر أحمد رجب أن الخليفة المنصور وجه اهتماماً كبيرًا للمسجد الحرام، فزاد فى مساحته، وأصلح فى عمارته، ونقل عن الأزرقى أن أبا جعفر المنصور زاد فى المسجد الحرام من شقه الشامى "الشمالى" الذى يلى دار الندوة، ولم يزد فى أعلاه، ولا فى شقه الذى يلى الوادى، على أن التخطيط الداخلى للمسجد الحرام فى عهد الخليفة المنصور لم يتغير عما كان عليه فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م)، إذ أن أبا جعفر قد هدم كلا من الرواقين فى الجهة الشمالية والغربية، وهما من عمارة الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك، وشيد بدلاً منهما رواقين آخرين بعد توسيع حدود المسجد من هاتين الجهتين، كما شيد الخليفة المنصور مئذنة فى ركن المسجد الشمالى الغربى عرفت باسم مئذنة بنى سهم، ويرجح أحمد رجب أنها المئذنة التى وصفها ابن جبير[٧٢] للمسجد الحرام فى أواخر القرن السادس الهجري/ الثانى عشر الميلادى، على الرغم من اتساع الفترة الزمنية بين بناء المنصور لهذه المئذنة وحتى زيارة ابن جبير لها، ويستند فى ذلك إلى أن المصادر التاريخية لم تشر إلى أية عمارة أو مرمة لهذه المئذنة منذ عهد أبى جعفر المنصور وحتى زيارة ابن جبير لها، وعلى هذا الأساس فإنها المئذنة التى وصفها ابن جبير وترجع إلى عهد المنصور[٧٣].

عمارة مدينة المصيصة أو المصورة (١٤٠ -١٤١هـ/ ٧٥٨ -٧٥٩م)

تعد عمارة مدينة المصيصة أو المعمورة من المآثر المعمارية للخليفة المنصور، فقد بناها جبرئيل بن يحيي بأمر من الخليفة أبى جعفر المنصور، وهى مدينة تقع على شاطىء جيحان بين أنطاكية وبلاد الروم، وهى مشهورة من ثغور الشام، فقد أورد الطبرى فى أحداث سنة "إحدى وأربعين ومائة" ما نصه "وفى هذه السنة فرغ من بناء المصيصة على يدى جبرئيل بن يحيي الخراسانى"[٧٤].

وفى ذلك أورد ابن الأثير فى أحداث سنة "أربعين ومائة "ما نصه" وفيها أمر المنصور بعمارة مدينة المصيصة على يد جبرائيل بن يحيى، وكان سورها قد تشعث من الزلازل وأهلها قليل، فبنى السور وسماها المعمورة، وبنى بها مسجدًا جامعًا، وفرض فيها لألف رجل، وأسكنها كثيرًا من أهلها"[٧٥].

من النصين السابقين يتضح أن عمارة المصيصة ذكرت عند الطبرى فى أحداث سنة "إحدى وأربعين ومائة"، بينما ذكرت عند ابن الأثير فى أحداث سنة "أربعين ومائة"، وأغلب الظن أن أمر البناء كان فى سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٨م، وأن الفراغ من عمارتها كان فى سنة ١٤١هـ/ ٧٥٩م، وقد اشتملت عمارتها على عمارة دفاعية أو عسكرية شملت السور وغير ذلك من الوحدات والعناصر المعمارية الدفاعية، وعمارة دينية تمثلت فى المسجد الجامع وغير ذلك من منشآت معمارية دينية ومدنية، وذلك من منظور أنها تمثل أشهر ثغور الإسلام، وثغر المصيصة ذكره ياقوت الحموى فقال "المصيصة: بالفتح ثم الكسر، والتشديد، وياء ساكنة، وصاد أخرى، كذا ضبطه الأزهرى وغيره من اللغويين بتشديد الصاد الأولى هذا لفظه، وتفرد الجوهرى وخالد الفارابى بأن قالا المصيصة، بتخفيف الصادين، والأول أصح.. وهى مدينة على شاطى جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية[٧٦] وبلاد الروم تقارب طرسوس[٧٧].. وكانت من مشهور ثغور الإسلام قد رابط بها الصالحون قديمًا، وبها بساتين كثيرة يسقيها جيحان، وكانت ذات سور وخمسة أبواب، وهى مسماة فيما زعم أهل السير باسم الذى عمرها وهو مصيصة بن الروم.. قال المهلبى: ومن خصائص الثغر أنه كانت تعمل ببلد المصيصة الفراء تحمل إلى الآفاق"[٧٨]، ومن ثم ومن منظور هذه العمارة الدينية والدفاعية وغير ذلك أطلق عليها الخليفة المنصور اسم المعمورة.

فسقية المعافر وساقية أبى عون بمصر

ومن الإشارات التاريخية المعمارية التى أوردها الكندى فى أحداث سنة "أربع وأربعين ومائة" بناء فسقية المعافر من قبل يزيد بن حاتم وذلك بمصر، فقد أورد "ثم وليها يزيد بن حاتم المهلبى من قبل أمير المؤمنين أبى جعفر على صلاتها

وخراجها فقدمها يزيد يوم الإثنين للنصف من ذى القعدة سنة أربع وأربعين ومائة.. وشكت المعافر إلى يزيد بن حاتم بعد الماء عنهم فابتنى يزيد بن حاتم فسقية المعافر وأجرى إليها الماء من ساقية أبى عون وأنفق فيها مالاً عظيمًا فقال له أبو جعفر: لم أنفقت مالى على قومك؟ وورد كتاب أبى جعفر على يزيد بن حاتم يأمره بالتحول من العسكر إلى الفسطاط..."[٧٩].

مدينة بغداد ١٤٥-١٤٩هـ/ ٧٦٢-٧٦٦م

شهدت مدينة الكوفة كما تقدم قيام الدولة العباسية فى سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م بعد أن تم النصر للجيوش العباسية فى خراسان والعراق، ثم خرج الخليفة العباسى أبو العباس السفاح بعد الخطبة فعسكر بحمام أعين، حيث آثر أن يقيم بين جنده لإدارة شئون الدولة، ثم نزل الخليفة السفاح قصر ابن هبيرة بالكوفة واستتم عمائرها وأطلق عليها اسم الهاشمية، ثم تحول عنها لأنها لم تشتهر بين الناس بالاسم الذى أراده لها فشيد مدينة جديدة عرفت أيضاً بالهاشمية، وهى التى أشرنا إليها بالهاشمية الثانية أو الجديدة وذلك بمدينة الكوفة أيضاً، حيث أنها كانت مجاورة للهاشمية الأولى أو قصر ابن هبيرة، ثم تحول الخليفة السفاح منها إلى الأنبار وشيد بها مدينة جديدة، أغلب الظن أنها عرفت أيضاً بالهاشمية، وهى المدينة التى دفن بها عند وفاته فى سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٤م.

وقد نزل الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور مدينة الهاشمية الثانية أو الجديدة، واستتم عمائرها حتى أنها بلغت أوج ازدهارها فى عهده، وظل بها حتى تحول منها إلى بغداد، فقد أورد البلاذرى كما تقدم "واستخلف أبو جعفر المنصور فنزل المدينة الهاشمية بالكوفة واستتم شيئاً كان بقى منها وزاد فيها بناء وهيأها على ما أراد، ثم تحول منها إلى بغداد"(٨٠)

وفى ذلك أورد ياقوت الحموى عند ذكره الهاشمية "واستخلف المنصور فنزلها أيضاً واستتم بناء كان بقى فيها وزاد فيها على ما أراد ثم تحول عنها فبنى مدينة بغداد"(٨١).

أدرك الخليفة أبو جعفر المنصور أن الهاشمية الجديدة أو الثانية لا تصلح حاضرة وعاصمة لدولته لقربها من الكوفة مقر الشيعة ومركز دعايتهم من جهة، ولأنها كانت معسكر القبائل العربية من جهة أخرى، خاصة بعد ثورة الراوندية[٨٢] فتحول منها إلى بغداد، وتقع بغداد فى الجانب الغربى من دجلة إلى الجنوب من الكاظمية الحالية، وقد أورد البلاذرى عند ذكره "أمر مدينة السلام" ما نصه "قالوا: وكانت بغداد قديمة فمصرها أمير المؤمنين المنصور رحمه الله وابتنى بها مدينة وابتدأها فى سنة خمس وأربعين ومائة فلما بلغه خروج محمد وإبراهيم بنى عبد الله بن حسن بن حسن عاد إلى الكوفة"[٨٣].

ويحدثنا الطبرى فى أحداث سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م عن مدينة بغداد أو مدينة المنصور وتأسيسها فى هذه السنة ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م بقوله "وفى هذه السنة أسست مدينة بغداد، وهى التى تدعى مدينة المنصور"[٨٤].

كما يحدثنا عن سبب البناء الذى يتمثل فى ثورة الراوندية عليه فى الهاشمية من جهة، وقرب جواره من الكوفة من جهة أخرى، وذلك عند ذكره الخبر عن سبب بناء أبى جعفر إياها بقوله "وكان سبب ذلك أن أبا جعفر المنصور بنى - فيما ذكر - حين أفضى الأمر إليه الهاشمية، قبالة مدينة ابن هبيرة، بينهما عرض الطريق، وكانت مدينة ابن هبيرة التى بحيالها مدينة أبى جعفر الهاشمية إلى جانب الكوفة. وبنى المنصور أيضاً مدينة بظهر الكوفة سماها الرصافة، فلما ثارت الراوندية بأبى جعفر فى مدينته التى تسمى الهاشمية، وهى التى بحيال مدينة ابن هبيرة، كره سكناها لاضطراب من اضطرب أمره عليه من الراوندية، مع قرب جواره من الكوفة، ولم يأمن أهلها على نفسه، فأراد أن يبعد من جوارهم، فذكر أنه خرج بنفسه يرتاد لها موضعًا يتخذه مسكنًا لنفسه وجنده، ويبتنى به مدينة..."[٨٥].

ويذكر طاهر العميد أنه يتضح من الروايات التاريخية بصورة جلية أن الخليفة المنصور اهتم اهتماماً خاصاً باختيار الموقع الذى سيقيم عليه مدينته الجديدة المستديرة، فقد تفحصه تفحص خبير عارف، ودرسه دراسة مستفيضة عميقة، وأرسل الوفود إلى عدة مناطق، بل أنه لم يكتف بذلك وإنما تنقل بنفسه فى عدة

مناطق، ودعا بعض أصحاب تلك المناطق الذين يسكنون فيها، فشاورهم فى الأمر، فتكونت بذلك للمنصور فكرة واضحة، وهى أن هذه المنطقة هى أفضل منطقة لتشييد حاضرته، فقد أورد الطبرى على سبيل المثال "فذكر أنه خرج بنفسه يرتاد لها موضعاً يتخذه مسكنًا لنفسه وجنده، ويبتنى به مدينة، فبدأ فانحدر إلى جرجرايا[٨٦] ثم صار إلى بغداد، ثم مضى إلى الموصل[٨٧]، ثم عاد إلى بغداد، فقال: هذا موضع معسكر صالح، هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شئ، يأتينا فيها كل ما فى البحر، وتأتينا الميرة من الجزيرة وأرمينية[٨٨] وما حول ذلك، وهذا الفرات يجئ فيه كل شئ من الشأم والرقة[٨٩] وما حول ذلك. فنزل وضرب عسكره على الصراة[٩٠]، وخط المدينة، ووكل بكل ربع قائدًا[٩١].

وفى رواية أخرى أورد الطبرى "وذكر عمر بن شبة.. أفسد أهل الكوفة جند أمير المؤمنين المنصور عليه، فخرج نحو الجبل يرتاد منزلًا، والطريق يومئذ على المدائن، فخرجنا على ساباط[٩٢]، فتخلف بعض أصحابى لرمد أصابه، فأقام يعالج عينيه، فسأله الطبيب: اين يريد أمير المؤمنين؟ قال: يرتاد منزلًا، قال: فإنا نجد فى كتاب عندنا، أن رجلًا يدعى مقلاصًا، يبنى مدينة بين دجلة والصراة تدعى الزوراء.. قال سليمان: فإن أمير المؤمنين لبأطراف الجبال فى ارتياد منزل، إذ قدم على صاحبى فأخبرنى الخبر فأخبرت به أمير المؤمنين، فدعا الرجل فحدثه الحديث.. وقال: أنا والله ذاك.."[٩٣].وفى رواية أورد الطبرى "وذكر عن الهيثم بن عدى، عن ابن عياش، قال: لما أراد أبو جعفر الانتقال من الهاشمية بعث روادًا يرتادون له موضعًا ينزله واسطًا، رافقًا بالعامة والجند، فنعت له موضع قريب من بارما،[٩٤] وذكر له عنه غذاء طيب، فخرج إليه بنفسه حتى ينظر إليه، وبات فيه، وكرر نظره فيه، فرآه موضعًا طيبًا، فقال لجماعة من أصحابه.. ما رأيكم فى هذا الموضع؟ قالوا: ما رأينا مثله، هو طيب صالح موافق، قال: صدقتم، هو هكذا، ولكنه لا يحمل الجند والناس والجماعات، وإنما أريد موضعًا يرتفق الناس به ويوافقهم مع موافقته لى، ولا تغلو عليهم فيه الأسعار، ولا تشتد فيه المؤونة، فإنى إن أقمت فى موضع لا يجلب إليه من البر والبحر شئ غلت الأسعار، وقلت المادة، واشتدت المؤونة، وشق

ذلك على الناس، وقد مررت فى طريقى على موضع فيه مجتمعة هذه الخصال، فأنا نازل فيه، وبائت به، فإن اجتمع لى فيه ما أريد من طيب الليل والموافقة مع احتماله للجند والناس أبتنيه"[٩٥].

ويضيف الطبرى "قال الهيثم بن عدى: فخبرت انه أتى ناحية الجسر، فعبر فى موضع قصر السلام، ثم صلى العصر ـ وكان فى صيف، وكان فى موضع القصر بيعة قس ـ ثم بات ليلة حتى أصبح، فبات أطيب مبيت فى الأرض وأرفقه، وأقام يومه فلم ير إلا ما يحب، فقال: هذا موضع أبنى فيه، فإنه تأتيه المادة من الفرات ودجلة وجماعة من الأنهار، ولا يحمل الجند والعامة ألا مثله، فخطها وقدر بناءها، ووضع أول لبنة بيده، وقال: بسم الله والحمد لله، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. ثم قال: ابنوا على بركة الله"[٩٦].

وفى رواية أورد الطبرى "وذكر عن بشر بن ميمون.. أن المنصور لما رجع من ناحية الجبل، سأل عن خبر القائد الذى حدثه عن الطبيب الذى أخبره عما يجدون فى كتبهم من خبر مقلاص، ونزل الدير الذى هو حذاء قصره المعروف بالخلد، فدعا بصاحب الدير، وأحضر البطريق صاحب رحا البطريق[٩٧] وصاحب بغداد وصاحب المخرم[٩٨] وصاحب الدير المعروف ببستان القس وصاحب العتيقة[٩٩]، فسألهم عن مواضعهم، وكيف هى فى الحر والبرد والأمطار والوحول والبق والهوام؟ فأخبره كل واحد بما عنده من العلم، فوجه رجالًا من قبله، وأمر كل واحد منهم أن يبيت فى قرية منها، فبات كل رجل منهم فى قرية منها، وأتاه بخبرها. وشاور المنصور الذين أحضرهم، وتنحر أخبارهم، فاجتمع اختيارهم على صاحب بغداد، فأحضره وشاوره.. فازداد المنصور عزمًا على النزول فى الموضع الذى اختاره. وقال له: يا أمير المؤمنين، ومع هذا فإن الله قد من على أمير المؤمنين بكثرة جيوشه وقواده وجنده، فليس أحد من أعدائه يطمع فى الدنو منه، والتدبير فى المدن أن تتخذ لها الأسوار والخنادق، والحصون، ودجلة والفرات خنادق لمدينة أمير المؤمنين"[١٠٠].

مما تقدم يتضح أن الخليفة المنصور قد أدرك من الناحية السياسية موقع بغداد الاستراتيجي، حيث تقع فى وسط العراق، كما أدرك من الناحية العسكرية عقب ثورة الراوندية التى تقدم ذكرها ضرورة الانتقال إلى موضع حصين منيع بعد أن استعرض تحصينات الهاشمية ورأى بثاقب بصره أن هذه الاستحكامات الدفاعية أو العسكرية لا يمكن أن تحقق حفظ الأمن وسلامة الدولة فاختار موضع بغداد الذى امتاز بموقع عسكرى طبيعى، ومن الناحية الاقتصادية فإن موضع بغداد يعتبر مركزًا وسطًا بين الأقطار الإسلامية الشرقية والغربية، فهى تقع على الطرق التجارية من جهة، وتكاد تكون على مسافة متساوية بين البصرة والموصل، أو أنها تتوسط المناطق الشمالية والجنوبية من جهة أخرى، كذلك فإن موضع بغداد فى المنطقة الواقعة إلى غربى نهر دجلة، والمحصورة فى البقعة التى يقترب عندها النهران الكبيران دجلة والفرات يحقق الناحية الطبيعية والمناخية والصحية الجيدة، فهى منطقة سهلة زراعية منبسطة يمكن الوصول إليها براً وبحرًا، تحيطها من الغرب أراضى مستوية ترتفع قليلًا كلما اقتربت من وادى الفرات[١٠١].

أما فيما يتعلق بتاريخ الإنشاء فقد أورد البلاذرى كما تقدم "قالوا: وكانت بغداد قديمة فمصرها أمير المؤمنين المنصور رحمه الله وابتنى بها مدينة وابتدأها فى سنة خمس وأربعين ومائة"[١٠٢].

وقد أورد الطبرى كما تقدم فى أحداث سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م "وفى هذه السنة أسست مدينة بغداد، وهى التى تدعى مدينة المنصور"[١٠٣].

كما أورد الطبرى "وذكر عن إبراهيم بن عيسى أن حمادًا التركى، قال: بعث المنصور رجالًا فى سنة خمس وأربعين ومائة، يطلبون له موضعًا يبنى فيه مدينته، فطلبوا وارتادوا، فلم يرض موضعًا، حتى جاء فنزل الدير على الصراة، فقال: هذا موضع أرضاه، تأتيه الميرة من الفرات ودجلة، ومن هذه الصراة"[١٠٤].

وفى رواية أورد "وذكر عن السرى، عن سليمان بن مجالد، أن المنصور وجه فى حشر الصناع والفعلة من الشأم والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة،

فأحضروا، وأمر باختيار قوم من ذوى الفضل والعدالة والفقه والأمانة والمعرفة بالهندسة، فكان ممن أحضر لذلك الحجاج بن أرطأة وأبو حنيفة النعمان بن ثابت، وأمر بخط المدينة وحفر الأساسات، وضرب اللبن وطبخ الآجر، فبدئ بذلك، وكان أول ما ابتدئ به فى عملها سنة خمس وأربعين ومائة"[١٠٥].

وفى ذلك أورد ياقوت الحموى "فخط البناء وقدر المدينة ووضع أول لبنة بيده فقال: بسم الله والحمد لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، ثم قال: ابنوا على بركة الله.."[١٠٦].

ويحدد ياقوت الحموى البدء والفراغ من عمارة مدينة بغداد بقوله "كان أول من مصرها وجعلها مدينة المنصور بالله أبو جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ثانى الخلفاء، وانتقل إليها من الهاشمية، وهى مدينة كان قد اختطها أخوه أبو العباس السفاح قرب الكوفة وشرع فى عمارتها سنة ١٤٥ ونزلها سنة ١٤٩"[١٠٧].

وقد ورد تاريخ الفراغ من عمارة بغداد وهو سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م فى رواية للطبرى بما نصه "وذكر عن سليمان بن مجالد، أن المنصور أراد أبا حنيفة النعمان بن ثابت على القضاء، فامتنع من ذلك، فحلف المنصور أن يتولى له، وحلف أبو حنيفة ألا يفعل، فولاه القيام ببناء المدينة وضرب اللبن وعده، وأخذ الرجال بالعمل. قال: وإنما فعل المنصور ذلك ليخرج من يمينه، قال: وكان أبو حنيفة المتولى لذلك، حتى فرغ من استتمام بناء حائط المدينة مما يلى الخندق، وكان استتمامه فى سنة تسع وأربعين ومائة.. وكان أبو حنيفة أول من عد اللبن بالقصب.."[١٠٨].

مما تقدم يتضح أن الخليفة المنصور شرع فى عمارة مدينة بغداد فى سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م، وهذه السنة تمثل كما يذكر طاهر العميد[١٠٩] التاريخ الأقرب إلى الواقع، وفرغ الخليفة المنصور من عمارتها فى سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م، وهذه السنة أيضاً تمثل التاريخ الأقرب إلى الواقع، وقد أمدنا البلاذرى ببعض مراحل بناء مدينة بغداد بما نصه "وابتدأها فى سنة خمس وأربعين ومائة فلما بلغه خروج محمد وإبراهيم بنى عبد

الله بن حسن بن حسن عاد إلى الكوفة، ثم حول بيوت الأموال والخزائن والدواوين من الكوفة إلى بغداد سنة ست وأربعين ومائة وسماها مدينة السلام واستتم بناء حائط مدينته وجميع أمره وبناء سور بغداد القديم سنة سبع وأربعين ومائة وتوفى سنة ثمان وخمسين ومائة بمكة ودفن عند بئر ميمون الحضرمى حليف بنى أمية"(١١٠).

أما فيما يتعلق بوصف واسم بغداد عند اليعقوبى فقد ورد بما نصه "وإنما ابتدأت بالعراق لأنها وسط الدنيا، وسرة الأرض، وذكرت بغداد لأنها وسط العراق، والمدينة العظمى التى ليس لها نظير فى مشارق الأرض ومغاربها، سعةً وكبراً وعمارةً، وكثرة مياهٍ، وصحة هواءٍ، ولأنه سكنها من أصناف الناس، وأهل الأمصار والكور، وانتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية، وأثرها جميع أهل الآفاق على أوطانهم، فليس من أهل بلد إلا ولهم فيها محلة، ومتجر ومتصرف، فاجتمع بها ما ليس فى مدينة فى الدنيا. ثم يجرى فى حافتيها النهران الأعظمان، دجلة والفرات، فيأتيها التجارات والمير براً وبحرًا، بأيسر السعى، حتى تكامل بها كل متجر، يحمل من المشرق والمغرب، من أرض الإسلام، وغير أرض الإسلام، فإنه يحمل إليها من الهند، والسند، والصين، والتبت، والترك، والديلم، والخزر، والحبشة، وسائر البلدان، حتى يكون بها من تجارات البلدان أكثر مما فى تلك البلدان التى خرجت التجارات منها، ويكون مع ذلك أوجد وأمكن حتى كأنما سيقت إليها خيرات الأرض، وجمعت فيها ذخائر الدنيا، وتكاملت بها بركات العالم. وهى مع هذا مدينة بنى هاشم، ودار ملكهم، ومحل خلفائهم، لم يبتد بها أحد قبلهم، ولم يسكنها ملوك سواهم.. ثم هى وسط الدنيا، لأنها على ما أجمع عليه قول الحساب، وتضمنته كتب الأوائل من الحكماء فى الإقليم الرابع، وهو الإقليم الأوسط، الذى يعتدل فيه الهواء، فى جميع الأزمان والفصول، فيكون الحر بها شديدًا فى أيام القيظ، والبرد شديدًا فى أيام الشتاء ويعتدل الفصلان الخريف والربيع فى أوقاتهما.. فلذلك اعتدل الهواء، وطاب الثرى، وعذب الماء، وزكت الأشجار، وطابت الثمار، وأخصبت الزروع، وكثرت الخيرات.. حسنت أخلاق أهلها، ونضرت وجوههم، وانفتقت أذهانهم،

حتى فضلوا الناس، فى العلم، والفهم، والأدب، والنظر، والتمييز، والتجارات، والصناعات، والمكاسب، والحذق بكل مناظرةٍ، وأحكام كل مهنةٍ، واتقان كل صناعة.. ولم تكن بغداد مدينة فى الأيام المتقدمة ـ أعنى أيام الأكاسرة والأعاجم ـ وإنما كانت قرية من قرى طسوج بادوريا.. ولم يكن ببغداد إلا دير على موضع مصب الصراة إلى دجلة، الذى يقال له قرن الصراة، وهو الدير الذى يسمى الدير العتيق، قائم بحاله إلى هذا الوقت.. ولم تكن أيضاً بغداد فى أيام العرب، لما جاء الإسلام، لأن العرب اختطت البصرة، والكوفة.. واختطت العرب فى هاتين المدينتين خططهما. إلا أن القوم جميعاً قد انتقل وجوههم، وجلتهم، ومياسير تجارهم، إلى بغداد.. فلما أفضت الخلافة إلى بنى عم رسول الله، صلى الله عليه وآله، من ولد العباس بن عبد المطلب.. فضل العراق، وجلالتها، وسعتها، ووسطها للدنيا.."[١١١].

مما تقدم يتضح أن اسم بغداد الذى اشتهرت به المدينة لم يكن اسمًا جديدًا استحدث مع بنائها، أو ظهر فيما بعد، وإنما كان اسمًا قديمًا يرجع إلى الفترة التى سبقت الفتح الإسلامى للعراق، وقد أجمع المؤرخون على أن لفظة بغداد فارسية الأصل، وقيل أنها لفظة آرامية[١١٢].

وبغداد ذكرها المقدسى عند ذكره إقليم العراق بما نصه "بغداد.. وبها مدينة السلام، ولهم الخصائص والظرافة، والقرائح واللطافة، هواء رقيق، وعلم دقيق، كل جيد بها، وكل حسن فيها، وكل حاذق منها، وكل ظرف لها، وكل قلب إليها، وكل حرب عليها، وكل ذب عنها، هى أشهر من أن توصف وأحسن من أن تنعت وأعلى من أن تمدح أحدثها أبو العباس السفاح ثم بنى المنصور بها مدينة السلام وزاد فيها الخلفاء من بعده.."[١١٣].

كما ذكرها ياقوت الحموى بما نصه "أم الدنيا وسيدة البلاد، قال ابن الأنبارى: أصل بغداد للأعاجم، والعرب تختلف فى لفظها إذ لم يكن أصلها من كلامهم ولا اشتقاقها من لغاتهم، قال بعض الأعاجم: تفسيره بستان رجل، فباغ بستان وداد

اسم رجل، وبعضهم يقول: بغ اسم للصنم، فذكر انه أهدى إلى كسرى خصى من المشرق فأقطعه إياها، وكان الخصى من عباد الأصنام ببلده فقال: بغ داد أى الصنم أعطانى، وقيل: بغ هو البستان وداد أعطى، وكان كسرى قد وهب لهذا الخصى هذا البستان فقال: بغ داد فسميت به، وقال حمزة بن الحسن: بغداد اسم فارسى معرب عن باغ داذويه، لان بعض رقعة مدينة المنصور كان باغًا لرجل من الفرس اسمه داذويه، وبعضها أثر مدينة دارسة كان بعض ملوك الفرس اختطها فاعتل فقالوا: ما الذى يأمر الملك أن تسمى به هذه المدينة؟ فقال هلدوه وروز أى خلوها بسلام، فحكى ذلك للمنصور فقال: سميتها مدينة السلام، وفى بغداد سبع لغات: بغداد وبغدان، ويأبى أهل البصرة ولا يجيزون بغداذ فى آخره الذال المعجمة، وقالوا: لأنه ليس فى كلام العرب كلمة فيها دال بعدها ذال، قال أبو القاسم عبد الرحمن.. وهى فى اللغات كلها تذكر وتؤنث، وتسمى مدينة السلام أيضًا، فأما الزوراء[١١٤]: فمدينة المنصور خاصة، وسميت مدينة السلام لأن دجلة يقال لها وادى السلام، وقال موسى بن عبد الحميد النسائى: كنت جالسًا عند عبد العزيز بن أبى رواد فأتاه رجل فقال له: من أين أنت؟ فقال له: من بغداد، فقال: لا تقل بغداد فإن بغ صنم وداد أعطى، ولكن قل مدينة السلام، فإن الله هو السلام والمدن كلها له، وقيل: إن بغداد كانت قبل سوقًا يقصدها تجار أهل الصين بتجاراتهم فيربحون الربح الواسع، وكان اسم ملك الصين بغ فكانوا إذا انصرفوا إلى بلادهم قالوا: بغ داد أى أن هذا الربح الذى ربحناه من عطية الملك..."[١١٥].

وقد أورد الخطيب البغدادى "قال الشيخ أبو بكر: هكذا فى أصل كتابى عن ابن بشر أن بغداذ بالذال المعجمة فى الموضعين ثم ساق بقية الأبيات مثل ما تقدم. عن ابن سويد أخبرنا على بن أبى على.. قال يقال: بغدان، ومغدان، للمجانسة التى بين الباء والميم كما يقال: باسمك وما سمك، وعذاب لازم ولازب فى حروف كثيرة، وبعضهم يقول: بغداذ بالذال وهى أشد اللغات وأقلها قال أبو بكر: وأنشدنى أبى قال أنشدنا الطوسى وابن الحكم عن اللحيانى لاعرابى يمدح الكسائى:

ومالى صديق ناصح اغتدى له ببغداذ إلا أنت بر موافق

.. قال الشيخ أبو بكر: والمحفوظ أن هذا الاسم كان يعرف به الموضع قديما قبل أبى جعفر المنصور، وقول ابن أبى الأغر هذا: أن المنصور هو الذى سمى الموضع بغداذ لم يتابعه عليه أحد والله أعلم"[١١٦].

وعلى ما يبدو أن الاسم الجديد وهو "مدينة السلام" كما ورد فى رواية ياقوت الحموى التى تقدم ذكرها لم ينتشر انتشاراً واسعاً، إذ سرعان ما تحول الناس عنه إلى اسم بغداد، واقتصر استعمال مدينة السلام على الوثائق الرسمية التى تصدر من دار الخلافة وولاة الأقاليم وقواد الجيوش، واستعمل الاسم كذلك فى دار الضرب ببغداد، ومن المرجح أن المنصور آثر تسميتها بهذا الاسم لأنه ورد فى القرآن الكريم فى عدة مواضع بمعنى الجنة، وقد وردت لفظة "السلام" و"سلام" و"سلاماً" فى ثلاثة وأربعين موضعاً من القرآن الكريم، وقيل بأن بغداد سميت مدينة السلام لمقاربتها دجلة، وكانت دجلة تسمى قصر السلام، وقيل الزوراء[١١٧].

أما فيما يتعلق بمساحة بغداد وأبعادها فقد اختلف حولها المؤرخون، حيث أورد اليعقوبى ما نصه "وجعل للمدينة أربعة أبواب: بابًا سماه باب الكوفة، وبابًا سماه باب البصرة، وبابًا سماه باب خراسان، وبابًا سماه باب الشأم. وبين كل باب منها إلى الآخر خمسة آلاف ذراع، بالذراع السوداء، من خارج الخندق[١١٨]"، ونقل شريف يوسف[١١٩] عن كريزويل أن تقدير الذراع ٥١,٨٠سم، كما يعلق طاهر العميد على نص اليعقوبى بقوله أنه يتضح منها أن بين كل بابين خمسة آلاف ذراع، ولما كانت المسافة بين جميع الأبواب الأربعة متساوية فإن محيط المدينة المدورة يكون ٢٠٠٠٠ ذراعًا وهو طول السور الخارجى، أى حوالى (١٠.٠٠٠م)، وتكون مساحة المدينة المستديرة ٧.٩٤٥.٤٥٧م، أى أن مساحتها حوالى ثمانية كيلو مترات مربعة[١٢٠].

ويحدثنا البعقوبى عن المهندسين والصناع والفعلة بما نصه "ثم وجه فى إحضار المهندسين، وأهل المعرفة بالبناء، والعلم بالذرع والمساحة، وقسمة الأرضين، حتى اختط مدينته المعروفة بمدينة أبى جعفر. وأحضر البنائين، والفعلة، والصناع من

النجارين، والحدادين، والحفارين، فلما اجتمعوا وتكاملوا، أجرى عليهم الأرزاق، وأقام لهم الأجرة. وكتب إلى كل بلد فى حمل من فيه، ممن يفهم شيئاً من البناء، فحضره مائة ألف من أصناف المهن والصناعات، خبر بهذا جماعة من المشايخ، أن أبا جعفر المنصور لم يبتد البناء، حتى تكامل له من الفعلة، وأهل المهن مائة ألف. ثم اختطها فى شهر ربيع الأول .. وجعلها مدورة، ولا تعرف فى جميع أقطار الدنيا مدينة مدورة غيرها. ووضع أساس المدينة فى وقت اختاره نوبخت المنجم، وماشا الله بن سارية. وقبل وضع الأساس ما ضرب اللبن العظام، وكان فى اللبنة التامة المربعة، ذراع فى ذراع، وزنها مائتا رطل، واللبنة المنصفة طولها ذراع، وعرضها نصف ذراع، ووزنها مائة رطل، وحفرت الآبار للماء، وعملت القناة التى تأخذ من نهر كرخايا، وهو النهر الآخذ من الفرات، فاتقنت القناة، وأجريت إلى داخل المدينة للشرب، ولضرب اللبن، وبل الطين"(١٢٦).

ويضيف اليعقوبى "وكان الذين هندسوها عبد الله بن محرز، والحجاج بن يوسف، وعمران بن الوضاح، وشهاب بن كثير، بحضرة نوبخت، وإبراهيم بن محمد الفزارى، والطبرى المنجمين أصحاب الحساب. وقسم الأرباض أربعة أرباع، وقلد للقيام بكل ربع رجلاً من المهندسين، وأعطى أصحاب كل ربع مبلغ ما يصير لصاحب كل قطيعة من الذرع، ومبلغ ذرع ما لعمل الأسواق فى ربض ربض. فقلد الربع من باب الكوفة إلى باب البصرة وباب المحمول والكرخ وما اتصل بذلك كله المسيب بن زهير والربيع مولاه وعمران بن الوضاح المهندس. والربع من باب الكوفة إلى باب الشأم، وشارع طريق الأنبار إلى حد ربض حرب بن عبد الله سليمان بن مجالد وواضحا مولاه، وعبد الله بن محرز المهندس. والربع من باب الشأم إلى ربض حرب، وما اتصل بربض حرب وشارع باب الشأم، وما اتصل بذلك إلى الجسر على منتهى دجلة، حرب بن عبد الله وغزوان مولاه، والحجاج بن يوسف المهندس. ومن باب خراسان إلى الجسر الذى على دجلة ماداً فى الشارع على دجلة إلى البغيين، وباب قطربل هشام بن عمرو التغلبى، وعمارة بن حمزة، وشهاب بن كثير المهندس. ووقع إلى كل أصحاب ربع ما يصير لكل رجل من الذرع، ولمن معه

من أصحابه، وما قدره للحوانيت والأسواق فى كل ربض، وأمرهم أن يوسعوا فى الحوانيت، ليكون فى كل ربض سوق جامعة، تجمع التجارات، وأن يجعلوا فى كل ربض من السكك والدروب النافذة وغير النافذة، ما يعتدل بها المنازل. وأن يسموا كل درب باسم القائد النازل فيه، أو الرجل النبيه الذى ينزله، أو أهل البلد الذين يسكنونه. وحد لهم أن يجعلوا عرض الشوارع خمسين ذراعًا بالسوداء، والدروب ست عشرة ذراعًا. وأن يبتنوا فى جميع الأرض والأسواق والدروب من المساجد والحمامات ما يكتفى بها من فى كل ناحية ومحلة. وأمرهم جميعًا أن يجعلوا من قطائع القواد والجند ذرعًا معلوماً للتجار، يبنونه وينزلونه، ولسوقة الناس وأهل البلدان"[١٢٢].

وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن القادة والموالى والمهندسين كانوا يشرفون على الأرباض الأربعة بواقع ثلاثة على كل ربض منها، وأما المهندسون فهم عمران ابن الوضاح، وعبد الله بن محرز، والحجاج بن يوسف، وشهاب بن كثير، ويذكر طاهر العميد أنه إضافة إلى هؤلاء كان يشرف على البناء بعض المراقبين، وأغلب الظن أن المنصور اختار الحجاج بن أرطأة وأبى حنيفة النعمان ليشرفا على سير العمل كما تقدم فى رواية اليعقوبي[١٢٣].

كان الخليفة المنصور يتمتع بنظرة فاحصة وصائبة فى مجال التخطيط والعمارة، وعلى دراية كبيرة بالنواحى الهندسية والمعمارية، فقد أحب أن يتبين معالم تخطيط مدينته التى أسهم هو ومهندسوه فى وضع فكرتها وتصميمها، قال الطبرى "وذكر أن المنصور لما عزم على بنائها أحب أن ينظر إليها عيانا، فأمر أن يخط بالرماد، ثم أقبل يدخل من كل باب، ويمر فى فصلانها وطاقاتها ورحابها، وهى مخطوطة بالرماد، ودار عليهم ينظر إليهم وإلى ما خط من خنادقها، فلما فعل ذلك أمر أن يجعل على تلك الخطوط حب القطن، وينصب عليه النفط، فنظر إليها والنار تشتعل، ففهمها وعرف رسمها، وأمر أن يحفر ذلك على الرسم، ثم ابتدئ فى عملها"[١٢٤].

قام الخليفة أبو جعفر المنصور عقب ذلك وكما تقدم بوضع أول لبنة بيده وقال "بسم الله والحمد لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، ثم قال: ابنوا على بركة الله.."[١٢٥].

قول المنصور عن بغداد "لم يكن فى الإسلام مثلها"

يعد تخطيط مدينة بغداد على النحو الذى تقدم هو أروع ما وصل إليه فن تخطيط المدن فى العالم العربى الإسلامى، ويمثل قمة تطور هذا الفن، فقد أورد الطبرى فى أحداث سنة "ثمان وخمسين ومائة"، عند ذكر وفاة أبى جعفر المنصور ما نصه عن مدينة بغداد "وذكر عمر بن شبه .. لما حج المنصور فى السنة التى توفى فيها شيعه المهدى، فقال: يا بنى.. وبنيت لك مدينة لم يكن فى الإسلام مثلها"[١٢٦]، غير أن دراسة تخطيط البصرة والكوفة وواسط يكشف عن أن هذا الفن قد بدأ فى تخطيط وعمارة المدينة المنورة فى عصر الرسول، صلى الله عليه وسلم، ثم فى مدينتى البصرة والكوفة، ونضج عند إنشاء مدينة واسط التى تشبه إلى حد كبير سواء فى تخطيطها أو عمائرها مدينة بغداد، حيث ازدهر هذا الفن وبلغ قمته فى مدينة بغداد، ولعل أبرز ما يميز مدينة المنصور شكلها المستدير، فقد أتقن من خططها تدويرها، وجعلها بهيئة حلقات متتابعة تصغر كلما اقتربت من المركز، وتتسع كلما ابتعدت عنه، وقد أورد الخطيب البغدادى "وذكر وكيع فيما بلغنى عنه أن أبا جعفر بنى المدينة مدورة لأن المدورة لها معان سوى المربعة، وذلك أن المربعة إذا كان الملك فى وسطها كان بعضها أقرب إليه من بعض، والمدور من حيث قسم كان مستويا لا يزيد هذا على هذا ولا هذا على هذا، وبنى بها أربعة أبواب، وعمل عليها الخنادق وعمل لها سورين وفصيلين بين كل بابين فصيلان"،[١٢٧] حيث يشغل قصر الخليفة النقطة المركزية المحورية الرئيسية فيه كما هو الحال فى مدينة واسط، كما أنها تتميز من خلال تحصيناتها الدفاعية القوية والمتألفة من خندق وسورين هائلين أو من خندق وثلاثة أسوار، وهى التحصينات التى تشبه إلى حد كبير مثيلاتها فى مدينة واسط التى جاءت فى تحصيناتها الدفاعية من خندق وسورين، كذلك تتميز من خلال ترتيب

الأسواق على جانبى الشوارع الأربعة الرئيسية التى تربط قلب المدينة بجسور الخندق الأربعة التى يؤدى كل منها إلى أحد المداخل الأربعة فى سور المدينة الخارجى، كذلك جعل خطط الناس بين السور الأعظم والسور الفاصل بينها وبين القسم المركزى فى المدينة، والذى دعى بالرحبة العظمى، وقد جعلت الخطط ذات طابع هندسى أى تخترقها شوارع مستقيمة تؤدى إلى شوارع رئيسية أخرى تفصل بين الخطط والأسوار، وقد جاء تخطيط المدينة محكمًا سواء تتبعناه من الداخل إلى الخارج، أو من الخارج إلى الداخل، وتفصيل ذلك من الخارج أن بغداد تشتمل على خندق عميق يطوق المدينة، ويمد بالماء من نهر كرخايا وليس من دجلة مباشرة، وكان الغرض من حفر الخندق حول المدينة زيادة تحصينها، وهو الأمر الذى يحقق الهدف العسكرى الذى كان الخليفة المنصور يرمى إليه، ويمكن إجتياز الخندق من خلال أربعة جسور، أو أربع معابر، يؤدى كل منها إلى باب، حيث تشتمل المدينة على أربعة أبواب نفذت على خط محورى واحد، بحيث تقسم المدينة إلى أربعة أرباع كما هو الحال فى مدينة واسط، وأفردت جوانب هذه الشوارع بمنطقة الطاقات لحوانيت التجار، وقد اشتمل التخطيط على السور الأول الخارجى الذى يلى الخندق مباشرة، وتفصيل ذلك أن الداخل يجتاز القنطرة التى فوق الخندق، وعرضها حوالى ٤م، تؤدى إلى غرفة مستطيلة يغطيها قبو نصف برميلى ٢٠×٣٠ ذراعاً نفذت على هيئة برج بارز عن السور الخارجى، ومن هذه الحجرة ينعطف الداخل يساراً ليصل إلى رحبة مستطيلة ذات فناء مكشوف، وتشتمل على بابين جانبيين يفتحان على الفصيل الأول، وعلى محور الرحبة يوجد المدخل الرئيسى للمدينة، وكان يشتمل على باب حديدى منزلق، ويفتح هذا الباب على دهليز مغطى بقبو نصف برميلى ١٢ ×١٢ ذراعاً بارتفاع ٢٣ ذراعاً ويعلو الدهليز المقبى مجلس ١٢×١٢ ذراعاً تعلوه قبة ترتفع ٢٤ ذراعاً عن أرضية المجلس أو ٥٠ ذراعاً عن أرضية الرحبة، ويفتح الدهليز السابق المقبى على رحبة مكشوفة، يكتنفها بابان جانبيان يفتحان على غرفتين جانبيتين، يغطى كل منهما قبو نصف أسطوانى، ويؤديان إلى الفصيل الثانى،

وبعد الرحبة توجد الطاقات الكبيرة، وهى عبارة عن ٥٣ عقداً، تحمل بينها ٥٤ قبواً نصف أسطوانياً، وتكتنف الطاقات الكبرى من الجانبين غرف الحرس والجنود، وتتكون من ٥٤ غرفة فى الجهة اليمنى ومثلها فى الجهة اليسرى، وهى فى مجموعها (١٠٨) غرفة، منها (١٠٠) غرفة للجند، وثمانى غرف للضباط، وينتهى دهليز الطاقات الكبرى بباب يفتح على رحبة مربعة أيضاً، يكتنفها غرفتان، يغطى كل منها قبو نصف برميلى، وعلى محور الرحبة الرئيسى يتجه الداخل إلى الطاقات الصغرى، والسور الأول الخارجى يطل على الخندق، وتفصله عنه مسناة متينة محكمة مشيدة بالطابوق والنورة، ويبدو أنه لم يكن سواء فى ضخامته أو ارتفاعه مثل السور الأعظم، أو الثانى، أو الأوسط بمدينة بغداد، وأغلب الظن أن المداخل التى كانت تخترق هذا السور كانت ذات صفة حربية أو عسكرية على هيئة أبواب منكسرة، أو غير مباشرة، وهى أربعة أبواب وصفها الخطيب البغدادى بقوله "المدينة مدورة عليها سور مدور ... وللمدينة أربعة أبواب.. لكل باب منها بابان، باب دون باب، بينهما دهليز ورحبة يدخل إلى الفصيل الدائر بين السورين، فالأول باب الفصيل، والثانى باب المدينة، فإذا دخل الداخل من باب خراسان الأول عطف على يساره فى دهليز أزج[١٢٨] معقود بالآجر والجص، عرضه عشرون ذراعاً وطوله ثلاثون ذراعاً، المدخل إليه فى عرضه والمخرج منه من طوله يخرج إلى رحبة مادة إلى الباب الثانى، فى صدر هذه الرحبة فى طولها الباب الثانى وهو باب المدينة وعن يمينه وشماله فى جنبتى هذه الرحبة بابان [إلى الفصيلين] فالأيمن يؤدى إلى فصيل باب الشام، والأيسر يؤدى إلى فصيل باب البصرة، ثم يدور من باب البصرة إلى باب الكوفة، ويدور الذى انتهى إلى باب الشام إلى باب الكوفة، على نعت واحد وحكاية واحدة. والأبواب الأربعة على صورة واحدة، فى الأبواب والفصلان والرحاب والطاقات. ثم الباب الثانى وهو باب المدينة وعليه السور الكبير الذى وصفنا، فيدخل من الباب الكبير إلى دهليز أزج معقود بالآجر والجص طوله عشرون ذراعاً، وعرضه اثنى عشر ذراعاً، وكذلك سائر الأبواب الأربعة، وعلى كل أزج من

آزاج هذه الأبواب مجلس له درجة على السور يرتقى إليها منها، على هذا المجلس قبة عظيمة ذاهبة فى السماء سمكها خمسون ذراعاً مزخرفة، وعلى رأس كل قبة منها تمثال تديره الريح لا يشبه نظائره. وكانت هذه القبة مجلس المنصور إذا أحب النظر إل الماء وإلى من يقبل من ناحية خراسان. وقبة على باب الشام كانت مجلس المنصور إذا أحب النظر إلى الأرباض وما والاها. وقبة على باب البصرة كانت مجلسه إذا أحب النظر إلى الكرخ ومن أقبل من تلك الناحية. وقبة على باب الكوفة كانت مجلسه إذا أحب النظر إلى البساتين والضياع. وعلى كل باب من أبواب المدينة الأوائل والثوانى باب حديد عظيم جليل المقدار كل باب منها فردان"(١٢٩).

ويصف لنا اليعقوبى هذه الأبواب بقوله "ولا يغلق الباب الواحد منها ولا يفتحه إلا جماعة رجال، يدخل الفارس بالعلم، والرامح بالرمح الطويل، من غير أن يميل العلم، ولا يثنى الرمح"(١٣٠).

ويضيف اليعقوبى "وعلى كل باب من أبواب المدينة التى على السور الأعظم، قبة معقودة، عظيمة مذهبة، وحولها مجالس ومرتفقات.. يصعد إلى هذه القباب على عقود مبنية، بعضها بالجص والآجر، وبعضها باللبن العظام، قد عملت ازاجا بعضها أعلى من بعض، فداخل الأزاج للرابطة والحرس.. فإذا خرج الخارج من الطاقات، خرج إلى رحبة، ثم إلى دهليز عظيم أزج معقود بالآجر والجص، عليه بابا حديد، يخرج من الباب إلى الرحبة العظمى. وكذلك الطاقات الأربعة على مثال واحد"(١٣١).

ويفصل السور الأول عن السور الثانى الأعظم فصيل بعرض ٥٠م، خال من البناء لكى يتمكن الجيش من التحرك فى أثناء الحرب والهجوم على المدينة، قال الخطيب البغدادى "وأمر أن لا يسكن تحت السور الطويل الداخل أحد ولا يبنى منزلا"(١٣٢)، أما السور الثانى فهو السور الرئيسى، أو الأوسط، أو الأعظم، أو الكبير فى المدينة، شيد باللبن والطين، يبلغ ارتفاعه حوالى ٣٠م، بعرض يبلغ فى أساسه ٤٥م، ويتناقص هذا العرض كلما ارتفع السور إلى أن يصبح ١٢م، كان

يدعم هذا السور أبراج من الخارج على هيئة نصف دائرية يبلغ عددها ١١٣ برجاً تتوزع بين المداخل الأربعة بمعدل ٢٨ برجاً بين كل بابين فيما عدا المسافة بين بابى الكوفة والبصرة فيبلغ عددها ٢٩ برجاً، قال الخطيب البغدادىّ "قال محمد بن خلف. قالوا: وبنى المنصور مدينته وبنى بها أربعة أبواب، فإذا جاء أحد من الحجاز دخل من باب الكوفة، وإذا جاء من المغرب دخل من باب الشام، وإذا جاء أحد من الأهواز والبصرة وواسط واليمامة والبحرين دخل من باب البصرة، وإذا جاء الجائى من المشرق دخل من باب خراسان.. وجعل، يعنى المنصور. كل باب مقابلا للقصر وبنى على كل باب قبة، وجعل بين كل بابين ثمانية وعشرين برجاً، إلا بين باب البصرة وباب الكوفة فإنه يزيد واحداً"[١٣٣].

وتقع المداخل التى تخترق السور الأعظم على استقامة تلك التى تنفذ من السور الخارجى الأول، ويبلغ عرض الفصيل الثانى حوالى ١٥٠م، وهو الفصيل الذى يقع بين السور الأعظم والسور الداخلى، أو الثالث، وقد خصص لخطط من سكن المدينة من الناس، قال الخطيب البغدادى "وأمر أن يبنى فى الفصيل الثانى مع السور النازل لأنه أحصن للسور"[١٣٤]، وقد نسقت هذه الخطط بهيئة هندسية بديعة بحيث تخترقها شوارع رئيسية مستقيمة تؤدى من جهة إلى شارع رئيسى يفصل ما بين هذه الخطط والسور الثالث الداخلى، وإلى شارع آخر يعزلها من السور الأعظم من الجهة الثانية من جهة أخرى[١٣٥].

وقد كانت هذه الخطط غير قبائلية بل مهنية على غرار خطط مدينة واسط، وتخترق الشوارع الأربعة الرئيسية هذه الخطط على هيئة دهاليز مسقوفة على جانبيها حنايا جعلت حوانيت للتجار كما تقدم، وهى توصل ما بين مداخل السور الأعظم ومداخل السور الثالث، أما السور الثالث أو الداخلى فيفصل بين الخطط والرحبة العظمى أو المنطقة المركزية، وقد بنى باللبن والطين، ويبدو أنه لم يكن ضخماً أو مرتفعاً مثل السور الأعظم، وقد أورد اليعقوبى عن السكك والدروب التى تلى السور الثالث "وبين الطاقات إلى الطاقات السكك والدروب، تعرف بقواده

ومواليه، وبسكان كل سكة. فمن باب البصرة إلى باب الكوفة سكة الشعرط، وسكة الهيثم، وسكة المطبق، وفيها الحبس الأعظم الذى يسمى المطبق، وثيق البناء، محكم السور، وسكة النساء، وسكة سرجس، وسكة الحسين، وسكة عطية، وسكة مجاشع، وسكة العباس، وسكة غزوان، وسكة أبى حنيفة، والسكة الضيقة"(١٣٦).

وأورد اليعقوبى "ومن باب البصرة إلى باب خراسان سكة الحرس، وسكة النعيمية، وسكة سليمان، وسكة الربيع، وسكة مهلهل، وسكة شيخ بن عميرة، وسكة المروروذية، وسكة واضح، وسكة السقائين، وسكة ابن بريهة بن عيسى بن المنصور، وسكة أبى أحمد، والدرب الضيق"(١٣٧).

كما أورد "ومن باب الكوفة إلى باب الشأم سكة العكى وسكة أبى قرة، وسكة عبدوية، وسكة السميدع، وسكة العلاء، وسكة نافع، وسكة أسلم، وسكة المنارة.

ومن باب الشأم إلى باب خراسان سكة المؤذنين، وسكة دارم، وسكة اسرايل، وسكة تعرف فى هذا الوقت بالقواريرى.. وسكة الحكم بن يوسف، وسكة سماعة، وسكة صاعد مولى أبى جعفر، وسكة تعرف اليوم بالزيادى.. وسكة غزوان. هذه السكك بين الطاقات والطاقات داخل المدينة وداخل السور، وفى كل سكة من هذه السكك جلة. القواد الموثوق بهم فى النزول معه، وجلة مواليه، ومن يحتاج إليه فى الأمر المهم، وعلى كل سكة من طرفيها الأبواب الوثيقة، ولا تتصل سكة منها بسور الرحبة التى فيها دار الخلافة، لأن حوالى سور الرحبة كما تدور الطريق"(١٣٨).

أما فيما يتعلق بالرحبة العظمى أو المنطقة المركزية فقد اشتملت على القصر، والمسجد الجامع، ودواوين الدولة، ودار صاحب الشرطة، وسقيفة كبيرة ممتدة على أعمدة مبنية بالآجر والجص يقيم فيها صاحب الحرس، فقد أورد اليعقوبى "وفى وسط الرحبة القصر الذى سمى بابه باب الذهب، وإلى جنب القصر المسجد الجامع، ليس حول القصر بناء، ولا دار، ولا مسكن لأحد، إلا دار من ناحية باب الشأم للحرس، وسقيفة كبيرة ممتدة على عمد مبنية بالآجر والجص، يجلس فى إحداهما صاحب الشرطة، وفى الأخرى صاحب الحرس، وهى اليوم يصلى فيها

الناس. وحول الرحبة كما تدور منازل أولاد المنصور الأصاغر، ومن يقرب من خدمته من عبيده، وبيت المال، وخزانة السلاح، وديوان الرسائل، وديوان الخراج، وديوان الخاتم، وديوان الجند، وديوان الحوائج، وديوان الأحشام، ومطبخ العامة، وديوان النفقات"[١٣٩].

وقد أورد الخطيب البغدادى "وكان فى صدر قصر المنصور: إيوان طوله ثلاثون ذراعاً، وعرضه عشرون ذراعاً، وفى صدر الإيوان مجلس عشرون ذراعًا فى عشرين ذراعًا، وسمكه عشرون ذراعاً، وسقفه قبة وعليه مجلس مثله فوق القبة الخضراء، وسمكه إلى أول حد عقد القبة عشرون ذراعًا، فصار من الأرض إلى رأس القبة الخضراء ثمانين ذراعاً، وعلى رأس القبة تمثال فرس عليه فارس. وكانت القبة الخضراء ترى من أطراف بغداد.. وكانت هذه القبة تاج بغداد وعلم البلد ومأثرة من مآثر بنى العباس عظيمة، بنيت أول ملكهم وبقيت إلى هذا الوقت [إلى آخر أمر الواثق] فكان بين بنائها وسقوطها مائة ونيف وثمانون سنة"[١٤٠].

ويذكر طاهر مظفر[١٤١] العميد عند ذكره القصور العباسية فى بغداد أن قصر المنصور، أو قصر باب الذهب، أو كما تقدم قصر الذهب، أو قصر القبة الخضراء كان مربع الشكل يبلغ طول ضلعه ٤٠٠ ذراع، أى ما يعادل ٢٢٤م، أو ٢٠٠م تقريباً كما يذكر عيسى[١٤٢] سلمان حميد عند ذكره تخطيط المدن، فتكون مساحته فى رأى طاهر العميد مقاربة لخمسين ألف متر مربع، وكان فى صدر هذا القصر كما تقدم إيوان طوله (٣٠ ذراعاً) وعرضه (٢٠ ذراعاً) وسقفه قبة عليه مجلس مثله فوقه تقوم القبة الخضراء، ويبلغ ارتفاع القبة عن الأرض (٨٠ ذراعاً)، والراجح أن هذا الإيوان كان على هيئة قاعة كبيرة ذات قبو فى صدره سماها الخطيب البغدادى (مجلس) على شكل مربع يبلغ طول ضلعه (٢٠ ذراعاً)، وتعلوها قاعة أخرى بنفس الأبعاد تعلوها القبة الخضراء التى كانت بمثابة التاج أو العلم على المدينة من جهة، ومأثرة من مآثر بنى العباس من جهة أخرى، ويعلو القبة تمثال لفارس يحمل رمحاً ويدور مع الريح، وهو الأسلوب الذى اقتبس من قصر الحجاج بن يوسف بمدينة واسط[١٤٣].

كان قصر المنصور بمثابة البلاط الرسمى للخليفة، حيث ينظر الخليفة فى أحد قاعاته فى أمور الدولة، وبقى القصر قصراً للخلفاء، الذين أعقبوا المنصور، المهدى (١٥٩ – ١٦٩هـ/ ٧٧٥ – ٧٨٥م)، والهادى (١٦٩ – ١٧٠هـ/ ٧٨٥ – ٧٨٦م)، إلا أن هارون الرشيد فضل الإقامة فى قصر الخلد الذى شيد خارج مدينة بغداد فى سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٤م بأمر من الخليفة المنصور، وحينما آلت الخلافة إلى الأمين (١٩٣ – ١٩٨هـ/ ٨٠٩ – ٨١٣م) تحول من قصر الخلد إلى قصر المنصور فعاد القصر مركزاً للخلافة، وأضاف إليه الأمين ميداناً، وقد تأثر القصر عندما هاجمت جيوش طاهر بن الحسين قائد المأمون المدينة المدورة، وبقيت القبة الخضراء قائمة على جدرانها حتى سقطت قمتها فى سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م بفعل مطر عظيم ورعد هائل، ثم سقطت القبة فى سنة ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م بسبب الفيضان الذى حدث فى بغداد[١٤٤].

مسجد بغداد الجامع

ذكره اليعقوبى فقال "وفى وسط الرحبة القصر الذى سمى بابه باب الذهب، وإلى جنب القصر المسجد الجامع"[١٤٥].

ويعد مسجد المنصور أول مسجد شيد فى بغداد، وجعل ملتصقاً بالقصر من الجهة الشمالية الشرقية، وقد ترتب على تشييد المسجد بعد الفراغ من عمارة القصر إلى وجود انحراف فى المسجد بمقدار (٣٤) درجة عن خط القبلة شأنه فى ذلك شأن المسجد الجامع بمدينة واسط، وقد شيد باللبن والطين، واندثرت معالمه مثلما اندثرت آثار ومخلفات مدينة بغداد الأثرية، غير أنه أمكن الاستدلال على مخططه من خلال ما ورد عنه من إشارات عابرة فى المصادر التاريخية وكتب الجغرافيين والرحالة المسلمين من جهة، وكتابات بعض علماء الآثار الإسلامية من جهة أخرى، وتفصيل ذلك أن الخليفة المنصور بدأ تأسيسه كما تقدم فى سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م وفرغ منه فى سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م، وكان مربع الشكل يبلغ طول ضلعه (٢٠٠ ذراع) أو (٢٠٠م) تقريباً على غرار تخطيط مسجد الحجاج بن يوسف الثقفى بمدينة واسط؛ ومادة البناء من اللبن والطين وهى المادة التى شيدت بها أغلب منشآت مدينة المنصور سواء المدنية أو الدفاعية (العسكرية) كما تقدم، أما أعمدته فقد كانت من الخشب تتألف من قطعتين[١٤٦].

وقد تناول أحمد فكري[١٤٧] تخطيط المسجد فى عهد الخليفة المنصور أى عند تأسيسه فذكر أنه كان يشغل مربعاً طول كل ضلع من أضلاعه مائتى ذراع، أى ما يقرب من مائة متر، وقد قسم هذا المربع إلى صحن أوسط مكشوف يشغل مساحة

مستطيلة وأربع ظلات تحيط بالصحن من الجوانب الأربعة، وتعد ظلة القبلة أكبر هذه الظلات وأعمقها فهى تشغل ثلث مساحة المسجد كله، وتتكون من خمس بلاطات تفصلها خمس بائكات صفت فى كل منها ستة عشر عموداً من الخشب، وتمتد البائكات من الشرق إلى الغرب فى موازاة جدار القبلة كما هو الحال فى ظلة القبلة بالجامع الأموى بدمشق ٨٦ – ٩٦هـ/ ٧٠٥ – ٧١٥م الذى يعد من روائع العمارة الإسلامية فى العصر الأموى، وكانت ظلة القبلة تشرف على الصحن من خلال بائكة تتكون من ثلاثة عشر عقداً، وكانت تحيط بالصحن من الجوانب الأخرى ظلات، وتشتمل كل ظلة على بلاطتين، بحيث تشرف الظلة المقابلة لظلة القبلة على الصحن من خلال بائكة تتكون من ثلاثة عشر عقداً تمتد من الشرق إلى الغرب فى موازاة جدار القبلة وعلى غرار عقود ظلة القبلة، أما الظلتان الشرقية والغربية فتمتد عقودهما عمودية على اتجاه جدار القبلة، أى من الشمال إلى الجنوب وبالتحديد فهى عمودية على البائكة الخامسة التى تشرف من خلالها ظلة القبلة على الصحن، وتشرف كل ظلة على الصحن من خلال بائكة تتكون من عشرة عقود.

وقد وردت منارة أو مئذنة المسجد فى وصف الخطيب البغدادى، غير أنه لم يرد فى هذا الوصف ما يوضح تكوينها المعمارى وموقعها الذى كانت تشغله من عمارة المسجد، ويرجح طاهر العميد أنها كانت على مقربة من أساطين ظلة القبلة[١٤٨].

ظل المسجد مستخدماً للصلاة حتى بعد سقوط بغداد فى سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨ م، وتفصيل ذلك أن الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣هـ/ ٧٨٦ – ٨٠٩م) قام بتجديده وإعادة بنائه فى سنة ١٩٢هـ/ ٨٠٨م وفرغ من عمارته فى سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٩م، واستخدم فى تشييده الطابوق والجص، وقد تمت هذه العمارة على نفس مخطط المسجد الأول وبنفس الأبعاد، وسجلت هذه الأعمال المعمارية على لوحة كتابية تضمنت اسم الرشيد، واسم البناء، والنجار وتاريخ ذلك، وقد ظلت هذه الكتابات حتى منتصف القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، ويرجح طاهر العميد أن الخليفة هارون صنع منبراً للمسجد غير المنبر القديم اعتماداً على رواية الخطيب البغدادي[١٤٩].

ويذكر شريف يوسف[١٥٠] أن الخليفة المعتمد فى سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م أضاف إلى الجامع ديوان المنصور المعروف بـ"دار القطان" لغرض توسيعه، ومن هذه الدار كان يدخل الخليفة المنصور إلى الجامع، وكان الباب الذى يدخل منه الخليفة يسمى (المشبك).

وقد ضاق المسجد بالمصلين فقام الخليفة العباسى المعتضد بالله (٢٧٩ – ٢٨٩ هـ/ ٨٩٢ – ٩٠٢م) بزيادته فى سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م كما يذكر أحمد فكرى فأضاف إلى ظلة القبلة من جهة القبلة ظلة أخرى تعادل الظلة الأولى أو القديمة حجماً من خمس أو ست بلاطات تمتد فى موازاة جدار القبلة الجديدة، أى تمتد من الشرق إلى الغرب، وامتدت البلاطات التى تتكون من سبع عشرة بلاطة عمودية إليها فاجتازتها إلى جدار القبلة الجديد الذى تقدم ذكره، وجعل المعتضد بالله للمسجد صحنا ثانياً فى امتداد الصحن الأول أو العتيق، فى مؤخرة المسجد، ويضيف أحمد فكرى أنه وضع رسمان افتراضيان متعارضان لمسجد المعتضد بالله، الرسم الأول وضعه هرتز فلد، والرسم الثانى وضعه كريزويل، أما الرسم الذى نشره أحمد فكرى فيتفق مع رسم هرتز فلد فهو يستند إلى أنه كان من المتبع فى زيادات المساجد الجامعة أن يهدم جدار القبلة وتضاف بلاطات جديدة إلى ظلة القبلة الأولى من جهة القبلة[١٥١].

وفى هذا الصدد ذكر عيسى[١٥٢] سلمان حميد عند ذكره مسجد مدينة المنصور الجامع أيام الخليفة المعتضد أن المعتضد أمر فى عام ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م بتوسيعه بإضافة جزء من القصر إليه، وذكر طاهر[١٥٣] العميد أن المرحلة الثالثة من مراحل المسجد تبدأ بعد عودة العاصمة من سامراء إلى بغداد سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م فى عهد الخليفة المعتمد (٢٥٦ – ٢٧٩هـ/ ٨٧٠ – ٨٩٢م)، وتعليقًا على ما تقدم فإن سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م تقع فى عهد الخليفة العباسى المعتمد على الله وليس فى عهد الخليفة المعتضد بالله كما ذكر عيسى سلمان حميد، وربما أن المسجد تعرض لزيادتين فى عهد الخليفة المعتمد إحداهما فى سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، والأخرى فى سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م، وهى

السنة التى توفى فيها، ثم اكتملت هذه الزيادة الأخيرة فى عهد الخليفة المعتضد بالله فى سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م.

وتناول طاهر العميد آراء كل من هرتز فلد وكريزويل وانتهى إلى تقييم يراه صحيحاً وملائماً للنصوص التاريخية[١٥٤].

يمكن عرضه فى النقاط التالية:

- إضافة دار القطان بالقصر إلى المسجد ونقد كريزويل فى عدم ذكره هذه الإضافة.

- زيادة ا . على عهد المعتضد الذى اقتطع من القصر مساحة مقاربة لمساحة المسجد الأول أو نحوها، وضمت إلى المسجد وعرفت بالصحن الأول، بينما عرف صحن مسجد المنصور بالصحن العتيق، وفتحت بين جدار الصحن العتيق والصحن الأول سبعة عشر طاقا، ثلاثة عشر منها إلى الصحن، وأربعة منها إلى الأروقة (الظلات) على أساس طاقتين لكل رواق (ظلة)، ثم حول المنبر والمحراب والمقصورة إلى قبلة المسجد الجديد المضاف من القصر.

- لم تبلغ الزيادة التى تمت فى عهد المعتضد بالله إلى وسط قصر باب الذهب، أى إلى موضع القبة الحضراء، بدليل وجود القبة بعد هذا التاريخ حتى سقطت فى سنة ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م، مما يدل على أن الزيادة لم تكن مساوية لضلع المسجد الأول وإنما مقاربة له.

وقد أشار الرحالة بنيامين التطيلى اليهودى إلى هذا المسجد فى سنة ٥٦٦هـ/ ١١٦٠م، ثم ا وصفه فى رحلة ابن جبير، ثم تأثر المسجد من فيضان عام ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨م، وفيضان عام ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م، وعلى ما يبدو فإنه سلم فى أثناء حصار المغول لبغداد فى سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، فقد وصفه لنا الرحالة ابن بطوطة عندما زار بغداد فى سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م، ويشير كريزويل إلى ذكر بدرو تايكسيرا Pedro Teixeira للمسجد فى سنة ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م، ويبدو أن المسجد

خرب تماماً واندثر عقب إستيلاء الفرس على بغداد فى سنة ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣ – ١٦٢٤م، وهناك اعتقاد بأن محراب مسجد المنصور هو الذى عثر عليه فى جامع الخاصكى فى بغداد، ونقل منه إلى المتحف العراقى، وهو يتكون من قطعة واحدة. من المرمر المنحوت[١٥٥].

اندثار مدينة بغداد

لم تعمر مدينة بغداد طويلاً أو تتوسع بالطريقة التى توسعت فيها البصرة والكوفة وواسط، وذلك لعوامل عدة أدت إلى عدم نموها وازدهارها، فالمكان المخصص لسكنى الناس كان محدوداً للغاية، ولم تمض فترة طويلة على اكتمالها حتى أمر الخليفة المنصور بإخراج التجار منها إلى ربض الكرخ، كما أن الأحداث السياسية أثرت عليها تأثيراً بالغاً خاصة تلك الصراعات بين الأخوين الأمين والمأمون عندما حاصر جيش المأمون وقت إقامة الأمين فيها، كذلك الإقبال على السكنى فى الرصافة والكرخ، وازدهار الحركة التجارية فيهما، وكان لقرار الخليفة المعتصم بالله إنشاء مدينة سامراء فى سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٥م لتكون عاصمة وحاضرة بدلاً من بغداد أكبر الأثر فى تأثر المدينة المدورة، ومما زاد أيضاً فى سرعة اندثارها الفيضانات التى تعرضت لها من دجلة والفرات، وكان لطبيعة المواد الإنشائية التى استخدمت فى البناء وتقدم ذكرها سواء اللبن أو الطين أكبر الأثر فى سرعة تخربها، وقد أدت هذه العوامل مجتمعة إلى عدم بقاء المدينة فاندثرت المدينة واختفت معالمها تدريجياً، وهى اليوم يمكن القول أنها كانت فى البقعة المحصورة بين محلة الكرخ جنوباً وبلدة الكاظمية شمالاً، ونهر دجلة شرقاً ومجرى نهر الداودى غرباً[١٥٦].

قنطرة الصراة العتيقة

ومن الأعمال المعمارية التى تنسب إلى الخليفة المنصور عمارة القناطر، وقد أورد ياقوت الحموى أن "القنطرة عربية فيما أحسب لأنها جاءت فى الشعر القديم.. قال اللغويون: هى أزج يبنى بآجر أو حجارة على الماء يعبر عليه.. القنطرة الجديدة: هى اليوم فى غاية العتق وقد جددت عدة نوب إلا أنها بهذا تعرف على الصراة على مرور الأيام، وعلى الصراة اليوم قنطرتان: سفلى يدخل منها إلى باب البصرة وأخرى فوق ذلك فى الخراب وهى هذه المعروفة بالجديدة، وأول من بناها المنصور وكانت تلى دور الصحابة وطاق الحرانى"[١٥٧].

والصراة ذكره ياقوت الحموى بقوله "بالفتح، قال الفراء: يقال هو الصرى والصرى للماء يطول استنقاعه.. وهما نهران ببغداد: الصراة الكبرى والصراة الصغرى، ولا أعرف أنا إلا واحدة وهو نهر يأخذ من نهر عيسى من عند بلدة يقال لها المحول.. ويسقى ضياع بادوريا ويتفرغ منه أنهار إلى أن يصل إلى بغداد فيمر بقنطرة العباس ثم قنطرة الصبيبات ثم قنطرة رحا البطريق ثم القنطرة العتيقة ثم القنطرة الجديدة ويصب فى دجلة، ولم يبق عليه الآن إلا القنطرة العتيقة والجديدة.. وأما أهل الأثر فيقولون: الصراة العظمى حفرها بنوساسان.."[١٥٨].

وقنطرة الصراة العتيقة هى التى ذكرها ابن الأثير فى أحداث سنة "خمس وأربعين ومائة" وهى قنطرة شيدها الخليفة المنصور، فقد أورد "ثم إن المنصور أمر ببناء قنطرة الصراة العتيقة"[١٥٩].

خلع المنصور عيسى بن موسى من ولاية العهد

ومن الأحداث السياسية التى شهدتها سنة "سبع وأربعين ومائة" أن الخليفة المنصور خلع عيسى بن موسى وبايع لابنه المهدى، فقد أورد الطبرى "وفى هذه السنة خلع المنصور عيسى بن موسى وبايع لابنه المهدى، وجعله ولى عهد من بعده. وقال بعضهم : ثم من بعده عيسى بن موسى"(١٦٠).

وقد تقدم ذكر عيسى بن موسى عند ذكر الخليفة العباسى السفاح (١٣٢-١٣٦ هـ/ ٧٥٠-٧٥٤م)، فقد أورد الطبرى كما تقدم "وبعث (أبو العباس السفاح) ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قحطبة، وهو يومئذ بواسط محاصر ابن هبيرة"، كما تقدم أيضًا عند ذكر وفاة السفاح على لسان الطبرى "وكان الذى أخذ البيعة بالعراق لأبى جعفر بعد موت العباس عيسى بن موسى"، وكان الخليفة السفاح قد عهد بالخلافة من بعده إلى أخيه أبى جعفر، ثم إلى عيسى بن موسى بن محمد بن على، وقد ارتبط اسم عيسى بن موسى عند معظم علماء الآثار بعمارة قصر الأخيضر.

الفراغ من عمارة مدينة بغداد

١٤٩هـ/ ٧٦٦م

أورد الطبرى فى أحداث سنة "تسع وأربعين ومائة" الفراغ من عمارة مدينة بغداد كما تقدم بما نصه "وفى هذه السنة استتم المنصور بناء سور مدينة بغداد، وفرغ من خندقها وجميع أمورها"(١٦١).

وقد ذكر طاهر العميد كما تقدم أن سنة ١٤٥ هـ/ ٧٦٢م تمثل التاريخ الأقرب إلى الواقع فيما يتعلق بتأسيس مدينة بغداد كما أن سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م تعد التاريخ الأقرب إلى الواقع فيما يتعلق بتاريخ الفراغ من عمارة مدينة بغداد، وهو الأمر الذى تقدم ذكره عند ياقوت الحموى فى معجم البلدان بما نصه "كان أول من عمرها وجعلها مدينة المنصور.. وشرع فى عمارتها سنة ١٤٥ ونزلها سنة ١٤٩".

مدينة عسكر المهدى أو الرصافة

١٥١ – ١٥٩هـ/ ٧٦٨ – ٧٧٥م

أراد الخليفة المنصور أن تكون بغداد مركزاً مدنياً وإدارياً للعالم الإسلامى لذلك أمر أن تكون ثكنات الجيش الذى كان يقوده المهدى فى الجانب الشرقى من دجلة فى مكان مقابل لمدينة السلام، وأطلق عليه اسم عسكر المهدى أو الرصافة، فقد أورد البلاذرى عند ذكره أمر مدينة السلام "وبنى المنصور للمهدى الرصافة فى الجانب الشرقى ببغداد، وكان هذا الجانب يدعى عسكر المهدى لأنه عسكر فيه حين خرج إلى الرى، فلما قدم من الرى وقد بدا للمنصور فى إنفاذه إلى خراسان للاقامة بها نزل الرصافة وذلك فى سنة إحدى وخمسين ومائة وقد كان المنصور أمر فبنى للمهدى قبل إنزاله الجانب الشرقى قصره الذى يعرف بقصر الوضاح وبقصر المهدى وبالشرقية، وهو مما يلى باب الكرخ، والوضاح رجل من أهل الأنبار كان تولى النفقة عليه فنسب إليه"[١٦٢].

مما تقدم يتضح أن الرصافة أو عسكر المهدى كانت تقع فى الجانب الشرقى لبغداد، وهو الجانب الذى عرف بعسكر المهدى، وكان الخليفة المنصور قد سمح لابنه المهدى أن ينتقل إليها بجنده ويبنى له فيها قصراً، فبدأ فى البناء سنة ١٤٣هـ/ ٧٦٠م وسمى "قصر الرصافة"، وكان البدء فى تأسيسها فى سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م، أى بعد الفراغ من عمارة بغداد بسنتين، وكان هذا الموضع معسكراً للجيش العباسى، خاصة بعد عودته من الرى، وقد ذكرها اليعقوبى بقوله "والجانب

الشرقى من بغداد نزله المهدى بن المنصور، وهو ولى عهد أبيه. وابتدأ بناءه فى سنة ثلاث وأربعين ومائة، فاختط المهدى قصره بالرصافة إلى جانب المسجد الجامع، الذى فى الرصافة. وحفر نهراً يأخذ من النهروان، سماه نهر المهدى، يجرى فى الجانب الشرقى، وأقطع المنصور أخوته وقواده، بعدما أقطع من بالجانب الغربى، وهو جانب مدينته، وقسمت القطائع فى هذا الجانب، وهو يعرف بعسكر المهدى، كما قسمت فى جانب المدينة، وتنافس الناس فى النزول على المهدى، لمحبتهم له، ولا تساعه عليهم بالأموال والعطايا، ولأنه كان أوسع الجانبين أرضاً، لأن الناس سبقوا إلى الجانب الغربى، وهو جزيرة بين دجلة والفرات، فبنوا فيه، وصار فيه الأسواق والتجارات. فلما ابتدئ البناء فى الجانب الشرقى امتنع على من أراد سعة البناء"[١٦٣].

ويتفق الطبرى مع البلاذرى فى تاريخ البدء فى عمارة الرصافة أو عسكر المهدى وهو سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م، فقد أورد الطبرى فى أحداث سنة "إحدى وخمسين ومائة" ما نصه "وفى هذه السنة قدم على المنصور ابنه المهدى من خراسان.. وفى هذه السنة ابتدأ المنصور ببناء الرصافة فى الجانب الشرقى من مدينة السلام لابنه محمد المهدى"[١٦٤].

ويتناول الطبرى ذكر الخبر عن سبب البناء بما نصه" ذكر عن أحمد بن محمد الشروى، عن أبيه، أن المهدى لما قدم من خراسان أمره المنصور بالمقام بالجانب الشرقى، وبنى له الرصافة، وعمل لها سوراً وخندقاً وميداناً وبستاناً، وأجرى له الماء، فكان يجرى الماء من نهر المهدى إلى الرصافة"[١٦٥].

وفى رواية أخرى أورد الطبرى "وأما خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن خازم، فإنه ذكر أن محمد بن موسى بن محمد.. حدثه، أن أباه حدثه، أن الراوندية لما شغبوا على أبى جعفر وحاربوه على باب الذهب، دخل عليه قثم بن العباس.. وهو يومئذ شيخ كبير مقدم عند القوم – فقال له أبو جعفر: أما ترى ما نحن فيه.. قد خفت أن تجتمع كلمتهم فيخرج هذا الأمر من أيدينا، فما ترى؟ قال: يا أمير المؤمنين، عندى

فى هذا رأى إن أنا أظهرته لك فسد، وإن تركتنى أمضيته، صلحت لك خلافتك، وهابك جندك.. فقال له: فأمضه. قال: فانصرف قثم إلى منزله، فدعا غلاماً له فقال له: إذا كان غدًا فتقدمنى.. فقل لى: أى الحيين أشرف؟ اليمن أم مضر؟ فإذا أجبتك فخل عنان بغلتى وأنت حر. قال: فغدا الغلام، فجلس حيث أمره من دار الخليفة، فلما جاء الشيخ.. قال له: قل، فقال: أى الحيين أشرف؟ اليمن أم مضر؟... قال: فقال قثم: مضر كان منها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيها كتاب الله عز وجل، وفيها بيت الله، ومنها خليفة الله. قال: فامتعضت اليمن.. ثم قال لغلامه: قم بعنان بغلة الشيخ، فاكبحها كبحاً عنيفاً... ففعل الغلام ما أمره به مولاه.. فامتعضت من ذلك مضر، فقالت: أيفعل هذا بشيخنا! فأمر رجل منهم غلامه، فقال: اقطع يد العبد.. فنفر الحيان، وصرف قثم بغلته، فدخل على أبى جعفر، وافترق الجند، فصارت مضر فرقة، واليمن فرقة، والخراسانية فرقة، وربيعة فرقة، فقال قثم لأبى جعفر: قد فُرقت بين جندك، وجعلتهم أحزاباً.. وقد بقى عليك فى التدبير بقية، قال: ما هى؟ قال: اعبر با بنك فأنزله فى ذلك الجانب قصراً، وحوله وحول معك من جيشك معه قوماً فيصير ذلك بلداً، وهذا بلداً.. قال: فقبل أمره ورأيه، فاستوى له ملكه، وكان ذلك سبب البناء فى الجانب الشرقى وفى الرصافة وأقطاع القواد هناك. قال: وتولى صالح صاحب المصلى القطائع فى الجانب الشرقى، ففعل كفعل أبى العباس الطوسى فى فضول المصلى القطائع فى الجنب الغربى،... وفى هذه السنة جدد المنصور البيعة لنفسه ولابنه محمد المهدى من بعده، ولعيسى بن موسى من بعد المهدى"[١٦٦].

وقد أورد ياقوت الحموي عسكر المهدى بقوله "عسكر المهدى: وهو محمد بن المنصور أمير المؤمنين: وهى المحلة المعروفة اليوم ببغداد بالرصافة من محال الجانب الشرقى، وقد ذكرت، وقال ابن الفقيه: وبنى المنصور الرصافة فى الجانب الشرقى للمهدى، وكانت الرصافة تعرف بعسكر المهدى لأنه عسكر بها حين شخص إلى الرى، فلما قدم من الرى نزل الرصافة، وذلك فى سنة ١٥١.."[١٦٧].

وفى موضع آخر أورد رصافة بغداد بقوله "رصافة بغداد: بالجانب الشرقى، لما بنى المنصور مدينته بالجانب الغربى واستتم بناءها أمر ابنه المهدى أن يعسكر فى الجانب الشرقى وأن يبنى له فيه دوراً وجعلها معسكراً له فالتحق بها الناس وعمروها فصارت مقدار مدينة المنصور، وعمل المهدى بها جامعاً أكبر من جامع المنصور وأحسن. وخربت تلك النواحى كلها ولم يبق إلا الجامع وبلصقه مقابر الخلفاء لبنى العباس وعليهم وقوف وفراشون برسم الخدمة ولولا ذلك لخربت.. وكان فراغ المهدى من بناء الرصافة والجامع بها فى سنة ١٥٩، وهى السنة الثانية من خلافته"[١٦٨].

وقد أورد ابن الأثير فى أحداث سنة "إحدى وخمسين ومائة" ذكر بناء الرصافة للمهدى بقوله "وفى هذه السنة قدم المهدى من خراسان فى شوال، فقدم عليه أهل بيته من الشام والكوفة والبصرة وغيرها، فهنأوه بمقدمه، فأجازهم وحملهم وكساهم، وفعل بهم المنصور مثل ذلك، وبنى له الرصافة"[١٦٩].

مما تقدم يتضح أن بناء عسكر المهدى أو الرصافة ارتبط ارتباطاً وثيقاً ببناء مدينة بغداد، وربط الخليفة المنصور بين الرصافة والجانب الغربى لمدينة بغداد بجسر فوق دجلة، وكانت المدينة بمثابة ثكنات للجيش، وذلك فى الجانب الشرقى من دجلة المقابل لمدينة بغداد، وكان البدء فى العمارة سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م، وكان الفراغ من عمارتها فى سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٥م كما ذكر ياقوت الحموى وتقدم ذكره على الرغم من أن عيسى سلمان حميد[١٧٠] ذكر أن بناء مدينة الرصافة كمل فى سنة ١٥٤هـ/ ٧٧٠ م، واشتملت المدينة على خندق وسور، وكان الخندق يأخذ الماء من دجلة، كما اشتملت على ميدان وبستان، وأمر المهدى بعد أن بويع له بالخلافة (١٥٨ – ١٦٩ هـ/ ٧٧٥ – ٧٨٥م) ببناء قصره فى وسطها، وبناء المسجد الجامع فى سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٦م الذى وصف بأنه أكثر ضخامة وحسناً من جامع المنصور ببغداد كما أورد ياقوت الحموى، وكان الخليفة المنصور قد شيد قصراً آخر عرف بقصر الخلد خارج مدينة بغداد فى سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٤م على شاطئ دجلة قرب الجسر والذى يربط بغداد بالرصافة أو عسكر المهدى، وكان المهدى كما يذكر طاهر العميد[١٧١] قد أقام

أول الأمر فى قصر شيد له باللبن فى عيسا باذ ثم بنى له قصراً كبيراً من الآجر دعاه باسم قصر السلامة، وعيسا باذ ذكرها ياقوت الحموى بقوله ".. وذكرنا أن باذ فيه مما تستعمله الفرس، ومعنى باذ العمارة، فكأن معناه عمارة عيسى، ويسمون العامر أباذان: هذه محلة كانت بشرقى بغداد منسوبة إلى عيسى بن المهدى وأمه وأم الرشيد والهادى الخيزران هو أخوهما لأمهما وأبيهما وكانت إقطاعًا له، وبها مات موسى بن المهدى بن الهادى، وبنى بها المهدى قصره الذى سماه قصر السلام فبلغت النفقة عليه خمسين ألف ألف درهم"[١٧٢].

وقد أقطع المهدى رجاله وقادة جيشه الأراضى وبنوا قصورهم ودورهم وغير ذلك فيها وانتشر العمران فى هذا الجانب فى عهدى المهدى (١٥٨-١٦٩ هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م) والرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ/ ٧٨٦ - ٨٠٩م)، وشيد بها البرامكة الفرس قصورهم منها قصر جعفر الذى دعى بالجعفرى ثم عرف بالمأمونى عندما أقام فيه الخليفة المأمون، حيث عرفت المنطقة الواقعة بجانب هذا القصر بالمأمونية، واشتهرت الرصافة بقصورها ومساجدها ودور العلم، ومن قصورها إضافة للجعفرى أو المأمونى التاج والفردوس ودار الشجرة، ومن أبواب سورها باب السلطان، وباب الظفرية، وباب الحلبة (الباب الوسطانى) الذى لا يزال قائماً إلى يومنا هذا وباب الطلسم الذى أمر بتشييده الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ/ ١١٨٠ - ١٢٢٥م)، وشيد السور فى القرن السادس الهجري/ الثانى عشر الميلادى، وامتد البناء والعمران إلى الكرخ الذى كان يرتبط بالرصافة بعدة جسور، وأطلق على الرصافة والكرخ اسم بغداد[١٧٣].

الخليفة المنصور وبناء مدينة طُبْنَة بإفريقية

تعد بلدة أو مدينة طبنة ذات أهمية كبيرة بإفريقية، فهى تقع فى طرف إفريقية على ضفة نهر الزاب، فتحها موسى بن نصير، وأمر بعمارتها الخليفة المنصور، فقد أورد ابن الأثير فى أحداث سنة "إحدى وخمسين ومائة" عند ذكره ولاية أبى جعفر عمر بن حفص إفريقية "وفى هذه السنة استعمل المنصور على إفريقية أبا جعفر عمر بن حفص.. وكان سبب مسيره إليها أن المنصور لما بلغه قتل الأغلب بن سالم خاف على إفريقية، فوجه إليها عمر والياً، فقدم القيروان فى صفر سنة إحدى وخمسين ومائة.. وأقام والأمور مستقيمة ثلاث سنين. فسار إلى الزاب لبناء مدينة طبنة بأمر المنصور.."[١٧٤].

وطبنة ذكرها ياقوت الحموى بقوله" طبنة: بضم أوله ثم السكون، ونون مفتوحة، وهى فيما أحسب عجمية.. وطبنة: بلدة فى طرف إفريقية مما يلى المغرب على ضفة الزاب فتحها موسى بن نصير.. وسورها مبنى بالطوب، وبها قصر وأرباض.."[١٧٥].

الخليفة المنصور وبناء القصر بالكوفة

من الإشارات التاريخية المعمارية التى تتعلق بالعمارة المدنية (السكنية) فى العراق ما أورده الطبرى فى أحداث سنة "ثلاث وخمسين ومائة" من أن الخليفة المنصور شيد قصراً له بمدينة الكوفة، فقد أورد "فلما قدم المنصور البصرة فى هذه السنة.. وقيل إنه إنما قدمها القدمة الآخرة فى سنة خمس وخمسين ومائة، وكانت قدمته الأولى فى سنة خمس وأربعين ومائة، وأقام بها أربعين يوماً، وبنى بها قصراً ثم انصرف منها إلى مدينة السلام"[١٧٦].

لبس القلانس الطوال

كما أورد الطبرى فى أحداث هذه السنة "وفيها أخذ المنصور الناس بلبس القلانس الطوال المفرطة الطول، وكانوا – فيما ذكر – يحتالون لها بالقصب من داخل"(١٧٧).

والقلنسوة هى عبارة عن لباس للرأس مختلف الأنواع والأشكال وجمعها قلانس، ولبس القلانس من قبل الناس كان بأمر الخليفة المنصور فى سنة "ثلاث وخمسين ومائة" وقد وصفت على لسان الطبرى بما نصه "الطوال المفرطة الطول"، وهو الأمر الذى جعل الناس "يحتالون لها بالقصب من داخل".

مدينة الرافقة (الرقة) ١٥٥هـ/ ٧٧٢م

أنشأ المنصور مدينة الرافقة أو الرقة على نهر الفرات فى سنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م، وأقام فيها فصائل من جنده الخراسانيين، والرافقة مدينة ذكرها البلاذري[١٧٨] فى فتوح البلدان، وذكرها الطبرى فى أحداث سنة "أربع وخمسين ومائة" بقوله "وفى هذه السنة عزم المنصور – فيما ذكر – على بناء مدينة الرافقة، فذكر عن محمد بن جابر، عن أبيه أن أبا جعفر لما أراد بناءها، امتنع أهل الرقة، وأرادوا محاربته، وقالوا: تعطل علينا أسواقنا وتذهب بمعايشنا، وتضيق منازلنا، فهم بمحاربتهم"[١٧٩].

وفى ذلك أورد ابن الأثير فى أحداث سنة "أربع وخمسين ومائة" ما نصه "وأراد المنصور بناء الرافقة فمنعه أهل الرقة، فهم لمحاربتهم"[١٨٠].

هذا فيما يتعلق بذكر الرافقة مدينة المنصور فى أحداث سنة ١٥٤هـ/ ٧٧١م، وما حدث بين المنصور وأهل الرقة، غير أن الطبرى أورد فى أحداث سنة "خمس وخمسين ومائة" ما نصه عن بناء المدينة "وفيها وجه المنصور ابنه المهدى لبناء مدينة الرافقة، فشخص إليها، فبناها على بناء مدينته ببغداد فى أبوابها وفصولها ورحابها وشوارعها وسور سورها وخندقها، ثم انصرف إلى مدينته"[١٨١].

وفى ذلك أورد ابن الأثير "وفيها سير المهدى لبناء الرافقة، فسار إليها، فبناها على بناء مدينة بغداذ"[١٨٢].

وقد هدف الخليفة المنصور من بناء الرافقة على نهر الفرات أن يقيم فيها فصائل من جنده من الخراسانيين بهدف حماية الجبهة السورية من غارات الروم[١٨٣].

والرافقة ذكرها ياقوت الحموى بقوله "الرافقة: الفاء قبل القاف، قال أحمد بن

الطيب: الرافقة بلد متصل البناء بـ ـقة وهما على ضفة الفرات.. قال: وعلى الرافقة سوران بينهما فصيل، وهى على هيئة مدينة السلام، ولها ربض بينها وبين الرقة وبه أسواقها، وقد خرب بعض أسوار الرقة، قلت: هكذا كانت أولاً فأما الآن فإن الرقة خربت وغلب اسمها على الرافقة وصار اسم المدينة الرقة، وهى من أعمال الجزيرة مدينة كبيرة كثيرة الخير، قال أحمد بن يحيى: لم يكن للرافقة أثر قديم إنما بناها المنصور فى سنة ١٥٥ على بناء مدينة بغداد، ورتب بها جنداً من أهل خراسان، وجرى ذلك على يد المهدى وهو ولى عهده، ثم إن الرشيد بنى قصورها، وكان فيما بين الرقة والرافقة فضاء وأرض مزارع"[١٨٤].

وقد جعل سور الرافقة أو الرقة بشكل حدوة الفرس، ويقع المسجد الجامع فى منتصف القسم الشمالى منها، أى أنها مستديرة باللبن من ثلاث جهات هى الشمالية والشرقية والغربية، أما الجهة الرابعة وهى الجنوبية فقد جاءت مستقيمة، ويبلغ طولها من الشرق إلى الغرب حوالى ١٥٠٠م، ونفس المسافة من الشمال إلى الجنوب، ولا تزال بعض أسوارها الداخلية فى كل من الشمال والغرب والقسم الشرقى من السور الجنوبى فى حالة جيدة، فى حين أن السور الشرقى يبدو فى حالة سيئة، وهى مشيدة على الصخر مباشرة بسمك ٥.٨٥م، بارتفاع يبلغ ١٠م، ويشتمل السور الداخلى على أبراج مستديرة تبعد عن بعضها البعض نحو ٣٠م، أما الأسوار الخارجية فكانت أقل ارتفاعاً وسمكاً من الأسوار الداخلية، وتخلو هذه الأسوار من الأبراج، ويفصل بينها وبين الأسوار الداخلية فصيل عرضه ٢٠.٨٠م، ويتقدمها خندق يبلغ عرضه ١٥.٩٠م[١٨٥].

وأغلب الظن أن المدينة كانت تشتمل على أربعة أبواب على غرار مدينة بغداد، وتوجد بقايا من باب عرف باسم بغداد، يوجد فى الركن الجنوبى الشرقى، وتعددت الآراء بشأن تاريخ هذا الباب فقال هرتز فلد بنسبته إلى الخليفة الرشيد الذى اعتاد الإقامة فى الرقة وبالتحديد فى سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٢م، وذكر كريزويل أنه يرجع إلى عهد الخليفة المنصور فى سنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م أى إلى تاريخ الفراغ من عمارة المدينة، ويرجعه وارن إلى عصر ازدهار الرقة فى القرنين الرابع والخامس للهجرة/ العاشر والحادى عشر للميلاد[١٨٦].

مسجد الرافقة أو الرقة

١٥٥هـ/٧٧٢م

شيده الخليفة العباسى المنصور فى سنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م فى الاتجاه الشمالى الشرقى من المدينة، وهو العام الذى شيد فيه مدينة الرافقة أو الرقة، وقد اندثرت المدينة كما اندثر المسجد، إلا أنه تخلفت منهما آثار لها أهمية كبرى بالنسبة لوحدات وعناصر العمارة والزخرفة الإسلامية(١٨٧).

وقد كشفت هذه الآثار عن أن المسجد كان يشغل مساحة مستطيلة تمتد رأسياً من الشمال إلى الجنوب مقاساتها داخل الجدران ١٠٨.١٠م طولاً، و٩٢.٩٠م عرضاً، قسمت إلى صحن أوسط مكشوف على هيئة شبه مربعة، حيث يمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ٦٨م، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ٦٣م، وقد وجد به ضريح تعلوه قبة ومنارة ترجع إلى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى، وتحيط بالصحن أربع ظلات أكبرها وأعمقها ظلة القبلة التى تمتد بعمق يبلغ ٣٢م، وتتكون من ثلاث بلاطات تتميز باتساعها، حيث يبلغ عرض كل منها عشرة أمتار تقريباً، وتمتد البلاطات والبائكات من الشرق إلى الغرب فى موازاة جدار القبلة، يفصلها بائكتان تشتمل كل منهما على أربع عشرة دعامة يعلوها خمسة عشر عقداً، وكان يغطى سقف ظلة القبلة ثلاثة جمالونات تمتد بامتداد البلاطات والبائكات، ولم يتبق من ظلة القبلة سوى البائكة المطلة على الصحن والتى تتكون من أحد عشر عقداً من الآجر بارتفاع يبلغ ١٣م، ويرجح أنها من أعمال السلطان نور الدين محمود زنكى فى سنة ٥٦١هـ/ ١١٦٦م كما يتضح من النص المسجل على أحد عقودها(١٨٨).

أما بقية الأروقة فقد جاءت من بلاطتين، حيث يتضح من آثار دعامات فى أركان الصحن أنه كانت تحيط به ثلاث ظلات، ويشتمل المسجد على تسعة مداخل وزعت بشكل متناسق بواقع ثلاثة فى الجوانب الشمالية والشرقية والغربية، وجاءت المداخل فى الجدارين الشرقى والغربى على محور واحد، وتدعم جدران المسجد التى شيدت باللبن بسمك ١.٧٠م أبراج نصف دائرية فى الجدران، وشبه دائرية فى الأركان يبلغ عددها ٢٠ برجاً وزعت بشكل متناغم، حيث وزعت بواقع أربعة أبراج نصف دائرية فى كل جدار، كما اشتمل المسجد على برج بهيئة شبه دائرية فى كل ركن من أركان المسجد.

ويذكر أحمد فكرى أنه يبدو أن بلاطة المحراب فى ظلة القبلة كانت أكثر سعة من البلاطتين الثانية والثالثة، إذ أنه كانت تقوم خارج الجدارين الشرقى والغربى من ظلة القبلة دعامتان متقابلتان كما يرى فى المسقط الأفقى، ولابد أن صف الأعمدة الذى يتوسط البلاطتين الثانية والثالثة كان يقع فى امتدادهما، إذ ليس من المنطق المعمارى أن ينحرف صف الأعمدة عن سمت هاتين الدعامتين، كما يظهر على الرسم الذى افترضه هرتز فلد، وعلى الرسم المطابق له الذى نشره كريزويل، وقد افترض هرتز فلد أن هذه البلاطات كانت تنقسم إلى خمس عشرة بلاطة عمودية، أى أنه كان فى بيت الصلاة صفان من الأعمدة بكل صف منها أربعة عشر عموداً، ويؤيد هذا الافتراض مقاسات المسافات الفاصلة بين آثار الأعمدة، ولم يتحقق هرتز فلد من موضع المحراب ورسمه(١٨٩).

وفى اعتقادى أن موضع المحراب كان يقع على محور المدخل الأوسط بالجدار الشمالى، أى أنه كان يتوسط الجدار الجنوبى على محور البلاطة الثانية العمودية، وبالتالى يكون المعمار قد وفق فى توزيع أبراج جدار القبلة على جانبيه.

عمائر دفاعية بالكوفة والبصرة

١٥٥ هـ/ ٧٧٢ م

ومن الأعمال المعمارية التى أوردها الطبرى فى هذه السنة العمارة الدفاعية أو العسكرية والتى تمثلت فى بناء سور وخندق بالكوفة والبصرة من قبل أبى جعفر المنصور، فقد أورد الطبرى "وفيها – فيما ذكر محمد بن عمر – خندق أبو جعفر على الكوفة والبصرة، وضرب عليهما سوراً، وجعل ما أنفق على سور ذلك وخندقه من أموال أهله. وعزل فيها المنصور عبد الملك بن أيوب بن ظبيان عن البصرة، واستعمل عليها الهيثم بن معاوية العتكى، وضم إليه سعيد بن دعلج، وأمره ببناء سور لها يطيف بها، وخندق عليها من دون السور من أموال أهلها، ففعل ذلك"(١٩٠).

وفى ذلك أورد ابن الأثير فى أحداث سنة "خمس وخمسين ومائة" ما نصه "وفيها سير المهدى لبناء الرافقة.. وعمل للكوفة والبصرة سوراً وخندقاً، وجعل ما أنفق فيه من الأموال على أهلها"(١٩١).

قصر الخُلْد ١٥٧هـ/ ٧٧٤م

شيد المنصور قصر الخلد على شاطئ دجلة فوق مصب نهر الصراة بقليل، بين باب خراسان والجسر فى باب الشعير، وأتم عمارته فى سنة واحدة وعرف بذلك تشبيهًا له بجنة الخلد، وتفاؤلاً بخلود ملكه وبقاء الخلافة فى بنيه، وقصر الخلد ذكره الطبرى فى أحداث سنة "سبع وخمسين ومائة" فقال "فمما كان فيها من ذلك ابتناء المنصور قصره الذى على شاطئ دجلة، الذى يدعى الخلد، وقسم بناءه على مولاه الربيع وأبان بن صدقة"[١٩٢].

وفى ذلك أورد ابن الأثير فى نفس السنة "فى هذه السنة بنى المنصور قصره الذى يدعى الخلد"[١٩٣].

ويذكر طاهر العميد أن الخليفة المنصور شيده فيما بين سنتى ١٥٧ – ١٥٨هـ/ ٧٧٣ – ٧٧٤م على شاطئ دجلة فوق مصب نهر الصراة بدجلة، وموقعه شمال الدير العتيق (دير مار فيثون) بقليل، وهو الدير الذى كان عند مصب الصراه بدجلة بين باب خراسان والجسر فى باب الشعير، والراجح كما يذكر طاهر العميد أن المنصور سماه بالخلد تشبهاً بجنة الخلد التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم، وكان اختيار موقعه للتمتع بمنظر نهر دجلة والاستفادة من وفرة المياه لسقى الحدائق الواسعة للقصر، وقد توفى المنصور فى نفس السنة التى انتقل فيها إلى قصر الخلد، وقد شهد هذا القصر حفلة زواج الرشيد بزبيدة بنت جعفر فى سنة ١٦٥هـ/ ٧٨١ م، وكان الرشيد يفضل الإقامة به، ونزله الأمين فى أثناء خلافة والده ثم انتقل إلى قصر المنصور بعد خلافته، ونزله المأمون عندما استخلف[١٩٤].

وبعد أن تهدم بنى عضد الدولة البويهى على أطلاله البيمارستان العضدى سنة ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م، وبنيت حوله منازل فصار محلة كبيرة عرفت بالخلد[١٩٥].

تحويل أسواق مدينة بغداد إلى باب الكَرْخ

أورد البلاذرى عند ذكره أمر مدينة السلام "وجعل مجمع الأسواق بالكرخ وأمر التجار فابتنوا الحوانيت وألزمهم الغلة"[١٩٦].

وقد أورد اليعقوبى عن الكرخ "والكرخ السوق العظمى مادة من قصر وضاح إلى سوق الثلثاء طولاً، بمقدار فرسخين، ومن قطيعة الربيع إلى دجلة عرضاً، مقدار فرسخ. فلكل تجار وتجارة شوارع معلومة، وصفوف فى تلك الشوارع، وحوانيت، وعراص، وليس يختلط قوم بقوم، ولا تجارة بتجارة، ولا يباع صنف مع غير صنفه، ولا يختلط أصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرهم، وكل سوق مفردة، وكل أهل منفردون بتجاراتهم، وكل أهل مهنة معتزلون عن غير طبقتهم.."[١٩٧].

وقد أورد الطبرى فى أحداث سنة "سبع وخمسين ومائة" ما نصه "وفيها حول المنصور الأسواق من مدينة السلام إلى باب الكرخ وغيره من المواضع"[١٩٨].

وفى ذلك أورد ابن الأثير فى هذه السنة "وفيها حول المنصور الأسواق إلى الكرخ وغيره"[١٩٩].

وكرخ بغداد ذكره ياقوت الحموى بقوله "كرخ بغداد: ولما ابتنى المنصور مدينة بغداد أمر أن تجعل الأسواق فى طاقات المدينة إزاء كل باب سوق، فلم يزل على ذلك مدة حتى قدم عليه بطريق من بطارقة الروم رسولاً من عند الملك فأمر الربيع أن يطوف به فى المدينة حتى ينظر إليها ويتأملها ويرى سورها وأبوابها وما حولها من

العمارة ويصعده السور حتى يمشى من أوله إلى آخره ويريه قباب الأبواب والطاقات وجميع ذلك، ففعل الربيع ما أمره به، فلما رجع إلى المنصور قال له: كيف رأيت مدينتى؟ قال: رأيت بناء حسناً ومدينة حصينة إلا أن أعداءك فيها معك، قال: من هم؟ قال: السوقة، يوافى الجاسوس من جميع الأطراف فيدخل الجاسوس بعلة التجارة والتجار هم برد الآفاق فيتجسس الأخبار ويعرف ما يريد وينصرف من غير أن يعلم به أحد، فسكت المنصور، فلما انصرف البطريق أمر بإخراج السوقة من المدينة وتقدم إلى إبراهيم بن حبيش الكوفى وخراش بن المسيب اليمانى بذلك وأمرهما أن يبنيا ما بين الصراة ونهر عيسى سوقاً وأن يجعلاها صفوفاً ورتب كل صف فى موضعه وقال: اجعلا سوق القصابين فى آخر الأسواق.. ثم أمر أن يبنى لهم مسجد يجتمعون فيه يوم الجمعة ولا يدخلوا المدينة، قال الخطيب: وقلد المنصور ذلك رجلاً يقال له الوضاح.: فبنى القصر الذى يقال له قصر الوضاح والمسجد فيه، قال ولم يضع المنصور على الأسواق غلة حتى مات، فلما استخلف المهدى أشار عليه أبو عبد الله حتى وضع على الحوانيت الخراج.. فلما كثر الناس ضاقت عليهم فقالوا لإبراهيم بن حبيش وخراش: قد ضاقت علينا هذه الصفوف ونحن نتسع ونبنى لنا أسواقاً من أموالنا .. فأجيبوا .. وقد قيل: إن السبب فى نقلهم إلى الكرخ أن دخاخينهم ارتفعت وأسودت حيطان المدينة وتأذى بها المنصور فأمر بنقلهم.. والأشعار فى الكرخ كثيرة جداً، وكانت الكرخ أولاً فى وسط بغداد والمحال حولها، فأما الآن فهى محلة وحدها مفردة فى وسط الخراب وحولها محال إلا أنها غير مختلطة بها.."[٢٠٠].

نزول المنصور قصر الخلد

وقد أورد الطبرى فى أحداث سنة "ثمان وخمسين ومائة" ما نصه "وفى هذه السنة نزل المنصور قصره الذى يعرف بالخلد"[٢٠١].

وقد تقدم أن هذا القصر شيده الخليفة المنصور على شاطىء دجلة فوق مصب نهر الصراة بقليل، بين باب خراسان والجسر فى باب الشعير، وأتم عمارته فى سنة واحدة، وذلك فى سنة ١٥٧ هـ/ ٧٧٤م، وعرف بذلك تشبيها له بجنة الخلد، وتفاؤلاً بخلود ملكه وبقاء الخلافة فى بنيه، وقد توفى الخليفة المنصور فى نفس السنة التى انتقل فيها إلى هذا القصر، أى فى سنة ١٥٨ هـ/ ٧٧٤م، ومن الأحداث الهامة التى شهدها هذا القصر كما تقدم حفلة زواج الرشيد بزبيدة بنت جعفر فى سنة ١٦٥ هـ/ ٧٨١م، وكان الرشيد يفضله، ونزله الأمين والمأمون، وشيد على أطلاله البيمارستان العضدى سنة ٣٦٨ هـ/ ٩٧٨م.

مرمة القصر الأبيض

كما أورد الطبرى فيما يتعلق بترميم القصر الأبيض الذى يعد من قصور الحيرة "وفيها أمر المنصور بمرمة القصر الأبيض، الذى كان كسر بناه، وأمر أن يغرم كل من وجد فى داره شيء من الآجر الخسروانى، مما نقضه من بناء الأكاسرة، وقال: هذا فى المسلمين، فلم يتم ذلك ولا ما أمر به من مرمة القصر"(٢٠٢).

والقصر الأبيض ذكره ياقوت الحموى فقال "والقصر الأبيض: من قصور الحيرة، ذكر فى الفتوح أنه كان بالرقة وأظنه من أبنية الرشيد، وجد على جدار من جدرانه مكتوبًا: حضر عبد الله بن عبد الله ولأمر ما كتمت نفسى وعيبت بين الأسماء اسمى فى سنة ٣٠٥..."(٢٠٣).

والواقع أن أمر مرمة القصر الأبيض لم يتم فى عهد الخليفة المنصور وكذلك ما يتعلق بالآجر الخسروانى، وهو من قصور الحيرة، وربما رمم بعد المنصور.

قول المنصور للمهدى عن بغداد
"وبنيت لك مدينة لم يكن فى الإسلام مثلها"

وقد أورد الطبرى عند ذكره وفاة أبى جعفر المنصور وصفته "وكان ولد بالحميمة"[٢٠٤]. وأورد أيضًا "فمن ولده المهدى – واسمه محمد – وجعفر الأكبر، وأمهما أروى بنت منصور... وكانت تكنى أم موسى، وهلك جعفر هذا قبل المنصور. وسليمان وعيسى ويعقوب، وأمهم فاطمة بنت محمد، من ولد طلحة عبيد الله. وجعفر الأصغر، أمه أم ولد كردية، كان المنصور اشتراها فتسراها، وكان يقال لابنها: ابن الكردية. وصالح المسكين، أمه أم ولد رومية، يقال لها قالى الفراشة. والقاسم، مات قبل المنصور، وهو ابن عشر سنين، وأمه أم ولد تعرف بأم القاسم، ولها بباب الشأم بستان يعرف إلى اليوم ببستان أم القاسم. والعالية، أمها امرأة من بنى أمية، زوجها المنصور من إسحاق بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس.. ذكر عن الهيثم بن عدى أن المنصور أوصى المهدى فى هذه السنة لما شخص متوجها إلى مكة فى شوال، وقد نزل قصر عبدويه، وأقام بهذا القصر أياماً والمهدى معه يوصيه[٢٠٥].

وأورد أيضاً عن بغداد ما نصه " وذكر عمر بن شبة.. لما حج المنصور فى السنة التى توفى فيها شيعه المهدى، فقال: يا بنى.. وبنيت لك مدينة لم يكن فى الإسلام مثلها.. ومات فدفن ببئر ميمون.. وفى هذه السنة [illegible] للمهدى بالخلافة، وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بمكة، صبيحة الليلة التى توفى فيها أبو جعفر المنصور وذلك يوم السبت لست ليال خلون من ذى الحجة سنة ثمان

وخمسين .. وقال الواقدى: وبويع له ببغداد يوم الخميس لإحدى عشرة بقيت من ذى الحجة من هذه السنة. وأم المهدى أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن يزيد بن شمر الحميرى.. وحفر للمنصور مائة قبر، ودفن فى كلها، لئلا يعرف موضع قبره الذى هو ظاهر للناس، ودفن فى غيرها للخوف عليه. قال: وهكذا قبور خلفاء ولد العباس، لا يعرف لأحد منهم قبر.."[٢٠٦].

قصر عيسى

يقع هذا القصر عند مصب نهر الرُّفَيل فى دجلة بالجانب الغربى فى القطيعة المطلة على دجلة، ويعد من القصور التى شيدت فى عهد الخليفة المنصور، ذكره ياقوت الحموى فقال "قصر عيسى: هو منسوب إلى عيسى بن على بن عبد الله بن عباس، وهو أول قصر بناه الهاشميون فى أيام المنصور ببغداد وكان على شاطئ نهر الرفيل عند مصبه فى دجلة، وهو اليوم فى وسط العمارة من الجانب الغربى وليس للقصر أثر الآن إنما هناك محلة كبيرة ذات سوق تسمى قصر عيسى.."[٢٠٧].

مما تقدم يتضح أن قصر عيسى بن على بن عبد الله بن عباس يعد أول قصر بناه العباسيون فى عهد الخليفة المنصور ببغداد، وكان يقع على شاطىء نهر الرفيل الذى يصب فى دجلة بغداد ومأخذه من نهر عيسى، وهو منسوب إلى الرفيل واسمه معاذر بن خشيش بن أبر ويز بن خشين بن خسروان، وقد عرف بذلك فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، وقد أطلق اسم القصر على محلة كبيرة ذات سوق فى الجانب الغربى بعد اندثار القصر.

قصر أبى الخصيب

يعد قصر أبى الخصيب من القصور التى نسبت إلى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور، فقد ذكره ياقوت الحموى بما نصه "قصر أبى الخصيب: بظاهر الكوفة قريب من السدير.. وهو أحد المتنزهات يشرف على النجف.. وهو عجيب الصنعة، وأبو الخصيب بن ورقاء مولى المنصور أحد حجابه له ذكر فى رصافة المنصور أبى جعفر أمير المؤمنين"(٢٠٨).

يتبين لنا من نص ياقوت الحموى أن هذه المنشأة كانت من الروعة والجمال بحيث عدت من المتنزهات البديعة فى عهد الخليفة المنصور، وكان القصر يقع بظاهر مدينة الكوفة يشرف على النجف، غير أنه شأنه شأن العديد من القصور العباسية التى شيدت فى القرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى لم تصل إلينا تفاصيله المعمارية والزخرفية سواء من حيث التخطيط أو الوحدات والعناصر المعمارية والزخرفية.

قصر القرار

يقع قصر القرار أسفل قصر الخلد، وبالقرب، من مصب نهر الصراة، وقد وصف من قبل بعض المؤرخين كما يذكر شريف يوسف فى شمال قصر الخلد وبالقرب من الجسر، نزله المنصور فى آخر أيامه وسمى بقصر زبيدة، ويبدو أنه لم يتسم بالضخامة فى أيام المنصور، وقد بنت به زبيدة أم جعفر على عهد ابنها محمد الأمين مجلساً لم تر العرب مثله من حيث تصاويره وتذهيبه، وأحرقه أصحاب طاهر بن الحسين سنة ١٩٧هـ/ ٩١٢م، ثم هجر وهدم وصار مكانه السجن الجديد[٢٠٩].

أحداث سياسية فى أيام المنصور وبيعة المهدى

وفى أيام المنصور حدثت أحداث خطيرة، من ذلك حرج مركز العباسيين بين الساخطين من العرب وعلى رأسهم عمه عبد الله بن على، والساخطين من الفرس وعلى رأسهم أبو مسلم الخراسانى، ولكن المنصور استطاع بحزمه ودهائه أن يأسر عمه ثم يقتله، وأن يقهر الفرس ويقتل أبا مسلم، كما استطاع أن يقهر العلويين ويقتل محمداً (النفس الزكية) بن عبد الله بن الحسن فى الحجاز، وأخاه إبراهيم فى العراق، ومن الأحداث التى وقعت فى عهده خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، وأخذ البيعة للمهدى ابنه، وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أنه كان أعظم الخلفاء العباسيين شدة وبأساً ويقظة وحزماً وصلاحاً واهتماماً بمصالح الرعية وجداً فى بلاطه، وهو يعتبر بحق المؤسس الثانى للدولة العباسية، ولم يحضر عند وفاة المنصور إلا خدمه ومولاه الربيع بن يونس، فكتم الربيع خبر موته، وأخذ الربيع من الأكابر والمسنين من أهل البيت البيعة للمهدى بن المنصور، ولعيسى بن موسى من بعده، ثم دعا بالقواد فبايعوا، وخرج موسى بن المهدى إلى مجلس العامة فبايع من بقى من القواد والوجوه، ثم توجه العباس بن محمد ومحمد بن سليمان إلى مكة، فبايع كثير من أهل مكة والمدينة، ومن ثم بويع المهدى البيعة الخاصة بمكة، ثم بايعه ببغداد أفراد البيت العباسى وقواد الجيش وغيرهم من رجال الدولة البيعة العامة، وذلك فى ١٨ ذى الحجة سنة ١٥٨ هـ[٢١٠].

المهدي

(١٥٨ — ١٦٩هـ/ ٧٧٥ — ٧٨٥م)

ولد محمد بن عبد الله المنصور (المهدى) بالحميمة سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٣م، وأمه أروى بنت منصور بن عبد الله الحميرى، نشأ فى بيت الخلافة، وعنى أبوه الخليفة المنصور بتثقيفه فمال إلى العلم والأدب، وعكف على حفظ أيام العرب ومكارم الأخلاق، ودراسة الأخبار والأشعار، فنشأ فصيحًا يقول الشعر ويجيده، ويحفظ كثيراً منه ومن أمثال العرب، وكان المهدى فى العاشرة من عمره حين آلت الخلافة إلى أبيه المنصور، ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره أرسله المنصور على رأس جيش للقضاء على فتنة والى خراسان، واستعان به المنصور للقضاء على فتنة أستاذ سيس[٢١١] الذى ادعى النبوة بخراسان، ثم ولاه المنصور فى سنة ١٥٣هـ/ ٧٧٠م إمارة الحج، ولما تمت البيعة العامة خطب المهدى خطبة عبر فيها عن عظم المسؤولية التى ألقاها موت أبيه على عاتقه[٢١٢].

عمائر دينية ودفاعية بالرصافة

أورد الطبرى فى أحداث سنة "تسع وخمسين ومائة" فيما يتعلق، بمدينة الرصافة التى تقدم ذكرها "وفيها بنى المهدى مسجد الرصافة. وفيها بنى حائطها، وحفر خندقها"[٢١٣]، وفى ذلك أورد ابن الأثير "وفيها بنى المهدى سور الرصافة ومسجدها، وحفر خندقها"[٢١٤].

ومدينة الرصافة أو عسكر المهدى كما تقدم شيدها الخليفة المنصور خلال الفترة من ١٥١ هـ/ ٧٦٨م إلى سنة ١٥٩ هـ/ ٧٧٥م أى أن عمارتها استمرت بعد وفاته فى عهد المهدى، وذلك لتكون ثكنات الجيش الذى كان يقوده المهدى فى الجانب الشرقى من دجلة فى مكان مقابل لمدينة السلام، فقد شيد بها المهدى كما يتضح من النص عمارة دينية تمثلت فى مسجدها الجامع، كما بنى بها المهدى عمارة دفاعية أو عسكرية تمثلت فى سورها وخندقها، لذا كان الفراغ من عمارتها فى سنة ١٥٩ هـ/ ٧٧٥م.

استحكامات دفاعية بمدينة سمرقند

يحدثنا ابن الأثير عن بناء استحكامات دفاعية بسمرقند بقوله فى أحداث سنة "تسع وخمسين ومائة" "وفيها ولى حمزة بن يحيى سجستان[٢١٥]، وجبرائيل بن يحيى سمرقند، فبنى سورها، وحفر خندقها"[٢١٦].

وعلى الرغم من أن الطبرى أورد فى أحداث هذه السنة ما نصه "وفيها ولى حمزة بن مالك سجستان، وولى جبرئيل بن يحيى سمرقند"[٢١٧]، إلا أنه لم يشر إلى بناء الاستحكامات الدفاعية التى ذكرها ابن الأثير.

حريق ببغداد عند قصر عيسى بن على

ومن الأحداث التى مرت بمدينة بغداد فى هذه السنة ١٥٩ هـ/ ٧٧٥م ما أورده الطبرى ونصه "وفيها وقع الحريق فى ذى الحجة فى السفن ببغداد عند قصر عيسى بن على، فاحترق ناس كثير، واحترقت السفن بما فيها"(٢١٨).

وقد تقدم ذكر قصر عيسى بن على الذى ورد فى نص الطبرى عند ذكر قصر عيسى، وهو قصر عيسى بن على بن عبد الله بن عباس الذى يعد أول قصر بناه العباسيون فى عهد الخليفة المنصور ببغداد، وكان يقع على شاطىء نهر الرفيل الذى يصب فى دجلة بغداد، وقد اندثر هذا القصر غير أنه أطلق اسمه على محلة كبيرة ذات سوق تسمى قصر عيسى.

كسوة الكعبة وعمارة المسجد النبوى ومآثر أخرى

ذكر الطبرى فى أحداث سنة "ستين ومائة" "وحج بالناس فى هذه السنة المهدى.. وشخص مع المهدى فى هذه السنة ابنه هارون.. وفيها نزع المهدى كسوة الكعبة التى كانت عليها، وكساها كسوة جديدة، وذلك أن حجبة الكعبة – فيما ذكر – رفعوا إليه أنهم يخافون على الكعبة أن تهدم لكثرة ما عليها من الكسوة، فأمر أن يكشف عنها ما عليها من الكسوة حتى بقيت مجردة، ثم طلى البيت كله بالخلوق، وذكر أنهم لما بلغوا إلى كسوة هشام وجدوها ديباجاً ثخيناً جيداً، ووجدوا كسوة من كان قبله عامتها من متاع اليمن. وقسم المهدى فى هذه السنة بمكة فى أهلها – فيما ذكر – مالا عظيماً، وفى أهل المدينة كذلك.. وفرق من الثياب مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب، ووسع فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر بنزع المقصورة التى فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فنزعت، وأراد أن ينقص منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعيده إلى ما كان عليه، ويلقى منه ما كان معاوية زاد فيه، فذكر عن مالك بن أنس أنه شاور فى ذلك، فقيل له: إن المسامير قد سلكت فى الخشب الذى أحدثه معاوية، وفى الخشب الأول وهو عتيق، فلا نأمن إن خرجت المسامير التى فيه وزعزعت أن يتكسر، فتركه المهدى. وأمر أيام مقامه بالمدينة بإثبات خمسمائة رجل من الأنصار ليكونوا معه حرساً له بالعراق وأنصاراً، وأجرى عليهم أرزاقا سوى أعطياتهم، وأقطعهم عند قدومهم معه ببغداد قطيعة تعرف بهم. وتزوج فى مقامه بها برقية بنت عمرو العثمانية. وفى هذه السنة حمل محمد بن سليمان الثلج للمهدى، حتى وافى به مكة، فكان المهدى أول من حمل له الثلج إلى مكة من الخلفاء[٢١٩].

خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد والبيعة لموسى الهادى

وشهدت هذه السنة ١٦٠ هـ/ ٧٧٨م خلع عيسى بن موسى وبيعة موسى الهادى، قال ابن الأثير "كان جماعة من بنى هاشم وشيعة المهدى قد خاضوا فى خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، والبيعة لموسى الهادى بن المهدي[٢٢٠].

وقد كان عيسى بن موسى بن محمد بن على كما تقدم هو الذى أخذ البيعة بالعراق لأبى جعفر المنصور بعد وفاة الخليفة السفاح، وكان الخليفة السفاح قد عهد إليه بالخلافة بعد المنصور، غير أن الخليفة المنصور كما تقدم خلع عيسى بن موسى وبايع لابنه المهدى، وقيل ثم من بعد المهدى عيسى بن موسى، وقد ارتبط اسم عيسى بن موسى عند معظم علماء الآثار الإسلامية بعمارة قصر الأخيضر الذى يؤرخ ببداية النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى/ الثامن الميلادى، وهو الأمر الذى سوف نتناوله فى موضعه من الكتاب.

زيادة الخليفة المهدى فى المسجد النبوي

فيما يتعلق بزيادة الخليفة العباسى المهدى فى المسجد النبوى، تلك الزيادة التى أوردها الطبرى يرى أحمد فكرى نقلاً عن السمهودى "نقل ابن زبالة ويحيى أن المسجد لم يزل على حال ما زاد فيه الوليد، إلى أن هم أبو جعفر المنصور بالزيادة فيه، ثم توفى، ولم يزد فيه، حتى زاد فيه المهدى"، وعهد ببناء هذه الزيادة إلى عبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز، وعبد الملك بن شبيب الغسانى، ومات ابن عاصم، فولى المهدى مكانه عبد الله بن موسى الحمصى، وكان ذلك فى سنة ١٦٠هـ/ ٧٧٨ م، وتمت أعمال البناء بعد سنتين، أو بعد خمس سنوات، وقيل كانت زيادة المسجد من ناحية الشام، قدر مائة ذراع، ويعلق أحمد فكرى أن صحتها خمساً وستين ذراعاً، "ولم يزد فى القبلة ولا فى المشرق والمغرب شيئاً"، وقدرت هذه الزيادة بما يعادل ست أساطين، واستقرت حدود المسجد الشمالية على هذا الحد منذ ذلك التاريخ، وقيل إن المهدى زخرف مؤخر المسجد بالفسيفساء، وكانت مازالت آثار هذه الزخرفة باقية فى عهد السمهودي[٢٢١].

ويضيف أحمد فكرى أن حدود المسجد النبوى ونظمه قد استقرت على حالها فى عهد المهدى إلى أن احترق[٢٢٢] فى سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، وكان ابن جبير قد زاره قبل ذلك فى سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م، وترك وصفاً دقيقاً له، وهو فى واقع الأمر كما يذكر أحمد فكرى وصف لحالة المسجد ونظامه فى عهد الخليفة المهدى، أى فى سنة ١٦٥هـ/ ٧٨٣م، فقد أورد ابن جبير عند ذكره مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر روضته المقدسة "المسجد المبارك مستطيل، وتحفه من جهاته الأربع

بلاطات مستديرة به، ووسطه كله صحن مفروش بالرمل والحصى، فالجهة القبلية منها لها خمس بلاطات مستطيلة من غرب إلى شرق، والجهة الجوفية لها أيضاً خمس بلاطات على الصفة المذكورة، والجهة الشرقية لها ثلاث بلاطات، والجهة الغربية لها أربع بلاطات. والروضة المقدسة مع آخر الجهة القبلية مما يلى الشرق.. فجميع سعة الروضة المكرمة.. وهى مؤزرة بالرخام البديع النحت الرائع النعت. وينتهى الإزار منها إلى نحو الثلث أو أقل يسيراً، وعليه من الجدار المكرم ثلث آخر.. والذى يعلوه من الجدار شبابيك عود متصلة بالسمك الأعلى، لأن أعلى الروضة المباركة متصل بسمك المسجد، وإلى حيز إزارالرخام تنتهى الأستار، وهى لازوردية اللون، مختمة بخواتيم بيض مثمنة ومربعة. وفى داخل الخواتيم دوائر مستديرة ونقط بيض تحف بها، فمنظرها منظر بديع الشكل. وفى أعلاها رسم مائل إلى البياض. وفى الصفحة القبلية أمام وجه النبى، صلى الله عليه وسلم، مسمار فضة، هو أمام الوجه الكريم فيقف الناس أمامه للسلام. وإلى قدميه، صلى الله عليه وسلم، رأس أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، ورأس عمر الفاروق مما يلى كتفى أبى بكر الصديق، رضى الله عنهما فيقف المسلم مستدبر القبلة ومستقبل الوجه الكريم، فيسلم ثم ينصرف يميناً إلى وجه أبى بكر، ثم إلى وجه عمر رضى الله عنهما. وأمام هذه الصفحة المكرمة نحو العشرين قنديلاً معلقة من الفضة، وفيها اثنان من ذهب. وفى جوفى الروضة المقدسة حوض صغير مرخم، فى قبلته شكل محراب، قيل: إنه كان بيت فاطمة، رضى الله عنها، ويقال: هو قبرها، والله اعلم بحقيقة ذلك. وعن يمين الروضة المكرمة المنبر الكريم.. وهو مرخم كله.. والمنبر مغشى بعود الآبنوس، ومقعد الرسول صلى الله عليه وسلم، من أعلاه ظاهر.. وعدد سواريه مئتان وتسعون، وهى أعمدة متصلة بالسمك دون قسى تنعطف عليها، فكأنها دعائم قوائم، وهى من حجر منحوت قطعاً قطعاً ململمة مثقبة توضع أنثى فى ذكر ويفرغ بينهما الرصاص المذاب إلى أن تتصل عموداً قائماً، وتكسى بغلالة جيار، ويبالغ فى صقلها ودلكها فتظهر كأنها رخام أبيض. والبلاط المتصل بالقبلة من الخمسة بلاطات المذكورة تحف به مقصورة تكتنفه طولاً من غرب إلى شرق، والمحراب

فيها.. وبإزاء المقصورة إلى جهة الشرق خزانتان كبيرتان محتويتان على كتب ومصاحف موقوفة على المسجد المبارك. ويليهما فى البلاط الثانى لجهة الشرق أيضاً دفة مطبقة على وجه الأرض مقفلة هى على سرداب يهبط إليه على أدراج تحت الأرض يفضى إلى خارج المسجد إلى دار أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، وهو كان طريق عائشة إليها.. ولا شك أن ذلك الموضع هو موضع الخوخة المفضية لدار أبى بكر التى أمر النبى، صلى الله عليه وسلم، بإبقائها خاصة. وأمام الروضة المقدسة أيضاً صندوق كبير هو للشمع والأنوار التى توقد أمام الروضة كل ليلة. وفى الجهة الشرقية بيت مصنوع من عود هو موضع مبيت بعض السدنة الحارسين للمسجد المبارك.. والمؤذن الراتب فيه أحد أولاد بلال، رضى الله عنه. وفى جهة جوف الصحن قبة كبيرة محدثة جديدة تعرف بقبة الزيت هى مخزن لجميع آلات المسجد المبارك وما يحتاج إليه فيه. وبإزائها فى الصحن خمسة عشر نخلة .. ونصف جدار القبلة الأسفل رخام، موضوع إزاراً على إزار، مختلف الصنعة واللون، مجزع أبدع تجزيع. والنصف الأعلى من الجدار منزل كله بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء، قد أنتج الصناع فيه نتائج من الصنعة غريبة تضمنت تصاوير أشجار مختلفات الصفات مائلة الأغصان بثمرها. والمسجد كله على تلك الصفة، لكن الصنعة فى جدار القبلة أحفل. والجدار الناظر إلى الصحن من جهة القبلة كذلك، ومن جهة الجوف أيضاً. والغربى والشرقى الناظران إلى الصحن مجردان أبيضان ومقر نصان قد زينا برسم يتضمن أنواعاً من الأصبغة، إلى ما يطول وصفه وذكره من الاحتفال فى هذا المسجد المبارك المحتوى على التربة الطاهرة المقدسة.. وللمسجد المبارك تسعة عشر باباً، لم يبق منها مفتحاً سوى أربعة فى الغرب: منها اثنان، يعرف أحدهما بباب الرحمة، والثانى بباب الخشية، وفى الشرق اثنان: يعرف أحدهما بباب جبريل، عليه السلام، والثانى بباب الرجاء. ويقابل باب جبريل، عليه السلام، دار عثمان، رضى الله عنه، وهى التى استشهد بها. ويقابل الروضة المكرمة، من هذه الجهة الشرقية، روضة جمال الدين الموصلى، رحمه الله.. وأمام الروضة المكرمة شباك حديد مفتوح إلى روضته.. وفى القبلة باب صغير واحد مغلق، وفى

الجوف أربعة مغلقة، وفى الغرب خمسة مغلقة أيضاً، وفى الشرق خمسة أيضاً مغلقة، فكملت بالأربعة المفتوحة تسعة عشر باباً. وللمسجد المبارك ثلاث صوامع: إحداها فى الركن الشرقى المتصل بالقبلة، والاثنتان فى ركنى الجهة الجوفية صغيرتان كأنهما على هيئة برجين، والصومعة الأولى المذكورة على هيئة الصوامع"[٢٢٣].

عمارة القصور والمصانع

وفى أحداث سنة "إحدى وستين ومائة أورد الطبرى" وفيها أمر المهدى ببناء القصور فى طريق مكة أوسع من القصور التى كان أبو العباس بناها من القادسية إلى زبالة، وأمر بالزيادة فى قصور أبى العباس، وترك منازل أبى جعفر التى كان بناها على حالها، وأمر باتخاذ المصانع فى كل منهل، وبتجديد الأميال والبرك، وحفر الركايا مع المصانع، وولى ذلك يقطين بن موسى، فلم يزل ذلك إليه إلى سنة إحدى وسبعين ومائة، وكان خليفة يقطين فى ذلك أخوه أبو موسى"[٢٢٤].

عمارة المسجد الجامع بالبصرة

أورد الطبرى "وفيها أمر المهدى بالزيادة فى مسجد الجامع بالبصرة، فزيد فيه من مقدمه مما يلى القبلة، وعن يمينه مما يلى رحبة بنى سليم، وولى بناء ذلك محمد بن سليمان وهو يومئذ والى البصرة"[٢٢٥].

وقد ذكر أحمد فكرى المسجد الجامع بالبصرة التى تعد أول مدينة أحدثت فى الإسلام، وأضاف أن المسجد زيد فيه بعد العصر الأموى مرتين، مرة فى عهد الخليفة المهدى (١٥٨-١٦٩ هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م) وذلك فى سنة ١٦١ هـ/ ٧٧٩م، ومرة فى عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م)، وأدخلت فى عهدهما الدور المحيطة بالمسجد ودار الأمارة[٢٢٦].

نزع المقاصير وتقصير المنابر

أورد الطبري "وفيها أمر المهدى بنزع المقاصير من مساجد الجماعات وتقصير المنابر وتصييرها إلى المقدار الذى عليه منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتب بذلك إلى الآفاق فعمل به"[٢٢٧].

قصر الأخيضر حوالى ١٦١هـ/ ٧٧٨م

الموقع

يقع قصر الأخيضر فى منطقة تتسم بأهمية تاريخية، إذ تلتقى عندها العديد من طرق القوافل التجارية القديمة، منها الطريق الذى يبدأ بالكوفة إلى الشام ماراً بالأخيضر، وتنتظم فى هذا الطريق عدة مراكز منها موجدة وعطشان إلى الجنوب من الأخيضر وقلعة شمعون وبردويل إلى الشمال، كما أنه يعتبر نقطة التقاء العديد من الطرق التى تربط العراق بالبحر الأبيض المتوسط وبالخليج العربى والبحر العربى، ويقع إلى الجنوب الغربى من كربلاء بنحو ٥٠كم، وحوالى ١٥٢كم جنوبى غربى بغداد، وهو على مقربة من وادى الأبيض، حيث يمتد فى البادية إلى مسافات بعيدة، وتتجمع فيه مياه الأمطار، وتأخذ طريقها إلى هورابى دبس[٢٢٨].

وهو الآن على الطريق الذى يربط كربلاء ببلدة عين التمر[٢٢٩]، وقد كشفت التحريات الأثرية والمسوحات الطبوغرافية التى أجريت كما يذكر عيسى سلمان بالمنطقة عن عدة مواقع من عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية والإسلامية، فقد ظهر بعد دراسة بعض الصور الجوية لقصر الأخيضر وما يحيط به من كثبان تمتد بين القصر ووادى الأبيض ظهر أن هذه الكثبان تؤلف مدينة كاملة تنتشر مساكنها فى شمال القصر وشرقيه وأجزاء أخرى من غربيه، فالنصف الشمالى منها يقع على مسافة كيلو مترين من بوابة القصر الشمالية، وقد قامت بعثة ألمانية سنة ١٩٧٣ – ١٩٧٤م بالكشف عن مجموعة من دور السكن وعثرت على مسجد وبقايا محراب، وظهر أن تلك البيوت كانت مشيدة باللبن، والبعض الآخر مشيداً بالآجر،

وكشفت التنقيبات الأثرية عن مجموعة من زخارف الجص والفخار والزجاج وأغلبها يرجع إلى العصر الأموى، وكشفت عن بيوت للسكن أمام القصر بمسافة ٣٠م، ويظهر أن تغييراً قد حدث فى طبيعة هذه المنطقة أدى إلى إهمال سكناها[٢٣٠].

المنشئ وتاريخ الإنشاء

اختلفت الآراء حول تاريخ بناء قصر الأخيضر، فهناك من يرى أن عمارة القصر تعود إلى عصور ما قبل الإسلام، ونذكر منهم على سبيل المثال المستشرق ما سينون (Massignon) الذى أرخه بالعصر الساسانى، وأنه (قصر السدير) المشهور، وأيده فى ذلك ديولافوا (DieulaFoy)، ويرى الباحث العراقى محمود شكرى الألوسى أن اسم الأخيضر معروف، وهو محرف من (الأكيدر) أحد أمراء قبيلة كندة الذى أسلم فى صدر الإسلام، وهناك من يرى أنه شيد فى العصر الإسلامى، غير أنه اختلف فى الفترة الزمنية التى يعود إليها القصر، فقد رأت مس بل (Bell) التى تعد أول من فطن إلى وجود المسجد فى القصر وذلك فى سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩٠٩م أنه (دومة الحيرة) التى شيدت فى زمن الأمويين، ورأى هرتزفلد (Hertz Feld) أنه يرجع إلى عهد بناء مدينة سامراء، وأرخ موسيل القصر بسنه ٢٧٧هـ/ ٨٩٠ – ٨٩١م، حيث رأى فيه نقطة تجمع القرامطة من سواد الكوفة، فنسبه إلى إسماعيل بن يوسف الأخيضر الذى نسبه أبو طاهر سليمان والياً على الكوفة سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٦م، بعد أن قام القرامطة العرب الشرقيون بقيادة أبى طاهر المذكور بالإستيلاء على المدينة، وجعل القرامطة حصن الأخيضر قاعدة لهم فى الشمال، وهكذا اقترن لقب الرجل الأول بالحصن وصار معلقاً بذاكرة أهل الواحات المجاورة له، ورأى كريزول (Creswell) أن تاريخ إنشاء القصر يرجع إلى حدود الفترة من ١٠٢ – ١٦٤هـ، وذهب إلى أنه من بناء عيسى بن موسى بن عبد الله العباسى الذى كان والياً على الكوفة فى عهد عمه المنصور الخليفة العباسى، وكان السفاح الخليفة العباسى قد أوصى أن تكون الخلافة لعيسى بن موسى بعد أبى جعفر المنصور، غير أن المنصور خلع عيسى بن موسى كما تقدم فى أحداث سنة "سبع وأربعين ومائة" وبايع لابنه المهدى، وجعل عيسى بن موسى ولى عهد

المهدى، وقام الخليفة المهدى فى أحداث سنة "ستين ومائة" بخلع عيسى بن موسى وبيعة موسى الهادى كما تقدم، وعند ذلك ذهب عيسى بن موسى إلى البادية، حيث شيد من وجهة نظر كريزويل قصر الأخيضر بالمال الذى أخذه من المنصور والمهدى لقاء تنازله عن ولاية العهد، وإضافة المهدى هنا من المؤلف، ويعلق نافع محمد يحيى الراوى كما يذكر شريف يوسف على رأى كريزويل فى نسبة القصر إلى عيسى بن موسى بقوله أن نسبة بناء القصر إلى عيسى بن موسى وانفراده بعزلة كاملة بعيداً عن الكوفة يتناقض مع واقع القصر، فالقصر بتكوينه المعمارى سواء من حيث التخطيط أو الوحدات والعناصر المعمارية يدل على أنه بنى للمقاتلة لا للعزلة والتعبد، وعلى هذا الأساس فإن كان لابد لتحقيق كريزويل لرأيه من أن عيسى بن موسى هو أقوى من وقع عليه الاختيار لبناء هذا الحصن، فأعتقد أن عيسى بن موسى بناه فى أثناء فترة ولايته على الكوفة التى استمرت ثلاث عشرة سنة عندما كان تابعاً للخلافة بأمر من الخليفة، وبمال من الدولة ليجعله حصناً يحمى الكوفة والأنبار وبالتالى بغداد من مهاجمة الخارجين على الحكم، إذ لابد هناك ظروفاً حربية تستدعى بناء مثل هذا الحصن المعزز بالأسوار والأبراج وبجميع الوسائل الحربية[٢٣١].

ويرى عيسى سليمان أن قيمة وأهمية هذا البناء تزداد عاماً بعد عام، فقد كان وما يزال موضوعاً لأكثر من دراسة وبحث علمى وكتاب لإلقاء الضوء على مكامن الروعة والإتقان فيه، والكشف عن الجديد فى هندسته وتصميمه وعناصره المعمارية والزخرفية، فهو بحق من أهم وأكمل الآثار العربية الإسلامية ليس فى العراق فحسب بل فى جميع أنحاء العالم الإسلامى، إذا ما أخذت الفترة الزمنية التى ينسب إليها بعين الاعتبار، والواقع أنه لا يساور الشك فى الوقت الحاضر أياً من المتخصصين فى أن هذا البناء قد شيد فى العصر الإسلامى فى ضوء مسجده الأصيل وبعض عناصره المعمارية غير المعروفة قبل الإسلام، وصيغة هندسته وعمارته، ولم تذكر المصادر التاريخية هذا البناء، ولم تكشف التحريات والتنقيبات الأثرية التى أجريت فيه عن كتابات أو لقى تشير وبدقة إلى فترة تشييده، ويغلب على الظن أن

بعده عن المدن الرئيسية، وعدم وقوعه على أحد الطرق المهمة التى كانت تربط بين مدن العالم العربى الإسلامى وتلك التى تقود إلى مكة والمدينة، هما من العوامل التى أدت إلى عدم الإشارة إليه وذكر أخباره، ويرجح عيسى سلمان أنه شيد فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجري/ الثامن الميلادى أو بعبارة أخرى بين تاريخ بناء مدينة السلام (بغداد) وسر من رأى (سامراء)، وهذا الاحتمال قائم على طبيعة تصميمه وهندسته وعناصره المعمارية والهندسية خاصة إذا ما قورن مع دار إمارة الكوفة فى شكلها بعد التوسيع الذى أصابها فى العصر العباسى الأول[٢٣٢].

ويرجح حسن الباشا أنه شيد على يد الأمير العباسى عيسى بن موسى بن عبد الله فى حوالى سنة ١٦١هـ/ ٧٧٨م دون الاستناد إلى أدلة تاريخية أو نصوص تأسيسية يرد فيها هذا التاريخ[٢٣٣].

وظيفة القصر

يذكر عيسى سلمان أنه من الأمور التى لم يتفق المتخصصون حولها، هو نوع الوظيفة التى كان يؤديها هذا البناء، فهناك من يعتقد أنه حصن عسكرى يشكل خط دفاع وحماية ضد من يحاول أن يتقدم من الغرب أو الجنوب الغربى تجاه مدينة السلام، ويعتقد آخرون أنه قصر صيد ونزهة للاستمتاع بجمال المنطقة أيام الربيع، ويقول فريق ثالث أنه إحدى قلاع من انشق وتمرد على السلطة المركزية فى مدينة بغداد أو السلام، وهناك من يربطه بعدد من القصور أو الأبنية التى تقع غربى الفرات، وتوصل ما بين البصرة والشام، أى أنه محطة للقوافل التجارية التى كانت تسير على هذا الخط، وإذا ما عرفنا أن الأخيضر يقوم وسط بلدة صغيرة، كما تبين التصاوير الجوية وما كشفت عنه التحريات التى أجريت على مقربة منه، ووجود قصر آخر يقابله تقريباً ويقع إلى يسار وادى الأبيض، ويرجع إلى العصر الأموى وأن سعة الأخيضر ومخططه ووسائل دفاعه لا تختلف كثيراً عن تخطيط وعمارة دار إمارة الكوفة كما تقدم فى العصر العباسى الأول، فيظهر لنا أن الأخيضر ما هو إلا دار إمارة لوالى عباسى كان يمثل الخليفة فى حكم تلك المنطقة[٢٣٤].

وصف القصر

يحيط بالقصر وسوره الداخلى كما يذكر كل من طاهر العميد[٢٣٥] وشريف يوسف[٢٣٦] سور خارجى شيد باللبن يبلغ طول جداره الشمالى ٦١٠م، وهذا الجدار شيد بشكل مائل بحيث يكون بعده عن الزاوية الشمالية الشرقية للقصر ٤٦.٩٠م، وبعده عن الزاوية الشمالية الغربية ١١٢م، ثم يصبح متعامداً مع الضلع الغربى من السور الخارجى، أما الجدار الجنوبى فيبلغ طوله ٦٣٥م، ويبلغ طول الجدار الشرقى ٣١١م، والغربى ٥٤٠م، ويدعم هذا السور أبراج نصف وشبه دائرية، وسوره الداخلى المشيد بالحجر الجيرى غير المنتظم على شكل مستطيل طول ضلعه من الشمال إلى الجنوب ١٧٥.٨٠م، وعرضه من الشرق إلى الغرب ١٦٣.٦٠ م، ويشغل القصر جزءا كبيراً من هذه الأرض، وهو مستطيل الشكل، جداره من الشمال إلى الجنوب يبلغ ١١٢م، ومن الشرق إلى الغرب ٨٠م، وتتجه جدران السور نحو الجهات الأربع تماماً، وتفصيل ذلك أن السور الخارجى قد وصل إلينا فى حالة جيدة، يبلغ ارتفاعه الحالى بحدود ١٧م، وكان بحدود ٢١م، بسمك ٤.٥م إلى ارتفاع ١٠.٥م، أى إلى مستوى أرضية المجاز العلوى، إذ أن السور ينقسم إلى جدارين أحدهما خارجى، والآخر داخلى يطل على فناء القصر، يفصل بينهما مجاز بعرض ٢م، يغطيه قبو نصف برميلى، ويدور هذا المجاز أو الدهليز على السور كله، ولم يصل إلينا من هذا القبو غير جزء صغير بالقرب من الباب الشمالى، ويضاء هذا الجزء من خلال فتحات تمتد على الجدار الداخلى بارتفاع ١.٨٠م، ويتصل الدهليز أو المجاز بحجرة تقع فوق كل برج من الأبراج، وتدعم السور أبراج نصف دائرية تقوم على قواعد مستطيلة، أما أبراج الأركان فهى شبه دائرية، أو أبراج زاوية، أو على هيئة ثلاثة أرباع الدائرة، وترتكز على قواعد مربعة، وترتفع الأبراج بارتفاع السور، وهى على هيئة غرف نصف دائرية، وشبه دائرية فى القسم العلوى من السور، ويبلغ قطر هذه الأبراج ٣.٣٠م، أما أبراج الأركان فقطرها ٥.١٠م، ويبلغ عدد أبراج السور ثمانية وأربعون برجاً موزعة بالتساوى على الجدران، وتبلغ المسافة

بين كل برجين ٧م، وقد أوجد المعمار بين كل برجين حنيتين، وقياسات كل حنية ١٤٠×٥٠سم تقريباً، وفيها مزاغل شاقولية (عمودية) لرمى السهام، وتتوج الحنايا عقود نصف دائرية ترتكز على دعامات مستطيلة ملتصقة بالجدار، وترتفع بارتفاع القسم المصمت من السور، وهى ذات وظيفة دفاعية، وتغطى وجوه الجدران من الداخل حنايا بنفس العرض والارتفاع إلا أن وظيفتها غير دفاعية، كما فى الحنايا الخارجية، ويخترق السور أربعة مداخل تتوسط جدرانه الأربعة، ويتشابه تصميم المداخل الشرقية والغربية والجنوبية، أما المدخل الشمالى فيختلف عنها، حيث أوجد المعمار برجين مستطيلين على جانبيه، بواقع برج فى كل جانب، أما فى بقية المداخل فإن تصميم الأبراج على جانبيها جاء على هيئة نصف دائرية، ويمر الداخل إلى القصر من أى من هذه المداخل بفتحة باب مستطيلة، يتوجها عقد مدبب، تؤدى إلى بهو مستطيل ذى فتحات خاصة على يمين بدايته ويسارها، وهى مكان الباب المنزلق الذى يغلق على المدخل، ويؤدى البهو بدوره إلى باب آخر يطل على داخل القصر ويشبه الباب الخارجى، وعلى جانبى هذا الباب يوجد بابان لسلم يؤدى إلى القسم العلوى المقبى من السور وإلى غرفتين فوق بهو المدخل بشكل طابقين، والسلمان كما يذكر عيسى سلمان[٢٣٧] بهيئة ملتوية، ويتميزان بتصميم خاص، حيث يبرزان عن البناء الذى يخترقانه بهيئة مكعب مستطيل يرتفع بارتفاع السور، والفتحتان اللتان تدخلان الإضاءة والتهوية إلى بهو المدخل فى الطابقين الأول والثانى كبيرتان نسبياً، وتخترق سقف بهو المدخل الأرضى خمس فتحات متوازية مستطيلة صغيرة نسبياً، عبارة عن مزاغل أفقية، ويشكل السلمان الملتويان أيضاً جزء من القوى الدفاعية للمداخل وهما يفضيان إلى دهليز السور.

يتوسط المدخل الشمالى القصر، ويشتمل على واجهة بارزة بعرض ١٦م، وبروز ٥م عن مستوى وجه السور بأبراجه، فهو بهيئة مستطيل يتوسطه الباب الخارجى للمدخل بحيث يتألف من برجين مستطيلين يحفان بالباب الخارجى وفتحتين معقودتين إحداهما تعلو الأخرى، ويتضح من تصميم هذا المدخل أن تعديلاً أجرى

عليه، حيث كان فى الأصل يشبه المداخل الثلاثة الأخرى، حيث غطى جزء من هذا المستطيل إحدى الحنيتين اللتين تفصلان بين كل برجين، وظهرت الاستطالة بوضع غير متناغم مع الأبراج والجدار الذى تدعمه(٢٣٨).

يؤدى هذا المدخل إلى بهو مستطيل ٥.٨٠×٣م، ويوجد فراغ خلف الباب يؤشر مكان جانبى الباب المنزلق الذى يغلق على هذا المدخل، ويتكرر ذلك مرتين أخريين فى وسط البهو أو الدهليز وقبل باب نهاية الدهليز، مما يدل على وجود ثلاثة أبواب منزلقة، وشغل سقف الدهليز المقبى بسبعة أقبية متتالية من خلال سبعة مزاغل أفقية تستخدم من قبل الجنود المقيمين بالغرفة الكائنة فوق هذا الدهليز، وينتهى هذا الدهليز بعقد يفضى إلى دهليز كبير مستعرض يفصل جدار السور الشمالى عن القصر ويتقاطع معه ليؤدى إلى مدخل البهو الكبير الذى يتوسط القسم الشمالى من القصر، وتقوم قبة نصف كروية تزدان من الداخل بزخارف هندسية ناتجة من التباين فى صف الطابوق على مربع تقاطع المدخل مع الدهليز، ويمكن الصعود إلى السور من خلال سلمين يقعان فى بداية البهو الكبير أحدهما بشكل انسيابى، والآخر الأيمن بهيئة درج عادى، ولا يقتصر الصعود إلى دهليز السور على السلالم بالمداخل، بل هناك أربعة سلالم أخرى تقوم فى أركان السور من الداخل، وهى حلزونية تؤدى إلى الأبراج المستديرة والدهليز، وبالدهليز تحصينات دفاعية أخرى، حيث أوجد المعمار به من الداخل عدة نوافذ، وتوجد طاقات أخرى محدودة أقل ارتفاعاً من بقية النوافذ، أما من الخارج فجدران الدهليز والأبراج مفتوحة بمزاغل عددها ثلاثة فى كل برج نصف دائرى وخمسة فى كل برج شبه دائرى، عدا أربعة أبراج من الجدار الشمالى فهى خالية من المزاغل، وأربعة بين كل برجين، وجميع هذه المزاغل شاقولية (عمودية – رأسية)، وهناك مزاغل أخرى أفقية تنفذ من أرضية المجاز، وتخترق خلفيات الحنايا، وتكون وسيلة لصب السوائل والمحرقات على الذين ينجحون فى الوصول إلى قاعدة السور، وهى تشبه مزاغل دهاليز المداخل، والمزاغل هنا والأبواب المنزلقة، وسمك السور وصلابته، وارتفاعه وكثرة السلالم التى تؤدى إلى القسم العلوى منه، وسقف دهليزه نصف الأسطوانى، والنوافذ التى

تشرف على داخل القصر والغرف فوق الأبواب التى تتصل بالدهليز وغرف الأبراج المستديرة كلها وسائل دفاعية[٢٣٩].

وتتوج السور من الخارج حنايا على هيئة محاريب تتوجها عقود نصف دائرية ترتكز على أعمدة أسطوانية مندمجة، يحيط هذا السور الضخم بالقصر، ويتصل به من الجهة الشمالية فقط، ويشكل فناءً يحيط بالقصر من الجهات الثلاث الأخرى، وجدار القصر مدعم بأبراج نصف دائرية عددها (٢١ برجًا) إضافة إلى برجى الركن الجنوبى الشرقى والجنوبى الغربى، أما الجدار الشمالى فخال من الأبراج، وذلك لأنه الجدار الجنوبى للدهليز الكبير الذى يفصل بين القصر والسور.

يكشف تخطيط القصر أنه يتألف من قسمين أحدهما جنوبى، والآخر شمالى، وهما معاً يتكونا من سبع وحدات تختلف فى وظائفها، ويضم القسم الجنوبى الجزء المركزى الذى خصص للأمور السياسية والإدارية، وهناك أربع وحدات سكنية تحيط بالجزء المركزى من الشرق والغرب ويقع الجزء الخاص بالخدمات والمكون من المطبخ والحمامات ودور الخدم بالقسم الجنوبى من القصر، وجميع هذه الأجزاء بطابق واحد، أما القسم الشمالى فيضم المسجد والبهو الرئيسى ومرافقه، وهو من ثلاثة طوابق ما عدا المسجد فإنه يتألف من طابق واحد على غرار أجزاء القسم الجنوبى، ويبدو أن هذه الأجزاء كانت للحراس والموظفين، أما مادة بناء القصر فكانت من الحجر والجص، وهناك أجزاء منه شيدت بالطابوق والجص، وهو مشيد بقوة السور، وارتفاع جدرانه حوالى ٦م[٢٤٠].

يتميز الدهليز المستعرض الفاصل بين جدار السور الشمالى والقصر بأنه أكثر اتساعاً من دهليز المدخل، ويتوصل إلى هذا الدهليز من باب المدخل الشمالى الذى يطل على هذا الدهليز، ويتقاطع معه ليؤدى إلى مركز القسم الشمالى من القصر، وقد سقف التقاطع بقبة نصف كروية، وهى أقدم قبة فى العمارة العربية الإسلامية، ويغطى الدهليز قبو أسطوانى يفتح من الجهة الشرقية على الفناء الشرقى الذى يفصل بين القصر والسور، ويفتح عن طريق بوابة إلى الفناء الغربى، ومنه يمكن

الدخول إلى صحن المسجد والدار التى كانت تشغل القسم الشرقى من القصر يؤدى الدهليز المستعرض إلى دهليز آخر مستطيل يؤدى بدوره إلى البهو الذى يتوسط القسم الشمالى، وهو أكبر وحدة فى القصر، يتميز هذا الدهليز الأخير بسمكه، ويغطيه قبو نصف برميلى معقود بالطابوق، ويشتمل على سلمين جانبيين أحدهما منحدر، يؤديان إلى الطابق العلوى، جاء تخطيطه مستطيل الشكل يتوسط القسم الشمالى من عمارة القصر، أبعاده ١٥.٥×٩م، تحيط به من الجهة الشرقية دهليز وثلاث قاعات مستطيلة، أما فى الجهة الغربية فهناك ثلاث قاعات مستطيلة ودهليز يؤدى إلى الجامع، ويفتح من الجهة الجنوبية بمدخل إلى المجاز الذى يفصل ما بين القسم الشمالى من القصر وبقية الأقسام، والجزء الغربى من القسم الشمالى يشغله المسجد، أما القسم الشرقى فتشغله دار كبيرة نسبياً من ثلاثة طوابق مثل القسم الأوسط فى القصر، تتكون من فناء مستطيل تطل عليه غرف من الناحيتين الشرقية والجنوبية، ويتقدم الغرف من الناحية الغربية رواق يغطيه سقف برميلى، وترتكز عقوده. التى على هيئة نصف برميلية على دعامات أسطوانية ذات قواعد وتيجان مربعة، ويتكرر نفس التكوين فى الطابق التالى والذى بعده، ومعظم غرف هذه الدار وتلك التى تقع فوق البهو الكبير وعلى جانبيه خالية من الزخارف ما عدا تلك الزخارف التى تزين بواطن أقبية المسجد المحفورة فى الجص، وتلك التى تزين أجزاء من البهو والمكونة من التفنن فى صف الطابوق.

يتألف القسم المركزى فى القصر من فناء يشغل نصف مساحة هذا القسم، وهو مستطيل الشكل، أبعاده ٣٣×٢٧م شغلت جدرانه الداخلية بحنايا مرتفعة ذات عقود مدببة ترتكز على دعامات مندمجة بالجدران وتزين الفراغات ما بين العقود وحدة هندسية على هيئة معينات ناتجة من التفنن فى صف الطابوق، ويرتفع جدارها بارتفاع القسم الشمالى من القصر أى بحدود ٢٠م، ويتوسط جداره الجنوبى بهو مفتوح على الصحن يسمى بهو الشرف، يطل على الفناء بعقد مدبب يرتكز على عمودين شبه أسطوانيين بقواعد وتيجان مربعة، والبهو مستطيل الشكل أبعاده ١٠.٧٥×٦م، يفتح على خمس غرف: اثنتان مستطيلتان على يمينه، ومثلهما على

يساره، والأخيرة مربعة خلفه، وتفتح هذه الغرفة المربعة من جوانبها الثلاثة فتطل من جهة الجنوب على رواق من ثلاثة عقود نصف دائرية تقوم على دعامات أسطوانية، ويطل الرواق على فناء مستطيل محاط بغرفتين من الجهتين الشرقية والغربية، ويتوسط هذا الفناء مدخل على خط محور الغرفة المربعة، والبهو الكبير فى القسم الشمالى والمدخل الشمالى، ويؤدى من جهة الجنوب إلى الدهليز المستطيل الذى يحيط بالقسم المركزى، أما من جهة الشرق فتفتح الغرفة المربعة على غرفة مستطيلة، وكذلك من الغرب، وجميع غرف هذا القسم من أقبية نصف برميلية من الداخل، وأسقف مستوية من الخارج، فيما عدا سطح بهو الشرف والقاعة المربعة التى تليه فهو من قبو نصف برميلى، ويستدل من تصميم هذا القسم وموقعه من القصر أنه كان لأعمال الوالى، ويحيط بهذا القسم دهليز مقبى يفصله عن باقى أقسام القصر، وبعض غرف هذا القسم مكسوة بالجص وتزدان بزخارف جصية، وخاصة كل من الغرفتين الجانبيتين اللتين تقعان على جانبى البهو، وهى عبارة عن وحدات هندسية محفورة بعمق وحنايا أو طاقات تتوجها عقود مفصصة، أما الدهليز المقبى الذى يفصل هذا القسم عن بقية أقسام القصر فيتميز من خلال تقاطع عقود أقبية مسقوفة عند الأركان الأربعة.

وتشغل الجناح الغربى من القصر داران للسكن جاء تصميمهما وفقاً للطراز الحيرى، تمتدان من خلف المسجد إلى القسم الجنوبى الغربى من الجدار الجنوبى، وهاتان الداران متناظرتان مع دارين مثلهما تماماً تشغلان الجناح الشرقى من القصر، تتألف الدار التى تشغل الركن الشمالى الغربى من فناء مربع تفتح عليه غرفتان يتوسطهما إيوان، ويتقدم الجميع رواق مقبى (سقيفة مقبية) تقوم عقوده على أعمدة أسطوانية من كل من الجهتين الشمالية والجنوبية، أما الدار الثانية فتشغل نفس مساحة الدار الأولى وبنفس التصميم، إلا أنها لا تتضمن أروقة (سقائف) تتقدم الغرف فيها، وهناك باب إضافى كما يذكر عيسى سلمان فى الدار التى تشغل الركن الجنوبى الشرقى تنفذ إلى فناء الدار من الجدار الشرقى للقصر باتجاه المدخل الرئيسى الذى يخترق ويتوسط جدار السور الشرقى. والقسم الأخير فى القصر هو الجناح

الذى يقع بين الدارين فى الركنين الجنوبى الشرقى والجنوبى الغربى، ويكمل استطالة القصر، وهو بعرض القسم المركزى، ويتألف من مجموعة غرف تطل على فناء، ويعتقد أن هذا القسم كان مخصصاً للخدم والخدمات التى تقدم للوالى، ويشغل جزءً من هذا القسم حمام مربع الشكل يفتح عليه الدهليز الرئيسى، والواقع أنه تم الكشف عن الحمام، وقد بنيت جدرانه بالطابوق والنورة، طولها من الشمال إلى الجنوب ٩.٩٠م وعرضها من الشرق إلى الغرب ٩.٣٠م، ويتكون من أربع غرف الأولى ٦.٢٠×٣.٢٠م فى الجهة الشرقية من الحمام، وفيها دكة على هيئة حرف L عرضها ٧٥سم وارتفاعها ٧٠سم، والثانية مستطيلة الشكل أبعادها ٣.٧٥× ٢.٧٥م وفيها دكة مربعة الشكل عرضها ٧٠سم وارتفاعها ٣٠سم، والثالثة مستطيلة أبعادها ٣×٢.٥٠م وفيها حوض يستقبل الماء الحار من الحوض الساخن، والرابعة أبعادها ٣.٢٥×٢.٨٠م فى الجهة الشرقية منها حوض كبير مستطيل الشكل استعمل لتسخين الماء بواسطة موقد (مشعل) تحته، ومساحة الحوض ٢.٧٥ ×١.٣٥م، وارتفاعه ١م[٢٤١].

وفى القصر إضافة تشغل حيزاً من الفناء الشرقى وتمتد من الشرق إلى الغرب فتتصل بجدار السور من جهة، وبجدار القصر من جهة أخرى، ولعلها أنشئت بعد فترة قصيرة من بناء القصر، حيث أن تخطيطها وعمارتها يتطابق تقريباً مع مخطط وعمارة الجزء الجنوبى من القسم المركزى، حيث تتألف من بهو الشرف محاطاً بخمس غرف، غرفة المؤخرة مربعة تفتح من جهة الجنوب على رواق تكتنفه حجرة من جهة الجنوب والغرب، ويطل الرواق على فناء مستطيل تقوم غرفتان على يمينه ومثلهما على يساره، وتزين واجهات الغرف المحيطة به والمطلة على الفناء الشمالى حنايا تتوجها عقود مدببة ترتكز على أعمدة أسطوانية، ولقد قامت هيئة فنية بصيانة هذا القسم، وكشفت عن سرداب تحت البهو الرئيسى والغرفة المربعة، ويكون النزول إليه من الرواق من القسم الجنوبى، وسطح هذا القسم مستوٍ على الرغم من أن سقوف جميع الغرف فيه مقببة بأقبية نصف برميلية، ويمثل تخطيط وعمارة هذا القسم الطراز الحيرى.

وقد اهتم المعمار بزخرفة المنشأة فابتكر طريقة جديدة فى تكوين الأشكال الزخرفية، وهى التفنن فى صف الطابوق فى أشكال هندسية متنوعة، كما استغل المعمار الجص فى تكوين أشكال زخرفية بديعة.

والواقع أن هذا الأثر تميز بروعة التصميم ودقة التخطيط والعمارة وجمال الزخارف النباتية والهندسية، ويتمثل فى هذا القصر أقدم أمثلة العقد المدبب ونصف الدائرى.

والأقبية البرميلية والمتقاطعة والحنايا والنوافذ لأغراض متعددة وظيفية وجمالية، والمزاغل العمودية (الشاقولية) والأفقية والتى بلغت ٢٢٦ مزغلاً، منها ٤٨ مزغلاً أفقياً، وغير ذلك من العناصر المعمارية، كما يتميز هذا الأثر من خلال زخارفه فنجد لأول مرة فى تاريخ العمارة الإسلامية طريقة جديدة فى تكوين الأشكال الزخرفية تتمثل فى التفنن فى صف الطابوق للحصول على أشكال هندسية متنوعة، وقد نفذت هذه التشكيلات بأسلوبين أحدهما بارز، والآخر بمستوى وجه الجدار الذى تزينه، وقد تطور هذا الأسلوب، وبلغ غاية من الدقة والاتقان خلال الفترات الزمنية اللاحقة لبناء قصر الأخيضر، كذلك تطورت التشكيلات الزخرفية المحفورة فى الجص وتنوعت[٢٤٢].

مسجد القصر

يعد هذا المسجد من أقدم المساجد القائمة فى العراق، يقع فى الركن الشمالى الغربى من القصر، يشغل مساحة مستطيلة تمتد أفقياً من الشرق إلى الغرب بمقدار ٣٣م، ومن الشمال إلى الجنوب بمقدار ٢٧م، وتتميز جدرانه بسمكها ومتانتها، شيدت من الحجر غير المهندم والجص، مكسوة من الداخل بالجص، وقد جاء تخطيطه من صحن مستطيل أبعاده ١٦.٢٠×١٠.٣٠م وثلاث ظلات فى الجهات الجنوبية والشرقية والغربية، حيث خلا المسجد من ظلة مؤخرة فى الجهة الشمالية، وتتكون ظلة القبلة من بلاطة واحدة يبلغ اتساعها ٥م تقريباً، تشرف على الصحن من خلال بائكة تتكون من خمسة عقود ترتكز على أعمدة أسطوانية ترتكز بدورها على قواعد مربعة المسقط، ويغطيها قبو نصف برميلى ينتهى بنصف قبة يرتكز من الجانبين الشرقى والغربى على حنيتين ركنيتين، ويزدان بأشكال هندسية جصية مخرمة، ويتوسط جدار القبلة محراب مجوف، يتوجه عقد مدبب، وتشتمل ظلة القبلة على عقود وروابط خشبية تربط أعلى الدعائم بجدار القبلة، أما الظلتان الجانبيتان الشرقية والغربية فتتألف كل منهما من بلاطة باتساع ٣م، وعمق ١٠م تطل على الصحن من خلال بائكة ثلاثية من أعمدة أسطوانية على قواعد مربعة على غرار بائكة ظلة القبلة، وعقود البوائك كلها مدببة ذات مركزين، أما الأسقف فهى معقودة بالطابوق تزدان بأشكال زخرفية هندسية محفورة فى الجص[٢٤٣].

ويشتمل المسجد على مدخلين معقودين فى الجدار الشمالى يتوصل منهما إلى الصحن، كما يشتمل على مدخل ثالث يتوصل منه إلى ظلة القبلة، ويقع فى الجهة الشرقية.

وقد تهدمت معظم سقوف الظلات الثلاث وظلت بقايا منها كان لها أكبر الأثر فى إعادة بناء هذه الأسقف من قبل مديرية الآثار العامة بالعراق، حيث قامت ببناء الأعمدة الأسطوانية وأكملت الأسقف وزخرفتها بنفس الأشكال الزخرفية التى كانت تغطيها من الداخل، خاصة ظلة القبلة، وهى تشبه فى تكوينها المعمارى والزخرفى سقوف بعض الغرف التى تحيط بإيوان الشرف فى القصر، وهذه السقوف معقود بالطابوق محلاة بتكوينات زخرفية هندسية محفورة فى الجص، وترتفع مستوى أسقف الوحدات السكنية بخلاف الأبنية التى تتصل به من الجهة الشرقية والتى تتألف من ثلاثة طوابق، وقد وجدت معالم لمسجد آخر فى الطابق الثانى فوق المدخل مباشرة، وهو يشبه المسجد الأصلى الذى نحن بصدده[٢٤٤].

خان عطشان أو العطيشى حوالى النصف الثانى من القرن ٢هـ/ ٨م

يقع هذا المبنى فى السهل الرملى الممتد بين قصر الأخيضر والكوفة، وسط بادية واسعة ومرتفعة قليلاً غرب طريق كربلاء النجف، ويبعد حوالى ١٦كم باتجاه الغرب من خان النخيلة، ويعرف البناء بين سكان المناطق القريبة بخان عطشان أو خان العطيشى، وهو صغير نسبياً إذا ما قورن بقصر الأخيضر، ويستدل من ذلك كما يذكر عيسى سلمان[٢٤٥] أنه لم يكن سوى دار استراحة لوالى منطقة الأخيضر فى رحلته بين الكوفة وقصر ولايته، ويرتبط البرج المعروف بموجدة بالقصر والخان، حيث تدل التسمية على نوع الوظيفة التى يؤديها، وهو علامة للمسافر بين الأخيضر وعطشان، وفى هذا الإطار يذكر شريف يوسف[٢٤٦] نقلاً عن كريزويل أن هذا البناء كان دار استراحة لعيسى بن موسى كلما كان يتوجه للصلاة فى جامع الكوفة أيام الجمع والأعياد.

أما فيما يتعلق بتاريخ خان عطشان أو العطيشى فيذكر عيسى سلمان أنه ليس هناك من يشك بعلاقته بقصر الأخيضر وأنه مثل قصر الأخيضر لم تذكره المصادر التاريخية أو كتب الجغرافيين أو كتب السير والأدب، كما أنه لا توجد أى كتابات فيه أو ملتقطات يمكن الاعتماد عليها فى تثبيت تاريخ بنائه أو الشخص الذى أمر بتعميره، ولكن إمعان النظر فى تخطيطه وتشييده والعناصر المعمارية والزخرفية قد سهل الربط بينه وبين الأخيضر، ومن أوجه الشبه قسم الشرف وتفصيلاته سواء من حيث توزيع الغرف حوله أو نوع الأسقف وعقد الإيوان الذى يطل على الصحن، وإذا ما عرفنا أن عطشان هو موقف راحة فإن حجمه ليس من الضرورى

أن يكون بحجم الأخيضر، ولا يختلف مدخل عشطان كثيراً عن مدخل الأخيضر سواء من حيث الموقع أو التكوين ولكن اختلاف الوظيفة الدفاعية تعد مظهراً أساسياً فى اختلاف التفاصيل، أما العقود فمدببة مثل عقود الأخيضر، وفى ضوء كل ذلك لابد أن يكون عطشان مرتبطاً تخطيطاً وبناءً وزخرفة بالأخيضر، ولابد أنه يعود إلى نفس الفترة التى شيد فيها الأخيضر أى إلى النصف الثانى من القرن الثانى الهجري/ الثامن الميلادى، ويرتبط بهما أيضاً البرج المعروف بموجدة حيث تدل التسمية على نوع الوظيفة التى أريد أن يؤديها هذا البرج وهو علامة للمسافر بين عطشان والأخيضر(٢٤٧).

ويرجح شريف يوسف أن إنشاء الخان يرجع إلى التاريخ الذى شيد فيه قصر الأخيضر نفسه(٢٤٨).

شيد البناء بالطابوق والجص، وقد وصل إلينا في حالة جيدة على الرغم من سقوط بعض جدرانه وسقوف بعض غرفه، أما فيما يتعلق بتخطيطه فهو يتكون من مساحة مستطيلة الشكل، أبعادها من الداخل ٢٥.٥٧م من الشمال إلى الجنوب، و ٢٩.٩٠م من الشرق إلى الغرب، تحيط بهذه المساحة أربعة جدران من أربع جهات، بواقع جدار فى كل جهة، وترتفع الجدران بمقدار ٧م، بسمك ١.٨٥م، تدعمها أبراج نصف دائرية فى الجدران وشبه دائرية فى الأركان، يبلغ عددها ثمانية أبراج، وتتوسط هذه الأبراج الجدرانَ تقريبًا، وتفصيل ذلك أن البناء يشتمل على أربعة أبراج زاوية أو شبه دائرية أو ثلاثة أرباع الدائرة بواقع برج فى كل ركن أو زاوية، كما تشتمل الجدران الجنوبية والشرقية والغربية على ثلاثة أبراج نصف دائرية بواقع برج فى كل جدار، أما البرج الثامن فيتوسط الجدار الشمالى، وهو الذى يتوصل منه إلى داخل الخان، وجاءت الأبراج الركنية بقطر يبلغ ٤.٤٠م، أما الأبراج نصف الدائرية فهى بقطر ٣.١٠م، يتوصل إلى داخل المنشأة من المدخل الذى بالضلع الشمالى والذى يشبه فى تصميمه وعمارته مثيله فى قصر الأخيضر، يفضى المدخل إلى دهليز مستطيل فى اتجاه محور المدخل، يغطيه قبو نصف برميلى، وجاء الدهليز

باتساع ٢.٥٥م، وبعمق ١٢.٦٣م، ويطل الدهليز على الصحن من خلال مدخل يتوجه عقد مدبب، ويتوصل منه إلى فناء أو صحن الخان الذى تشرف عليه ثلاث غرف تغطيها أقبية نصف برميلية، بواقع قبو فى كل غرفة، وهى باتساع ٣.٩٠م، وهى كلها فقدت جدرانها الغربية المشرفة على الصحن المكشوف، وبسقوطها كما يذكر شريف يوسف[٢٤٩] تهدمت الأقبية التى كانت تغطى هذه الغرف.

ويشتمل الخان فى الزاوية الجنوبية الشرقية على غرفة أبعادها ٣.٤٢ × ٤.٠٤م، يغطيها قبو نصف برميلى، كما تشتمل الجهة الجنوبية على غرفة مستطيلة يغطيها قبو نصف برميلى، وهى تمتد أفقيًا من الشرق إلى الغرب، ثم نجد دهليزًا مستطيلًا يمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب يغطيه قبو نصف برميلى، يتوصل منه إلى قاعة أو غرفة أخرى مستطيلة تمتد من الدهليز السابق إلى جدار الخان، أى تمتد من الشرق إلى الغرب فى موازاة الجدار الجنوبى، يغطيها قبو نصف برميلى، وعلى محور المدخل الشمالى توجد غرفة مستطيلة تمتد رأسيًا من الشمال إلى الجنوب، يغطيها قبو نصف برميلى، يتوصل إليها من الصحن، وتشتمل الغرفة على دخلة فى جدارها الشمالى، وأخرى فى الجهة الغربية، ويشتمل الصحن على بئر يعد المصدر الوحيد للمياه.

منار أو برج موجدة:

يضيف عيسى سلمان أنه لابد أن يكون خان عطشان مرتبطًا تخطيطًا وعمارة وزخرفة بالأخيضر، ولابد أنه يعود إلى نفس الفترة التى شيد فيها قصر الأخيضر أى إلى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى، ويرتبط بهما أيضًا البرج المعروف بموجدة حيث تدل التسمية على نوع الوظيفة التى أريد أن يؤديها هذا البرج وهو علامة للمسافر بين خان عطشان وقصر الأخيضر[٢٥٠].

دواوين الأزمة

كان النظام الإدارى فى العصر العباسى من حيث توزيع العمل يعادل أحسن النظم الحديثة، ومن أهم دواوين الدولة ديوان الخراج، وديوان الدية، وديوان الزمام، وديوان الجند، وديوان الموالى والغلمان، وديوان البريد، وديوان زمام النفقات، وديوان الرسائل، وديوان الحوائج، وديوان الأحشام، وديوان المنح أو المقاضاة، وديوان الأكرة للإشراف على الترع والجسور وشؤون الرى، وكان ديوان الأزمة أو الزمام (ويشبه ديوان المحاسبة اليوم) الذى أنشأه المهدى من أهم دواوين الدولة، وكانت مهنة صاحبه جمع ضرائب بلاد العراق وتقديم حساب الضرائب فى الأقاليم الأخرى، ومن اختصاص صاحبه جمع الضرائب النوعية المسماة بالمعادن، وكانت تجمع لرجل يضبطها بزمام يكون له على كل ديوان، فيتخذ دواوين الأزمة ويولى على كل منها رجلاً، ولم تعرف دواوين الأزمة فى العصر الأموى، فقد وضعها الخليفة المهدى، فقد أورد الطبرى فى أحداث سنة "اثنتين وستين ومائة" ما نصه "وفيها وضع المهدى دواوين الأزمة، وولى عليها عمر بن بزيع مولاه، فولى عمر بن بزيع النعمان بن عثمان أبا حازم زمام خراج العراق"[٢٥١].

المجزمون وأهل السجون

كما أورد الطبرى "وفيها أمر المهدى أن يجرى على المجزمين وأهل السجون فى جميع الآفاق"[٢٥٢].

هدم سور الحدث وعمارتها:

وقد شهدت سنة "اثنتين وستين ومائة" هدم سور الحدث، قال الطبرى "وفيها خرجت الروم إلى الحدث، فهدموا سورها"[٢٥٣].

والحدث ذكرها ياقوت الحموى فقال: "الحدث: بالتحريك.. قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور، ويقال لها الحمراء لأن تربتها جميعًا حمراء، وقلعتها على جبل يقال له الأحيدب، وكان الحسن بن قحطبة قد غزا الثغور.. فلما قدم على المهدى أخبره بما فى بناء طرسوس والمصيصة من المصلحة للمسلمين، فأمر ببناء ذلك وأن يكون بالحدث، وذلك فى سنة ١٦٢، وفى كتاب أحمد بن يحيى بن جابر: كان حصن الحدث مما فتح فى أيام عمر، رضى الله عنه، فتحه حبيب بن مسلمة.. وكانت بنو أمية يسمون درب الحدث درب السلامة للطيرة، لأن المسلمين أصيبوا به، وكان ذلك الحدث الذى سمى به الحدث فيما يقول بعضهم، وقال آخرون: لقى المسلمين على درب الحدث غلام حدث فقاتلهم فى أصحابه قتالًا استظهر فيه، فسمى الحدث بذلك الحدث"[٢٥٤].

قصر المهدى بعيساباذ:

شيد الخليفة المهدى قصر السلامة أو السلام شرقى بغداد فى محلة تعرف بمحلة

"عيسى باذ"، أى عمارة عيسى، وذلك نسبة إلى عيسى بن المهدى فى سنة ١٦٤هـ/ ٧٨٠م، وكان على نهر المهدى، فمن الإشارات التاريخية المعمارية الهامة التى تتعلق بهذا القصر ما أورده الطبرى فى أحداث سنة "أربع وستين ومائة" ونصه "وفيها بنى المهدى بعيسا باذ الكبرى قصرًا من لبن، إلى أن أسس قصره الذى بالآجر: الذى سماه قصر السلامة، وكان تأسيسه إياه يوم الأربعاء فى آخر ذى القعدة"[٢٥٥].

ومحلة عيسا باذ ذكرها ياقوت الحموى بقوله" عيسا باذ.. وذكرنا أن باذ فيه مما تستعمله الفرس، ولمعنى باذ العمارة، فكأن معناه عمارة عيسى، ويسمون العامر أباذان: هذه محلة كانت بشرقى بغداد منسوبة إلى عيسى بن المهدى وأمه وأم الرشيد والهادى الخيزران هو أخوهما لأمهما وأبيهما وكانت إقطاعًا له، وبها مات موسى بن المهدى بن الهادى، وبنى بها المهدى قصره الذى سماه قصر السلام فبلغت النفقة عليه خمسين ألف ألف درهم"[٢٥٦].

الدار العظمى بالموقف بمصر

ومن الإشارات التاريخية المعمارية فى أحداث سنة "خمس وستين ومائة" ما أورده الكندى عن بناء إبراهيم بن صالح والى مصر الدار العظمى بالموقف، قال الكندى: "ثم وليها إبراهيم بن صالح بن عبدالله بن عباس من قبل المهدى.. قدمها يوم الخميس لإحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس وستين ومائة.. وابتنى إبراهيم بن صالح داره العظمى المعروفة اليوم بدار عبدالعزيز التى فى الموقف ثم وهبها عند خروجه لآل عبد الرحمن بن عبدالجبار"[٢٥٧].

دينار عباسى ضرب سنة ١٦٥هـ

ومن الدنانير التى عثر عليها فى موقع رامة التى تعد من المحطات الرئيسية على طريق الحج البصرى، وتقع على ضفتى وادى الرمة بين عنيزة والبدائع، دينار ضرب سنة ١٦٥هـ يرجع إلى عهد الخليفة المهدي[٢٥٨].

ضرب الدنانير والدراهم بعيسا باذ

شهدت محلة عيسا باذ ضرب الدنانير والدراهم من قبل الخليفة المهدى، قال الطبرى فى أحداث سنة "ست وستين ومائة" ما نصه: "وفيها تحول المهدى إلى عيسا باذ فنزلها، وهى قصر السلامة، ونزل الناس بها معه، وضرب بها الدنانير والدراهم"[٢٥٩].

أخذ البيعة لهارون الرشيد

وفى هذه السنة أورد ابن الأثير "أخذ المهدى البيعة لولده هارون الرشيد بولاية العهد، بعد أخيه موسى الهادى، ولقبه الرشيد"[٢٦٠].

إقامة البريد:

وفى أحداث هذه السنة كما أورد الطبرى: "أمر المهدى بإقامة البريد بين مدينة الرسول ﷺ وبين مكة واليمن، بغالًا وإبلا، ولم يقم هنالك بريد قبل ذلك"[٢٦١].

وفاة عيسى بن موسى بالكوفة:

شهدت أحداث سنة "سبع وستين ومائة" كما أورد الطبرى وفاة عيسى بن موسى، حيث أورد "وفيها توفى عيسى بن موسى بالكوفة، وولى الكوفة يومئذ روح بن حاتم"[٢٦٢].

الوباء ببغداد والبصرة

كما أورد الطبرى فى أحداث هذه السنة "وفيها فشا الموت، وسعال شديد ووباء شديد ببغداد والبصرة"[٢٦٣].

زيادة الخليفة المهدى فى المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوى والمسجد الجامع بالموصل

شهدت سنة "سبع وستين ومائة" عمارة المسجد الحرام من قبل الخليفة العباسى المهدى، قال الطبرى: "وفيها أمر المهدى بالزيادة فى المسجد الحرام، فدخلت فيه دور كثيرة. وولى بناء ما زيد فيه يقطين بن موسى، فكان فى بنائه إلى أن توفى المهدى"(٢٦٤).

وفى ذلك أورد ابن الأثير "وفيها أمر المهدى بالزيادة فى المسجد الحرام، ومسجد النبى ﷺ، فدخلت فيه دور كثيرة، وكان المتولى لبنائه يقطين بن موسى، فبقى البناء فيه إلى أن توفى المهدى. وكذلك أمر بالزيادة فى المسجد الجامع بالموصل، ورأيت لوحًا فيه ذكر ذلك، وهو فى حائط الجامع، سنة ثلاثٍ وستمائة (وهو باقٍ)"(٢٦٥).

وقد أورد ابن جبير فيما يتعلق بتوسعة الخليفة المهدى فى المسجد الحرام عند ذكره المسجد الحرام والبيت العتيق ما نصه "وللمهدى محمد بن أبى جعفر المنصور العباسى فى توسعة المسجد الحرام والتأنق فى بنائه آثار كريمة. وجدت فى الجهة التى من الغرب إلى الشمال مكتوبًا فى أعلى جدار البلاط: "أمر عبدالله محمد المهدى أمير المؤمنين، أصلحه الله، بتوسعة المسجد الحرام، لحجاج بيت الله وعماره، فى سنة سبع وستين ومئة"(٢٦٦).

وفى موضع آخر أورد ابن جبير "وألفيت منقوشًا على سارية خارج باب الصفا تقابل السارية الواحدة من اللتين أقيمتا علمًا لطريق النبى، ﷺ، إلى الصفا داخل الحرم

المتقدمتى الذكر: "أمر عبدالله محمد المهدى أمير المؤمنين، أصلحه الله تعالى، بتوسعة المسجد الحرام مما يلى باب الصفا، لتكون الكعبة فى وسط المسجد، فى سنة سبع وستين ومئة". فدل ذلك المكتوب على أن الكعبة المقدسة فى وسط المسجد، وكان يظن بها الانحراف إلى جهة باب الصفا، فاختبرنا جوانبها المباركة بالكيل، فوجدنا الأمر صحيحًا حسبما تضمنه رسم السارية"[٢٦٧].

كما أورد ابن جبير "وتحت ذلك النقش فى أسفل السارية منقوش أيضًا: "أمر عبدالله محمد المهدى أمير المؤمنين، أصلحه الله، بتوسعة الباب الأوسط، الذى بين هاتين الأسطوانتين، وهو طريق رسول الله، ﷺ، إلى الصفا"[٢٦٨].

كذلك أورد "وفى أعلى السارية التى تليها منقوش أيضًا: "أمر عبدالله المهدى محمد أمير المؤمنين، أصلحه الله، بصرف الوادى إلى مجراه على عهد أبيه إبراهيم، صلى الله عليه وسلم، وتوسعته بالرحاب التى حول المسجد الحرام لحاج بيت الله وعماره". وتحتها أيضاً منقوش ما تحت الأول من ذكر توسعة الباب الأوسط. والوادى المذكور هو الوادى المنسوب لإبراهيم، ﷺ، ومجراه على باب الصفا المذكور، وكان السيل قد خالف مجراه فكان يأتى على المسيل بين الصفا والمروة ويدخل الحرم، فكان مدة مده بالأمطار يطاف حول الكعبة سبحًا، فأمر المهدى، رحمه الله، برفع موضع فى أعلى البلد يسمى رأس الردم، فمتى جاء السيل عرج عن ذلك الردم إلى مجراه واستمر على باب إبراهيم إلى الموضع الذى يسمى المسفلة ويخرج عن البلد ولا يجرى الماء فيه إلا عند نزول ديم المطر الكثير. وهو الوادى الذى عنى، ﷺ، بقوله حيث حكى الله تبارك وتعالى عنه: "ربنا إنى أسكنت من ذريتى بوادٍ غير ذى زرع"، فسبحان من أبقى له الآيات البينات"[٢٦٩].

وقد أوردت سلسلة آثار المملكة العربية السعودية عند ذكرها نقوش الحرم المكى الشريف أن الحرم المكى الشريف غنى بالكتابات الإسلامية التوثيقية المتمثلة فى نصوص تأسيسية أو تجديدية لمختلف العمائر والإصلاحات والترميمات والتوسعات التى حدثت بالحرم المكى، أو الكعبة المشرفة، أو مقام إبراهيم عليه

السلام أو حجر إسماعيل، أو بئر زمزم، أو المقامات الأربعة التى كانت قائمة قبل توحيد المملكة العربية السعودية، وتغطى هذه الكتابات فترة تاريخية تربو على عشرة قرون، بدءا من منتصف القرن الثانى الهجري/ الثامن الميلادى وبعد ذلك، وكانت هذه الكتابات تنفذ على الأعمدة الرخامية، والألواح الحجرية المثبتة على الواجهات، أو على ألواح خشبية، أو معدنية، أو غيرها، وبقيت بعض الكتابات فى المبنى التاريخى القديم للمسجد الحرام، وقد جمعت الكتابات الأخرى، ومواد أثرية، وتحف فنية بعد أعمال التوسعات التى شملت جميع أجزاء الحرم المكى ومرافقه المختلفة، وجمعت فى متحف خاص بها، وهو متحف الحرمين الشريفين المقام على أرض مصنع كسوة الكعبة المشرفة، وأقدم هذه الكتابات الموجودة حتى الآن أربعة نقوش بالخط الكوفى البارز ونفذت على أعمدة رخامية فى الجهة الجنوبية من صحن المسجد، تؤرخ للأعمال التى أنجزت فى المسجد الحرام فى عهد الخليفة المهدى، وأحد هذه النصوص مؤرخ بسنة ١٦٧هـ/ ٧٨٤م، ويقع هذا النقش على مدخل باب الصفا المطل على صحن المسجد من الناحية الجنوبية شرق مكان المؤذنين حاليًا[٢٧٠].

نقش هذا النص على عمود خاص قطره ١٥٠سم، وارتفاع الكتابة ٥٠سم، وعدد أسطر النقش خمسة عشر سطرًا، كتبت بالخط الكوفى البارز، والنقش يمثل نصًا تأسيسيًا للأسطوانتين اللتين وضعتا علمًا بطريق رسول الله ﷺ الذى سلكه إلى الصفا بعد انتهائه من الطواف ليقتدى به المسلمون من حجاج ومعتمرين، وقد تمت هذه العمارة على يد الوزير يقطين بن موسى، ويعد هذا النقش من أقدم النصوص التأسيسية الإسلامية التى مازالت قائمة فى أماكنها الأصلية داخل الحرم المكى، ويكشف عن مدى الأهمية التى كانت ـ وما تزال ـ توليها الحكومات الإسلامية لتعمير المسجد الحرام وإصلاحه، ويحيط بالنص من أعلى وأسفل بعض الزخارف النباتية، والمراوح النخيلية، والعناصر المجدولة، وعناقيد العنب، وأوراق الأكانتس، ويقرأ النص على النحو التالى:

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ـ أمر عبدالله محمد
٣ـ المهدى أمير المؤمنين
٤ـ حفظه الله بإقامة هاتين
٥ـ الأسطوانتين علمًا لطريق
٦ـ رسول الله صلى الله عليه
٧ـ وسلم إلى الصفا ليتأسى
٨ـ به حاج بيت الله وعماره
٩ـ أعظم الله أجر المهدي
١٠ـ أمير المؤمنين وأطال بقاه
١١ـ على يدى يقطين بن
١٢ـ موسى وإبراهيم
١٣ـ بن صالح فى سنة
١٤ـ سبع وستين ومائة
١٥ـ مما عمل أهل الكوفة

أما فيما يتعلق بنقش الخليفة المهدى غير المؤرخ فيقع فى الجهة الجنوبية من المسجد الحرام، ويطل على صحن المسجد، وهو يلى النص المؤرخ سنة ١٧٦هـ من الناحية الشرقية،ويمثل الجزء الثانى من باب الصفا، ومحفور حفرًا بارزًا بالخط الكوفى، منقوش على عمود رخام قطره ١٥٠سم،وارتفاع الكتابة ٥٠سم، ويتألف من خمسة عشر سطرًا، وتحيط به زخارف من أعلى وأسفل على نمط زخارف النقش المؤرخ، ويقرأ النص كما يلى:

١ـ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ـ إن الله وملائكته يصلو

٣ـ ن على النبى يا أيها الذين

٤ـ آمنوا صلوا عليه

٥ـ وسلموا تسليمًا اللهم صلي

٦ـ على محمد عبدك

٧ـ ونبيك وصفيك أفضل

٨ـ ما صليت على أحد من

٩ـ خلقك اللهم صلى على

١٠ـ محمد وعلى آل محمد

١١ـ وارحم محمدًا وآل

١٢ـ محمد وبارك على محمد

١٣ـ كما صليت ورحمت وباركت

١٤ـ على إبراهيم وآل إبراهيم إ

١٥ـ نك حميد مجيد. عمل الكوفيين[٢٧١]

وقد تناول أحمد رجب عمارة المهدى للمسجد الحرام فذكر أن الخليفة المهدى عمر المسجد الحرام، وزاد فى مساحته، وذلك على مرحلتين الأولى سنة ١٦٠هـ (٧٧٦م)، والثانية ١٦٤هـ (٧٨٠م)، أما عن الأولى فقد نقل عن الأزرقى أن المهدى نزع كسوة الكعبة التى كانت عليها وكساها كسوة جديدة، وأمر بعمارة المسجد فزيد فى أعلاه، وتم شراء ما كان فى ذلك الموضع من الدور، وأمر بأساطين الرخام فنقلت فى السفن من الشام حتى أنزلت بجدة، ثم جرت على العجل من جدة إلى مكة، وجعل فى أعلى المسجد ثلاثة صفوف من الأساطين، وجعل بين يدى الطاق الأول (فى الجهة الشمالية) ـ الذى بناه أبو جعفر مما يلى دار الندوة ـ صفين، حتى صارت ثلاثة صفوف[٢٧٢].

وقد تقدم ذكر هذه الزيادة فى موضعها فى أحداث سنة "ستين ومائة"، أما عمارة المهدى الثانية التى نحن بصددها فقد ذكرها أحمد رجب[٢٧٣] فى سنة ١٦٤هـ ونحن

نذكرها هنا من أحداث سنة "سبع وستين ومائة" بناءً على ما أورده الطبرى وابن الأثير من جهة وتقدم ذكره، وما ورد من نصوص عند ابن جبير كتبت فى المسجد الحرام وتقدم ذكرها عند ذكره توسعة المسجد الحرام من قبل المهدى، حيث جاء ما نصه عن هذه الأعمال على لسان ابن جبير "وجدت فى الجهة التى من الغرب إلى الشمال مكتوبا فى أعلى جدار البلاط: "أمر عبدالله محمد المهدى أمير المؤمنين، أصلحه الله، بتوسعة المسجد الحرام، لحجاج بيت الله وعماره، فى سنة سبع وستين ومئة"، وأضاف الباحث نقلًا عن الأزرقى أن المهدى لما زاد الزيادة الأولى اتسع أعلاه وأسفله وشقه الذى يلى دار الندوة "الشامى"، وضاق شقه اليمانى الذى يلى الوادى والصفا، فكانت الكعبة فى شق المسجد، فلما حج المهدى سنة ١٦٤هـ ساءه ذلك، وأمر بتوسعة المسجد حتى تصبح الكعبة فى وسطه تمامًا، واستمرت هذه العمارة حتى وفاة المهدى سنة ١٦٩ هـ وبداية عهد ابنه الهادى، واستنبط الباحث شكل وتخطيط المسجد من كتابات ابن عبد ربه الأندلسى المتوفى ٣٢٨هـ والذى وصف المسجد وصفًا دقيقًا فى بداية القرن الرابع الهجرى، خاصة وأن تخطيط المسجد لم يطرأ عليه أى تغير منذ عمارة المهدى له وحتى زيارة ابن عبد ربه ووصفه له، باستثناء إضافة دار الندوة فى الجهة الشمالية فى عهد المعتضد سنة ٢٧٩هـ وبحذف هذه الزيادة من تخطيط المسجد كما وصفه ابن عبد ربه يمكن عرض تخطيطه على النحو التالى: صحنه كبيرواسع ذرعه طولا من باب بنى جمح (الجهة الغربية)، إلى باب بنى هاشم (الجهة الشرقية) الذى يقابل دار العباس بن عبدالمطلب أربعمائة ذراع وأربعة أذرع،وذرعه عرضا من باب الصفا (الجهة الجنوبية) إلى دار الندوة (الجهة الشمالية) ثلثمائة ذراع وأربعة أذرع، وله ثلاث بلاطات محدقة به من جهاته كلها منتظم بعضها ببعض وهى داخلة فى الذرع الذى تقدم، فوقها سماوات (أسقف) مذهبة وحافاتها على عمد رخام بيض، عددها فى طوله من الشرق إلى الغرب مع وجه الصحن خمسون عمودا، وفى عرضه ثلاثون عمودا، وجملة عمد المسجد أربعمائة وأربعة وثلاثون عمودا، وللمسجد ثلاثة وعشرون بابا لا غلق عليها يصعد إليها بعدد من الدرج[٢٧٤].

ونقل الباحث عن الأزرقى وصفًا تفصيليًا لأبواب المسجد ومآذنه بعد زيادة المهدى، فذكر أن للمسجد أربعة وعشرين بابا، فيها ثلاثة وأربعون طاقا (فتحة)، منها فى الشق الذى يلى المسعى وهو الشرقى خمسة أبواب بها أحد عشر طاقا: هى: الباب الأول: وهو الباب الكبير الذى يقال له باب بنى شيبة، وهو من ثلاثة "طيقان" تستند على اسطوانتين (عموديتين). الباب الثانى: من طاق واحد طوله عشرة أذرع وعرضه سبعة أذرع، ويعرف باسم باب القوارير، لأنه فتح فى موضع دار القوارير. الباب الثالث: من طاق واحد، طوله عشرة أذرع، وعرضه سبعة أذرع، وهو باب النبى ﷺ، الباب الرابع: من ثلاثة "طيقان"، ترتكز على اسطوانتين، وارتفاع طاقاته ثلاثة عشر ذراعا، ويعرف باسم باب العباس بن عبدالمطلب، الباب الخامس: من ثلاثة طاقات، ترتكز على عمودين، ويعرف باسم باب على، وباب بنى هاشم[٢٧٥].

أما أبواب الجهة الجنوبية (الشق اليمانى) فهى سبعة أبواب: الباب الأول: من طاقين يرتكزان فى الوسط على اسطوانة، وارتفاعه ثلاثة عشر ذراعًا ونصف، ويعرف باسم باب بنى عائذ (باب بازان ـ باب قرة قول)، الباب الثانى: من طاقين، يرتكزان على أسطوانة، ارتفاعه أيضا ثلاثة عشر ذراعا ونصف، ويعرف باسم باب بنى سفيان بن عبد الأسد (باب البغلة)، الباب الثالث: من خمسة طاقات على أربعة أساطين، ويعرف باسم باب الصفا، الباب الرابع: من طاقين يرتكزان على اسطوانة، ويقال له باب بنى مخزوم (باب أجياد الصغير)، الباب الخامس، من طاقين على اسطوانة، ويعرف أيضا باسم باب مخزوم، الباب السادس: من طاقين على اسطوانة، ويعرف باسم باب بنى تميم (باب مدرسة الشريف عجلان ـ باب التكية)، الباب السابع: من طاقين على اسطوانة، ويعرف باسم باب أم هانى ابنة أبى طالب (باب الفرج ـ باب الحميدية).[٢٧٦]

أما أبواب الجهة الغربية (شق بنى جمح) فهى ستة أبواب: الباب الأول: من طاقين على اسطوانة، ويعرف باسم باب بنى حكيم بن خزام، وباب بنى الزبير بن

العوام، وباب الخزامية (باب الحزورة ـ باب البقالية ـ باب الوداع)، الباب الثانى: من ثلاثة طيقان على اسطوانتين، ويعرف باسم باب الخياطين، الباب الثالث: من طاقين على اسطوانة،ويعرف باسم باب بنى جمح، الباب الرابع: من طاق واحد، ويعرف باسم باب أبى البخترى بن هاشم الأسدى، الباب الخامس: من طاق واحد، ويعرف باسم باب زبيدة، الباب السادس: من طاق واحد، ويعرف باسم باب بنى سهم (باب العمرة).[٢٧٧]

أما أبواب الجهة الشمالية (الشق الشامى) منها ستة أبواب هى: الباب الأول: وهو يلى منارة بنى سهم، وهو من طاق واحد، ويعرف باسم باب عمرو بن العاص، الباب الثانى: ويعرف باسم باب السدة، لكونه سد ثم فتح، الباب الثالث: يعرف بباب دار العجلة، الباب الرابع: يعرف باسم باب قعيقان، وهو من طاق واحد، كما يقال له باب حجير بن إهاب، الباب الخامس: هو باب دار الندوة، وهو من طاق واحد، الباب السادس: هو باب دار شيبة بن عثمان، وهو من طاق واحد.[٢٧٨]

هذا وقد أصبح للمسجد بعد عمارة المهدى أربع منائر أو مآذن فى أركانه الأربعة، ونقل الباحث عن الأزرقى أن المنارة أو المئذنة الأولى: هى التى تلى باب بنى سهم (الزاوية الشمالية الغربية)، وهى من أعمال أبى جعفر المنصور، ويؤذن فيها صاحب الوقت بمكة، المنارة أو المئذنة الثانية: تلى أجياد، وتشرف على الحزورة وسوق الخياطين (الزاوية الجنوبية الغربية)، وفيها يسحر المؤذن فى شهر رمضان، المنارة أو المئذنة الثالثة: تشرف على دار ابن عباد، وعلى سوق الليل (الزاوية الجنوبية الشرقية)، ويقال لها منارة المكيين، المنارة أو المئذنة الرابعة: تطل على دار الإمارة (الزاوية الشمالية الشرقية)[٢٧٩].

ويستنبط الباحث شكل هذه المآذن من خلال وصف ابن جبير للمسجد فى أواخر القرن السادس الهجرى على الرغم كما يشير هو نفسه من اتساع الفترة الزمنية بين عمارة المهدى للمسجد سنة ١٦٤هـ/ ٧٨٠م وبين زيارة ابن جبير له، وحجته

فى ذلك أن المصادر التاريخية لم تشر إلى أى تجديد أو ترميم لهذه المنارات أو المآذن من شأنه أن يغير من شكلها خلال هذه الفترة، وعلى هذا فإن المآذن بشكلها الأول الذى بنيت عليه من قبل المهدى قد ظلت عند زيارة ابن جبير للمسجد، وعلى هذا الأساس فهذه المآذن، طبقًا لوصف ابن جبير والذى أسماها الصوامع، تنقسم إلى قسمين: السفلى مربع الشكل، والقسم العلوى أسطوانى يعلوه فحل الصومعة، وهو مستدير الشكل، ويحيط بالجزء المربع وكذا بالجزء الأسطوانى شباك من خشب فريد الصنعة.[٢٨٠]

ظلام بالدنيا

وفى أحداث هذه السنة أورد الطبرى "وفيها أظلمت الدنيا لليالٍ بقين من ذى الحجة، حتى تعالى النهار".[٢٨١]

ديوان المهدى

وفى أحداث سنة "ثمان وستين ومائة" أورد الطبرى "وفيها رد المهدى ديوانه وديوان أهل بيته إلى المدينة ونقله من دمشق إليها"[٢٨٢].

مسكوكات عباسية ضربت باليمامة

ومن المسكوكات التى ضربت فى اليمامة[٢٨٣] درهم ضرب سنة ١٦٨هـ نصوص كتاباته كما يلى:

الوجه: مركز: لا إله إلا

الله وحده

لا شريك له

الهامش: بسم الله ضرب هذا الدرهم باليمامة

سنة ثمان وستين ومئة

الظهر: مركز: عبدالله

محمد رسول

الله صلى الله عليه

وسلم الخليفة المهدي

بن سعيد

الهامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وقد ازدهرت اليمامة فى العصر العباسى، وكانت من أهم الولايات التابعة لها فى الجزيرة العربية، وأقيمت بها دار لضرب المسكوكات الإسلامية منذ سنة ١٣١هـ ثم ظهرت مسكوكات اليمامة فى العصر العباسى، ومنها: فلس ضرب سنة ١٥٧هـ ودراهم ضرب سنوات ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧هـ[٢٨٤]

الكنائس بمصر

ومن الإشارات التاريخية المعمارية فى ولاية على بن سليمان العباسى والى مصر فى أحداث سنة "تسع وستين ومائة" ما أورده الكندى ونصه "ثم وليها على بن سليمان من قبل موسى الهادى... وهدم الكنائس المحدثة بمصر فهدم كنيسة مريم الملاصقة لأبى شنوده وهدم كنائس محرس قسطنطين".[٢٨٥]

وفاة المهدى بما سبذان

هذا وقد توفى الخليفة العباسى المهدى فى هذه السنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م، قال الطبرى: "وفيها توفى المهدى.. وفى هذه السنة بويع لموسى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس بالخلافة، يوم توفى المهدى، وهو مقيم بجرجان[٢٨٦] يحارب أهل طبرستان[٢٨٧]، وكانت وفاة المهدي بما[٢٨٨] سبذان ومعه ابنه هارون، ومولاه الربيع ببغداد خلفه بها.. وكانت موافاة موسى الهادى بغداد.. فلما قدمها نزل القصر الذى يسمى الخلد، فأقام به شهرًا، ثم تحول إلى بستان أبى جعفر، ثم تحول إلى عيسا باذ".[٢٨٩]

قضى المهدى فى الخلافة زهاء عشر سنين تعد فترة انتقال بين عهد الشدة والقمع

الذى ساد فترة من سبقه من خلفاء بنى العباس، وعهد الاعتدال واللين الذى امتازت به أيامه وأيام من أتى بعده، فقد رد الأموال التى صادرها المنصور إلى أهلها، وأطلق العلويين الذين حبسهم أبوه، وعفا عنهم، وأدار عليهم الأرزاق، وبدأ عهده بسلسلة من ضروب الإصلاح، كما وفق إلى القضاء على الزنادقة وغيرهم من الخوارج عليه وعلى الدين، وحصن المدن، وغدت بغداد فى عهده مركزًا لتجارة العالم، وغدت الموسيقى والشعر والحكمة والأدب من مميزات هذا العهد، وكان المهدى محببًا إلى الخاص والعام، وكان من خلق المهدى الحياء والعفو والجود والحلم والعدل، وجلس للمظالم بنفسه.[٢٩٠]

الهادى

(١٦٩-١٧٠هـ / ٧٨٥-٧٨٦م)

كان موسى الهادى أكبر من أخيه هارون، وقد ولاه أبو عهده، وعهد لهارون بالخلافة من بعده، ثم فكر فى تقديمه عليه، بسبب إيثاره، ومشاركة أمه الخيزران له فى محبته، لولا أن عاجلته المنية، وكان هارون من العقل بحيث لم يتردد فى البيعة لأخيه حين سمع بوفاة أبيه، وقد قضى الهادى قبل أن يعتلى عرش الخلافة أكثر أيامه فى بلاد المشرق، وأتته البيعة وهو يحارب فى طبرستان وجرجان.[٢٩١]

قدم الخليفة موسى الهادى بغداد بعد خلافته ونزل بقصر الخلد الذى شيد من قبل الخليفة أبى جعفر المنصور كما تقدم، ثم تحول إلى بستان أبى جعفر ثم تحول إلى عيساباذ، قال الطبرى: "وكانت موافاة موسى الهادى بغداد.. فلما قدمها نزل القصر الذى يسمى الخلد، فأقام به شهرًا، ثم تحول إلى بستان أبى جعفر، ثم تحول إلى عيساباذ".[٢٩٢]

كما أورد الطبرى وفاته فى أحداث سنة "سبعين ومائة" بما نصه "وفيها توفى موسى الهادى بعيساباذ. واختلف فى السبب الذى كان به وفاته".[٢٩٣]

كذلك أورد "بويع للرشيد هارون بن محمد بن عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس بالخلافة ليلة الجمعة الليلة التى توفى فيها أخوه موسى الهادى".[٢٩٤]

لم تطل خلافة الهادى، فقد ظل فى الخلافة سنة وشهرًا واثنين وعشرين يومًا، والليلة التى مات فيها، هى ليلة مات فيها خليفة، وجلس خليفة، وولد خليفة، وقد كانوا يحدثون أنه سيكون ليلة كذلك، فالخليفة الذى مات هو الهادى، والذى جلس فيها على سرير الخلافة هو الرشيد، والذى ولد هو المأمون.[٢٩٥]

نقش مؤرخ بعام ١٧٠هـ/٧٨٦م بمسجد قرية صدر أيد

يوجد فى محافظة النماص بمنطقة عسير مجموعة من المساجد الأثرية القديمة، من أبرزها مسجد قرية صدر أيد الذى لا يزال بحالة جيدة، والمسجد مبنى من الحجر مكسو بالجص، ويوجد به نقش فى أعلى المحراب من الخارج مؤرخ بعام ١٧٠هـ/ ٧٨٦ م.(٢٩٦)

عثر فى منطقة عسير على عدد كبير من النقوش العربية الإسلامية عبارة عن آيات قرآنية، وأدعية مأثورة، ونصائح، وشواهد قبور، وغيرها، وذلك فى أماكن عديدة ومتفرقة، منها ما عثر عليه على امتداد الطرق التجارية على الصخور، أو فى المدن على الأحجار الشاهدية، أو على جدران المساجد والمبانى، لعل من أبرزها مجموعة من النصوص تنتشر على صخور هضبة أم وقر التابعة لمحافظة بيشة. منها نقش مؤرخ بسنة ١٤٠هـ بالإضافة إلى عدد من النقوش عثر عليها فى موقع أم الرحى أحدها مؤرخ سنة ١٤١هـ ، كما تم العثور على مجموعة من النقوش فى بلاد بنى عمرو، التابعة لمحافظة النماص التى تقدم ذكرها، وفى جبل عيمة القريب من النماص، من أبرزها ثلاثة نصوص توجد على صخرة واحدة أحدها مؤرخ بسنة ١٥٥هـ فى مدينة النماص عثر على مجموعة من النصوص الإسلامية ـ من أبرزها نقش يوجد ضمن بناء الجدار الخارجى لمحراب مسجد قرية صدر أيد الأثرى المؤرخ بسنة ١٧٠هـ والذى تقدم ذكره.(٢٩٧)

ونص هذا النقش على النحو التالى:

١ـ "الله" الله عباد الله العزم قبل الندم والعطاء

٢ـ قبل الأخذ والتوبة قبل الموت والعمل في
٣ـ المهل الله الله عباد الله اعملوا والعمل
٤ـ مقبول والكلام "والأقلام" جارية...
٥ـ الله الله عباد الله أوصيكم ونفسى بتقوى الله وا
٦ـ لزهد فى ديار الزوال والرغبة فى ديار المقام
٧ـ ما تقدمون فعليه تقدمون ألا ترون أنكم إلى الله صا
٨ـ ئرون ثم توفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون
٩ـ إن الله وملائكته يصلون على "النبى" يايها ياء يها الذين آمنوا
١٠ـ صلوا عليه وسلموا تسليما وكتب محمد بن عبد
١١ـ الرحمن فى ربيع الآخر سنة سبعين ومئة وهو يسل "يسأل"
١٢ـ الله الجنة بقدرته ويعوذ به من النار بعزته.[٢٩٨]

مدينة موسى بقزوين

أورد يا قوت الحموى عند ذكره قزوين مدينة تعرف بمدينة موسى، أمر بعمارتها موسى الهادى وتعد من مآثره، قال ياقوت الحموى "قزوين: بالفتح ثم السكون، وكسر الواو، وياء مثناة من تحت ساكنة، ونون: مدينة مشهورة... قال ابن الفقيه: أول من استحدثها سابور ذو الأكتاف واستحدث أبهر أيضًا، قال: وحصن قزوين يسمى كشرين بالفارسية وبينه وبين الديلم جبل كانت ملوك الأرض تجعل فيه رابطة من الأساورة يدفعون الديلم إذا لم يكن بينهم هدنة.. وكان عثمان بن عفان، رضى الله عنه، ولى البراء بن عازب الرى فى سنة ٢٤ فسار منها إلى أبهر ففتحها.. ورحل عنها إلى قزوين فأناخ عليها وطلب أهلها الصلح فعرض عليهم ما أعطى أهل أبهر[٢٩٩] من الشرائط فقبلوا جميع ذلك إلا الجزية فإنهم نفروا منها، فقال: لابد منها، فلما رأوا ذلك أسلموا وأقاموا مكانهم فصارت أرضهم عشرية.. وكان موسى الهادى لما سار إلى الرى قدم قزوين وأمر ببناء مدينة بإزائها فهى تعرف بمدينة موسى وابتاع أرضًا يقال لها رستماباذ ووقفها على مصالح المدينة.."[٣٠٠].

هارون الرشيد

(١٧٠-١٩٣هـ / ٧٨٦-٨٠٩م)

يعتبر هارون الرشيد أشهر خلفاء بنى العباس، فقد بلغت مدينة بغداد فى عهده درجة عظيمة من الرقى والازدهار، فغدت مركزًا للتجارة، وكعبة رجال العلم والأدب، واشتهر اسم الرشيد فى بلاد الغرب، لما كان بينه وبين شرلمان ملك الفرنجة من العلاقات السياسية وأواصر الود والصفاء، ومما زاد فى ذيوع شهرته بين أمم الغرب كتاب "ألف ليلة وليلة" الذى ترجم إلى معظم اللغات الأوروبية، حتى إنه لا تكاد تخلو منه مكتبة من مكتبات الأفراد فى أوروبا وأمريكا وقد ولد هارون بالرى لثلاث بقين من شهر ذى الحجة سنة ١٤٥ هـ، وأمه أم ولد يمانية جرشية يقال لها الخيزران، وهى أم الهادى، ولى هارون الرشيد الخلافة فى الليلة التى توفى فيها أخوه الهادى، وهى ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة بقين من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠ هـ[٣٠١].

تسمية الثغور بالعواصم

أورد الطبرى فيما يتعلق بتسمية الثغور بالعواصم فى أحداث سنة "سبعين ومائة" ما نصه "وفيها عزل الرشيد الثغور كلها عن الجزيرة وقنسرين[٣٠٢]، وجعلها حيزًا واحدًا وسميت العواصم".[٣٠٣]

عمارة طرسوس

شهدت سنة "سبعين ومائة" عمارة مدينة طرسوس، قال الطبرى: "وفيها عمرت طرسوس على يدى أبى سليم فرج الخادم التركى ونزلها الناس".[٣٠٤]

ومدينة طرسوس ذكرها ياقوت الحموى بقوله: "طرسوس: بفتح أوله وثانيه.. كلمة عجمية رومية.. وقالوا: سميت بطرسوس بن الروم بن اليفز بن سام بن نوح، عليه السلام، وقيل: إن مدينة طرسوس أحدثها سليمان كان خادمًا للرشيد فى سنة نيف وتسعين ومائة، قاله أحمد بن محمد الهمذانى، وهى مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم.. وعلى طرسوس سوران وخندق واسع ولها ستة أبواب ويشقها نهر البردان وبها قبر المأمون عبد الله بن الرشيد جاءها غازيًا فأدركته منيته فمات".[٣٠٥]

الرشيد ومرج القلعة

وقد أورد الطبرى فى أحداث سنة "اثنتين وسبعين ومائة" "فمن ذلك شخوص الرشيد فيها إلى مرج القلعة مرتادًا بها منزلا ينزله".[٣٠٦]

ومرج القلعة ذكره ياقوت الحموى بقوله "بينه وبين حلوان منزل وهو من

حلوان إلى جهة همذان.. وإياه عنت عُلَية بنت المهدى بقولها وكانت قد خرجت إلى خراسان صحبة أخيها الرشيد فاشتاقت إلى بغداد فكتبت على مضرب أخيها:

ومغترب بالمـرج يبكـى لشجـوه

وقد غاب عنه المسعدون على الحب

إذا ما تراءى الركب من نحو أرضه

تنشق يستشفـى برائحـة الركـب

فلما وقف عليه الرشيد قال: حنت عُلية إلى الوطن، وأمرها بالرجوع إلى بغداد"[٣٠٧].

قصر الرشيد بباقردي وذكر بازبدى

شيد الخليفة هارون الرشيد قصرًا بباقردى، قال الطبرى فى أحداث سنة "أربع وسبعين ومائة" ما نصه "وفيها خرج الرشيد إلى با قردى وبازبدى، وبنى بباقردى قصرًا، فقال الشاعر فى ذلك:

بقردى وبازبدى مصيف ومربع وعذب يحاكى السلسبيل برود

وبغداد، ما بغداد، أما تـرابـها فخرء، وأما حرها فشديد"[٣٠٨]

وكورة بازبدى ذكرها ياقوت الحموى بقوله: "بازَبْدَى: بفتح الزاى، وسكون الباء الموحدة، مقصور: كورة قرب باقردى من ناحية جزيرة ابن عمر، وبازبدى فى غربى دجلة، وباقِردى فى شرقيه، كورتان متقابلتان، وبازبدى: هو اسم قرية فى قبالة جزيرة ابن عمر سميت الكورة بأسرها بها، وبالقرب منها جبل الجودي وقرية ثمانين.. وقال بعض الشعراء يفضلها على بغداد:

بقردى وبازبـدى مصيـف ومربـع،

وعذب يـحاكـى السلسـبيل بـرود

وبغـداد مـا بغـــداد! أمـا ترا بهـا

فحمى، وأما بردها فشديد"[٣٠٩]

أما باقردى فقد ذكرها ياقوت الحموى بقوله: "باقردى: بكسر القاف، وفتح الدال، وياء.. كذا جاء اسمها فى الكتب، وأهلها يقولون قردى وينشدون:

بقردى وبازبدى مصيف ومربع".[٣١٠]

وباء بمكة

يحدثنا الطبرى عن وباء وقع بمكة فى أحداث هذه السنة بقوله "وحج بالناس فيها هارون الرشيد، فبدأ بالمدينة.. ووقع الوباء فى هذه السنة بمكة".[٣١١]

ولاية العهد لمحمد بن الرشيد (الأمين)

وفى أحداث سنة "خمس وسبعين ومائة" أورد الطبرى "فمن ذلك عقد الرشيد لابنه محمد بمدينة السلام من بعده ولاية عهد المسلمين وأخذه له بذلك بيعة القواد والجند، وتسميته إياه الأمين".[٣١٢]

الزيادة فى جامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر

شهدت سنة "خمس وسبعين ومائة" الزيادة فى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ٢١هـ/ ٦٤٢م من قبل والى مصر موسى بن عيسى، قال الكندى: "ثم وليها موسى بن عيسى الثانية... من قبل الرشيد دخلها يوم الإثنين لسبع خلون من صفر سنة خمس وسبعين ومائة.. وأمر موسى بالزيادة فى المسجد الجامع زاد فيه الرحبة التى تقابل الصيارفة اليوم وهو نصف الرحبة المنسوبة إلى أبى أيوب وذلك فى شعبان سنة خمس وسبعين ومائة".[٣١٣]

ويعلق أحمد فكرى على هذه الزيادة بقوله أن المسجد زيد فيه فى عهد موسى بن عيسى والى مصر من قبل هارون الرشيد، سنة خمس وسبعين ومائة (٧٩١م)، وهذه الزيادة قد أضافت إلى مؤخر المسجد وخارج جداره الشمالى رحبة واسعة، وهى نصف الرحبة التى كانت معروفة فى أوائل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادى باسم رحبة أبى أيوب.[٣١٤]

ريح وظلمة وحمرة

وفى أحداث سنة "سبع وسبعين ومائة" أورد الطبرى "وكان فيها ـ فيما ذكر الواقدى ـ ريح وظلمة وحمرة.. ثم كانت ظلمة.. ثم كانت ريح وظلمة شديدة".[٣١٥]

عمارة المساجد والرباطات بخراسان

شهدت أحداث سنة "ثمان وسبعين ومائة" بناء الفضل بن يحيى المساجد والرباطات بخراسان، قال الطبرى: "وفيها شخص الفضل بن يحيى إلى خراسان واليًا عليها، فأحسن السيرة بها، وبنى بها المساجد والرباطات".[٣١٦]

والرباطات لغة من (ربط) جأشه.. باطة: اشتد قلبه فلم يفر عند الفزع.. (رابط) مرابطة، ورباطًا: لازم الثغر وموضع المخافة. يقال: رابط الجيش.

وفى التنزيل العزيز: "يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا". و ـ واظب على الأمر ولازمه.. (الرباط): ما يربط به.. و ـ موضع المرابطة. وملجأ الفقراء من الصوفية.. (المرابطة): الجماعة من الناس، والخيل تلزم الثغر مما يلى العدو..".[٣١٧]

ولقد كانت الأربطة فى أصلها منشآت دينية وعسكرية يقيم بها المرابطون أو المحاربون للتعبد والاستعداد للجهاد والتربص لأعداء الإسلام الذين يغيرون على بلادهم، وقد اشتق لفظها من القرآن الكريم، فقد جاء فى سورة آل عمران قوله عز وجل: "يأيها الذين أمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون".[٣١٨]

وقوله عز وجل فى سورة الأنفال: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون"[٣١٩]، ومع التطور الزمنى صار الرباط مجرد مأوى يقيم به المنقطعون للعبادة، ومن الأربطة ما كان

يخصص للنساء، فكان بمثابة دار كفالة للمرأة، حيث كان يقيم به البنات اليتامى والأرامل والمطلقات اللاتى لا عائل لهن، وقد كانت الأربطة تشيد فى الثغور على حدود الدولة الإسلامية لحماية البلاد من المهاجمين من البحر، كما أقيمت أيضًا فى الصحراء، فقد تطلبت مسيرة الفتح الإسلامى سواء فى شرق أو غرب العالم الإسلامى تأمين حدود الدولة الإسلامية.[٣٢٠]

هدم سور الموصل ونزول الرقة

أورد الطبرى فى أحداث سنة "ثمانين ومائة" ما نصه "وفيها هدم الرشيد سور الموصل بسبب الخوارج الذين خرجوا منها، ثم مضى إلى الرقة فنزلها واتخذها وطنا".[٣٢١]

عمارة القصر الكبير بالمنستير وسور مدينة طرابلس

أولاً: عمارة القصر الكبير بالمنستير

المنستير ذكرها البكرى فقال: "ومن محارس سوسة المذكورة محرس المنستير الذى جاء فيه الأثر المتقدم الذكر، ويذكر أن الذى بنى القصر الكبير بالمنستير هو هرثمة بن أعين سنة ثمانين ومائة، وله فى يوم عاشورا موسم عظيم ومجمع كثير. وبالمنستير البيوت والحجر والطواحن الفارسية ومواجل الماء، وهو حصن عالى البناء متقن العمل. وفى الطبقة الثانية منه مسجد لا يخلو من شيخ خير فاضل يكون مدار القوم عليه، وفيه جماعة من الصالحين والمرابطين قد حبسوا أنفسهم فيه منفردين دون الأهل والعشائر".[٣٢٢]

ثانيًا: سور مدينة طرابلس (أطرابلس)

وقد أورد ابن الأثير عند ذكره ولاية هرثمة بن أعين بلاد إفريقية فى أحداث سنة "ثمانين ومائة" ما نصه "وسار هرثمة إلى القيروان، فقدمها فى ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة.. وبنى القصر الكبير بالمنستير سنة ثمانين ومائة، وبنى سور مدينة طرابلس مما يلى البحر".[٣٢٣]

أما فيما يتعلق بموضع المنستير فقد ذكره ياقوت الحموى بقوله "مُنَسْتِير: بضم أوله، وفتح ثانيه.. وهو موضع بين المهدية[٣٢٤] وسوسة[٣٢٥] بإفريقية.. وهى خمسة قصور يحيط بها سور واحد يسكنها قوم من أهل العبادة والعلم، قال البكرى: ومن محارس[٣٢٦] سوسة المذكورة المنستير الذى جاء فيه الأثر، ويقال إن الذى بنى القصر

الكبير بالمنستير هرثمة بن أعين سنة ١٨٠ وله فى يوم عاشوراء موسم عظيم ومجمع كبير، وبالمنستير البيوت الحجر والطواحين الفارسية ومواجل الماء، وهو حصن كبير عالٍ متقن العمل، وفى الطبقة الثانية مسجد لا يخلو من شيخ خير فاضل يكون مدار القوم عليه وفيه جماعة من الصالحين المرابطين.. وفى قبلته حصن فسيح مزار للنساء المرابطات، وبها جامع متقن البناء وهو آزاج معقودة كلها، وفيه حمامات وغُدر، وأهل القيروان[٣٢٧] يتبرعون بحمل الأموال إليهم والصدقات، وبقرب المنستير ملاحة يحمل ملحها فى المراكب إلى عدة مواضع"[٣٢٨]، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه تطابق ما أورده ياقوت الحموى سواء على لسانه أو على لسان البكرى وما أورده الطبرى وتقدم ذكره سواء بالنسبة للقصر أو تاريخ إنشائه، ويتكون قصر أورباط المنستير ١٨٠هـ/ ٧٩٦م من طابقين، وهو يشغل مساحة مربعة الشكل فى تخطيطها، يبلغ طول ضلعها حوالى ٣٢م، ويحيط بالطابق الأرضى سور خارجى اشتمل على ثلاثة أبراج شبه دائرية فى ثلاث زوايا أو فى ثلاثة أركان بواقع برج زاوية فى كل ركن، أما البرج الشرقى فقد جاء مربعًا تقريبًا، وترتكز عليه ابتداءً من مستوى سطح القصر أو الرباط منارة أسطوانية، ويتوسط الجدار الجنوبى مدخل بارز قائم الزوايا يفتح على دهليز مستقيم، يؤدى بدوره إلى صحن القصر، وتحيط بالصحن من أربعة جوانب مجموعة من الحجرات المفردة، قائمة على جدران القصر الأربعة، كان يقيم فيها المرابطون، فيما عدا قاعات الجهة الجنوبية، أى القاعات التى على ضلع المدخل، حيث يرجح حسن الباشا[٣٢٩] أنها كانت اسطبلات للخيل، وتتقدم الحجرات ظلة أو سقيفة يرتكز عليها ممر الطابق العلوى، ولم يبق من هذه الحجرات غير حجرات ضلع المدخل، وكان يوجد بئر فى صحن الرباط، أما الطابق العلوى للقصر أو الرباط فيتكون من مسجد يشتمل على محراب أعلى مدخل الرباط مباشرة، وجاء تخطيط المسجد من سبع بلاطات تغطيها أقبية طولية تتعامد على جدار القبلة، وعلى ما يبدو فإن هذا الطابق كان يشتمل فى المساحة المتبقية منه على غرف على غرار الطابق الأرضى، يمتد أمامها ممر،وقد أقيم أمام مدخل القصر فى الضلع الجنوبى الغربى رباط للنساء يستند من جانبه الجنوبى الشرقى على برج

قصر المنستير،وقد نقش على محراب مسجده كتابة مؤرخة رمضان سنة ٢٥٦هـ (٨٧٠م).

أما فيما يتعلق بطرابلس وسورها فقد أورد ياقوت الحموى طرابلس فى موضعين أحدهما فى حرف الألف باسم أطرابلس فقال "أطرابلس: بضم الباء الموحدة واللام، والسين مهملة: مدينة مشهورة.. أطرابلس أيضًا: مدينة فى آخر أرض برقة وأول أرض إفريقية"[٣٣٠]، والآخر فى باب الطاء بما نصه "طرابلس: بفتح أوله.. ويقال أطرابلس، وقال ابن بشير البكرى، طرابلس بالرومية والإغريقية ثلاث مدن، وسماها اليونانيون طرابليطة وذلك بلغتهم أيضًا ثلاث مدن، لأن طرا معناه ثلاث وبليطة مدينة، وقد ذكر أن أشباروس قيصر أول من بناها، وتسمى أيضًا مدينة إياس، وعلى مدينة طرابلس سور صخر جليل البنيان، وهى على شاطئ البحر، ومبنى جامعها أحسن مبنى، وبها أسواق حافلة جامعة وبها مسجد يعرف بمسجد الشعاب.. وفيها رباطات كثيرة يأوى إليها الصالحون أعمرها وأشهرها مسجد الشعاب، ومرساها مأمون من أكثر الرياح، وهى كثيرة الثمار والخيرات، ولها بساتين جليلة فى شرقيها وتتصل بالمدينة سبخة كبيرة يرفع منها الملح الكثير، وداخل مدينتها بئر تعرف ببئر أبى الكنود.. وأعذب آبارها بئر القبة.. غزا عمرو بن العاص طرابلس سنة ٢٣.. وكان البحر لاصقًا بالمدينة ولم يكن فى ما بين المدينة والبحر سور.. وإنما بنى سورها مما يلى البحر هرثمة بن أعين حين ولايته على القيروان.."[٣٣١].

سقوط رأس منارة الإسكندرية بمصر

وتعرضت مصر لزلزال شديد فى هذه السنة، قال الطبرى "وفيها كانت بأرض مصر زلزلة شديدة، فسقط رأس منارة الإسكندرية"[٣٣٢].

الحيرة وعمائرها من قبل الرشيد

أورد الطبرى عند ذكره أحداث سنة "ثمانين ومائة" ومسير الرشيد إلى البصرة ".. ثم شخص إلى الحيرة، فسكنها وابتنى بها المنازل، وأقطع من معه الخطط".[٣٣٣]

ومدينة الحيرة ذكرها ياقوت الحموى فقال: "الحيرة: بالكسر ثم السكون، وراء: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف.. كانت مسكن ملوك العرب فى الجاهلية.. والنسبة إليها حارى.. وأما وصفهم إياها بالبياض فإنما أرادوا حسن العمارة، وقيل: سميت الحيرة لأن تبعًا الأكبر لما قصد خراسان خلف ضعفة جنده بذلك الموضع وقال لهم حيروا به أى أقيموا به، وقال الزجاجى: كان أول من نزل بها مالك بن زهير.. فلما نزلها جعلها حيرًا وأقطعه قومه فسميت الحيرة بذلك..".[٣٣٤]

عمارة مدينة عين زَرْبَى من قبل الرشيد

أورد ابن الأثير عن بناء مدينة عين زربى ما نصه "وفيها أمر الرشيد ببناء مدينة عين زربى وحصنها، وسير إليها جندًا من أهل خراسان وغيرهم، فأقطعهم بها المنازل".(٣٣٥)

وبلد عين زربى ذكره ياقوت الحموى بقوله "عين زربى: بفتح الزاى، وسكون الراء، وباء موحدة، وألف مقصورة.. بلد بالثغر من نواحى المصيصة، قال ابن الفقيه: كان تجديد زربى وعمارتها على يد أبى سليمان التركى الخادم فى حدود سنة ١٩٠، وكان قد ولى الثغور من قبل الرشيد، ثم استولى عليها الروم فخربوها فأنفق سيف الدولة بن حمدان.. حتى أعاد عمارتها.. وأهلها اليوم أرمن.. وقد نسب إليها قوم من أهل العلم.. قال الواقدى: ولما كانت سنة ١٨٠ أمر الرشيد ببناء مدينة عين زربى وتحصينها وندب إليها ندبة من أهل خراسان وغيرهم وأقطعهم بها المنازل، ثم لما كانت أيام المعتصم نقل إليها وإلى نواحيها قومًا من الزط الذين كانوا قد غلبوا على البطائح بين واسط والبصرة فانتفع أهل الثغر بهم".(٣٣٦)

البيعة للمأمون بعد الأمين

وفى أحداث سنة "اثنتين وثمانين ومائة" أورد الطبرى "فكان فيها انصراف الرشيد من مكة ومسيره إلى الرقة، وبيعته بها لابنه عبدالله المأمون بعد ابنه محمد الأمين".(٣٣٧)

تأسيس دولة الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م) بإفريقية

ولاية إبراهيم بن الأغلب (١٨٤-١٩٦هـ/٨٠٠-٨١١م)

ينسب الأغالبة إلى الأغلب بن سالم التميمى، وهو عربى من قبيلة تميم التى أسهمت فى القضاء على الخلافة الأموية وقيام الدولة العباسية، وكان الأغلب من أصحاب أبى مسلم الخراسانى وشغل مركزًا مرموقًا فى جيش محمد بن الأشعث بمصر، ولما ساءت أحوال إفريقية من جراء ثورات الخوارج خرج إليها محمد بن الأشعث وبصحبته الأغلب، وولاه ابن الأشعث بلاد الزاب فاتخذ من طبنة مقرًا له، وفى سنة ١٤٨ هـ/ ٧٦٥م عهد المنصور إليه بولاية إفريقية، غيرأنه مات بضربة سهم فى القيروان سنة ١٥٠ هـ/ ٧٦٧م فلقب بالشهيد وكان أن ولى الرشيد إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمى (إبراهيم الأول) إفريقية فى سنة ١٨٤هـ/ ٨٠٠م، واتخذ إبراهيم من القيروان عاصمة وحاضرة لدولته، قال الطبرى فى أحداث سنة "أربع وثمانين ومائة" ما نصه "وقام بأمر إفريقية إبراهيم الأغلب، فولاها إياه الرشيد".(٣٣٨)

وفى ذلك أورد ابن الأثير عند ذكره ولاية إبراهيم بن الأغلب إفريقية "فولاه الرشيد فى المحرم سنة أربع وثمانين ومائة".(٣٣٩)

وذكر ابن عذارى المراكشى عند ذكره ولاية إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمى إفريقية ما نصه "وصله عهد الرشيد فى العشر الوسط لجمادى الأخيرة من سنة ١٨٤، وقال له فيه: "قد تقدم لكم بإفريقية أمر".. وكان إبراهيم

قد سمع من الليث بن سعد.. وكان لإبراهيم فضائل جمة ومآثر حسنة.. ولما ملك إفريقية، قمع أهل الشر بها وضبط أمرها. وكان له مع بربرها حروب".[٣٤٠]

توفى إبراهيم بن الأغلب فى أواخر شوال من سنة ١٩٦ هـ/ ٨١١م، وقد تمتعت دولة الأغالبة باستقلال اسمى، ولكنها ما لبثت أن استقلت على مر الزمن استقلالاً يكاد يكون تامًا، بحيث لم يبق للخليفة العباسى سوى ذكر اسمه فى الخطبة ونقشه على السكة.[٣٤١]

تأسيس مدينة العباسية بإفريقية
مدينة القصر القديم

اتخذ إبراهيم بن الأغلب من القيروان عاصمة وحاضرة لدولته، ثم شرع فى سنة ١٨٥هـ/ ٨٠١م فى تشييد مدينة القصر القديم التى تقع على بعد ثلاثة أميال جنوب القيروان وسماها العباسية تقربًا من الخلافة العباسية، وتعبيرًا عن ولائه للعباسيين، ولم يشر الطبرى إلى هذه المدينة، غير أن البكرى ذكر مدينة القصر القديم فقال "فأما مدينة القصر القديم فإن الذى أسسها إبراهيم بن الأغلب بن سالم سنة أربع وثمانين ومائة، وصارت دار أمراء بنى الأغلب، وهى بقبلي مدينة القيروان وعلى ثلاثة أميال منها، بها جامع له صومعة مستديرة مبنية بالآجر والعمد سبع طبقات لم يبن أحكم منها ولا أحسن منظرًا، وحمامات كثيرة وفنادق وأسواق جمة ومواجل للماء. وإذا قحطت القيروان وفقد الماء فى مواجلها نقلوا الماء من مدينة القصر. وكان لها من الأبواب باب الرحمة قبلى وباب الحديد قبلى وباب غلبون شرقى وباب الريح شرقى وباب السعادة غربى يقابل المقبرة الكبيرة. وداخل المدينة رحبة كبيرة واسعة تعرف بالميدان. (ويجاور مدينة القصر بنية) تعرف بالرصافة. ولما أتى إبراهيم مدينة القصر وانتقل إليها خرب دار الإمارة التى كانت بالقيروان بقبلى الجامع منذ فتحت". (٣٤٢)

وقد أورد ذكرها ابن الأثير عند ذكره ولاية إبراهيم بن الأغلب إفريقية بما نصه "فولاه الرشيد فى المحرم سنة أربع وثمانين ومائة.. فسكنت البلاد، وابتنى مدينة سماها العباسية بقرب القيروان، وانتقل إليها بأهله وعبيده". (٣٤٣)

ومدينة العباسية أو القصر القديم ذكرها ياقوت الحموى فقال: "العباسية: مثل الذى قبلها إلا أنها بياء النسبة كأنها منسوبة إلى رجل اسمه العباس، وأكثر ما يراد به العباس بن عبد المطلب أبو الخلفاء، وهى فى عدة مواضع، منها: ... والعباسية: مدينة بناها إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية قرب القيروان نسبها إلى بنى العباس. والعباسية: محلة كانت ببغداد وأظنها خربت الآن وكانت بين الصراتين بين يدى قصر المنصور قرب المحلة المعروفة اليوم بباب البصرة، وهى منسوبة إلى العباس بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس".[٣٤٤]

ومدينة القصر القديم ذكرها ابن عذارى فقال: "وفى سنة ١٨٥، شرع إبراهيم فى بناء مدينة القصر القديم، وصار بعد ذلك دار الأمراء بنى الأغلب. وكان على ثلاثة أميال من القيروان، وكان قد اشترى موضعه من بنى طالوت، فبناه ونقل إليه السلاح والعدد سرًا،وسكن حوله عبيده وأهل الثقة به من خدمته".[٣٤٥]

ومن الأحداث التى ذكرها ابن الأثير وارتبطت بالعباسية والقيروان عند ذكره ولاية إبراهيم بن الأغلب إفريقية ما نصه "ثم إن عمران بن مخلد... وكان من بطانة إبراهيم بن الأغلب، وينزل معه فى قصره.. جمع جمعًا كثيرًا، وثار عليه، فنزل بين القيروان والعباسية.. فخندق إبراهيم على العباسية، وامتنع فيها، ودامت الحرب بينهما سنة كاملة.. فانهزموا، فنادى منادى إبراهيم بالأمان.. وقلع أبواب القيروان وهدم فى سورها.. ولما انهزم عمران سكن الشر بإفريقية، وأمن الناس، فبقى كذلك إلى أن توفى إبراهيم فى شوال سنة ست وتسعين ومائة، وعمره ست وخمسون سنة، وإمارته اثنتا عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام".[٣٤٦]

صاعقة فى المسجد الحرام

وفى أحداث سنة "خمس وثمانين ومائة" وقعت فى المسجد الحرام صاعقة، قال الطبرى ".. ووقعت فى المسجد الحرام صاعقة فقتلت رجلين".[٣٤٧]

زلزلة المصيصة (المعمورة)

وفى أحداث سنة "سبع وثمانين ومائة" كان إيقاع الخليفة الرشيد بالبرامكة، فقد أورد الطبرى "فمما كان فيها من ذلك قتل الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد وإيقاعه بالبرامكة".[٣٤٨] وفى هذه السنة زلزلت المصيصة، قال الطبرى "وفيها زلزلت المصيصة فانهدم بعض سورها، ونضب ماؤهم ساعة الليل"[٣٤٩].

نقش خاتم الخاصة

وفى أحداث سنة "تسعين ومائة" "أورد الطبرى" وفى هذه السنة غزا الرشيد الصائفة، واستخلف ابنه عبد الله المأمون بالرقة وفوض إليه الأمور، وكتب إلى الآفاق بالسمع له والطاعة، ودفع إليه خاتم المنصور يتيمن به، وهو خاتم الخاصة، نقشه: "الله ثقتى آمنت به"[٣٥٠].

نقش قلنسوة "غاز حاج" وفتح هرقلة

وأورد الطبرى أيضًا فى أحداث هذه السنة "وفيها فتح الرشيد هرقلة، وبث الجيوش والسرايا بأرض الروم.. وكان شخوص هارون إلى بلاد الروم لعشر بقين من رجب، واتخذ قلنسوة مكتوبًا عليها "غاز حاج"، فكان يلبسها.. ثم صار الرشيد إلى الطوانة.. ثم رحل عنها، وخلف عليها عقبة بن جعفر، وأمره ببناء منزل هنالك.. واستهداه أيضًا طيبًا وسرادقًا"[٣٥١].

ومدينة هرقلة ذكرها ياقوت الحموى بقوله "هِرَقلة: بالكسر ثم الفتح: مدينة ببلاد الروم سميت بهرقلة بنت الروم بن اليفزبن سام بن نوح، عليه السلام، وكان الرشيد غزاها بنفسه ثم افتتحها عنوة بعد حصار وحرب شديد ورمى بالنار والنفط حتى غلب أهلها.. ثم قدم الرقة فى شهر رمضان، فلما عيد جلس للشعراء فدخلوا عليه.. وكان فى السبى الذى سبى من هرقلة ابنة بطريقها، وكانت ذات حسن وجمال، فنودى عليها فى المغانم فزاد عليها صاحب الرشيد.. فنقلها معه إلى الرقة وبنى لها حصنًا بين الرافقة وبالس على الفرات وسماه هرقلة.. وبقى الحصن عامرًا

مدة حتى خرب وآثاره إلى وقتنا ذا باقية وفيه آثار عمارة وأبنية عجيبة، وهو قرب صفين من الجانب الغربى"[٣٥٢].

أما بلد الطوانة فقد ذكره ياقوت الحموى بقوله "طوانة: بضم أوله، وبعد الألف نون: بلد بثغور المصيصة.. وكان المأمون لما قدم الثغر غازيًا أمر أن يسور على الطوانة قدر ميل فى ميل وعمر مدينة وهيأ له الرجال والمال فمات بعد شروعه بقليل فبطله المعتصم.."[٣٥٣].

مسجد الأعاسرة المؤرخ ١٩٠هـ/٨٠٥م

يوجد مسجد الأعاسرة فى بلاد بنى عمرو بمحافظه النماص بعسير، ويؤرخ ١٩٠هـ/ ٨٠٥م[٣٥٤].

وقوع الثلج ببغداد

وقد شهدت مدينة بغداد وقوع الثلج فى أحداث سنة "إحدى وتسعين ومائة"، قال الطبرى "وفيها وقع الثلج بمدينة السلام"[٣٥٥].

هدم الكنائس بالثغور

كما أورد الطبرى "وفيها أمر الرشيد بهدم الكنائس بالثغور، وكتب إلى السندى بن شاهك يأمره بأخذ أهل الذمة بمدينة السلام بمخالفة هيئتهم هيئة المسلمين فى لباسهم وركوبهم"[٣٥٦].

عمارة طرسوس

أورد ابن الأثير "وأمر هرثمة ببناء طرسوس وتمصيرها.. وبنى مسجدها"[٣٥٧].

وفى ذلك أورد ياقوت الحموى، عند ذكره طرسوس ".. وقيل: إن مدينة طرسوس أحدثها سليمان كان خادمًا للرشيد فى سنة نيف وتسعين ومائة، قاله أحمد بن محمد الهمذانى، وهى مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم.."[٣٥٨].

وفاة هارون الرشيد

وتوفى الخليفة العباسى هارون الرشيد فى سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٩م، وفى ذلك أورد الطبرى فى أحداث سنة "ثلاث وتسعين ومائة" ما نصه "وفيها مات هارون الرشيد"، كما أورد "(خلافة الأمين) وفى هذه السنة بويع لمحمد الأمين بن هارون بالخلافة فى عسكر الرشيد.. ولما قدم كتاب صالح على محمد الأمين مع رجاء الخادم بوفاة الرشيد ـ وكان نازلًا فى قصره بالخلد ـ تحول إلى قصر أبى جعفر بالمدينة"(٣٥٩).

القصر الأبيض بالحيرة

يعد القصر الأبيض من القصور التى نسبها ياقوت الحموى للرشيد، فقد أورد "والقصر الأبيض: من قصور الحيرة، ذكر فى الفتوح أنه كان بالرقة وأظنه من أبنية الرشيد.."(٣٦٠).

الرشيد والبرامكة

وقد قامت الفتن الداخلية فى عهد الرشيد وخاصة فى الموصل وإفريقية وأرمينية، كما أثر البرامكة فى الدولة، وقد ظهر من الأسرة البرمكية فى أوائل الدولة العباسية خالد بن برمك، الذى تقلد الوزارة فى عهدى السفاح والمنصور، واتخذ هارون الرشيد يحيى بن خالد قبل أن يلى الخلافة كاتبًا له يرجع إلى رأيه وتدبيره، ولما ولى الرشيد الخلافة استوزر يحيى فعلا شأنه وبعد صيته، وكان يحيى بن خالد البرمكى أشهر رجال عصره علمًا وأدبًا وفضلًا وجودًا ونبلًا، ولما تولى هارون بلاد المغرب ساعده يحيى وأخلص له، لذا فوض إليه الرشيد أمور دولته، واستعان بأولاده الأربعة جعفر والفضل ومحمد وموسى، وكانت نكبتهم على يد الرشيد، وكانت دولة الرشيد من أحسن الدول وأكثرها وقارًا ورونقًا وخيرًا، وأوسعها رقعة، وكان الرشيد من أفاضل الخلفاء وفصحائهم وعلمائهم وكرمائهم، كان يحج سنة ويغزو سنة مدة خلافته إلا سنين قليلة، وكان يصلى كل يوم مائة ركعة، وحج ماشيًا، ولم يحج خليفة ماشيًا غيره، اشتهر بحسن معاملة العلماء، وفى عهد الرشيد كان من

أعلام الإسلام الإمام مالك بن أنس، والليث بن سعد الفقيه المصرى، والفقيه أبو يوسف صاحب كتاب الخراج، وسيبويه إمام العربية، ومروان بن أبى حفصة الشاعر، والمفضل بن فضالة قاضى مصر، وموسى الكاظم الإمام السابع عند طائفة الإمامية الإثنى عشرية، والعباس بن الأحنف الشاعر[٣٦١].

عمائر الرشيد بقزوين

أورد ياقوت الحموى عند ذكره قزوين ما نصه "قزوين: بالفتح ثم السكون، وكسر الواو، وياء مثناة من تحت ساكنة، ونون: مدينة مشهورة.. وهى فى الاقليم الرابع، طولها خمس وسبعون درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة، قال ابن الفقيه: أول من استحدثها سابور ذو الاكتاف واستحدث أبهر أيضًا، قال: وحصن قزوين يسمى كشرين بالفارسية وبينه وبين الديلم جبل.. وكان عثمان بن عفان، رضى الله عنه، ولى البراء بن عازب الرى فى سنة ٢٤ فسار منها إلى أبهر ففتحها.. ورحل عنها إلى قزوين.. وطلب أهلها الصلح فعرض عليهم ما أعطى أهل أبهر من الشرائط.. قالوا: ولما ولى سعيد بن العاصى بن أمية الكوفة.. وقدم قزوين فمصرها وجعلها مغزى أهل الكوفة إلى الديلم، وكان موسى الهادى لما سار إلى الرى قدم قزوين وأمر ببناء مدينة بإزائها فهى تعرف بمدينة موسى وابتاع أرضًا يقال لها رستماباذ ووقفها على مصالح المدينة وكان عمرو الرومى تولاها ثم تولاها بعده ابنه محمد بن عمرو، وكان المبارك التركى بنى بها حصنًا سماه المباركية وبه قوم من مواليه، وحدث محمد بن هارون الأصبهانى قال: اجتاز الرشيد بهمذان وهو يريد خراسان فاعترضه أهل قزوين.. فسار إلى قزوين ودخلها وبنى جامعها وكتب اسمه على بابه فى لوح حجر وابتاع بها حوانيت ومستغلات ووقفها على مصالح المدينة وعمارة قبتها وسورها.."[٣٦٢]

درب زبيدة

ومن طرق التجارة والحج التى تقع بمكة المكرمة، طريق مكة المكرمة ـ الكوفة

الذى ازدهر فى العصر الأموى وازداد شهرة فى العصر العباسى الأول، حيث عرف فيما بعد باسم "درب زبيدة"، وهو يعد من أشهر الطرق فى جزيرة العرب، حيث تعهده الخلفاء بالعمارة والاصلاح بهدف الاتصال بالحجاز حتى اليمن، وقد سمى الطريق بدرب زبيدة نسبة إلى زبيدة زوج الخليفة هارون الرشيد التى كان لها أعمال خيرية كثيرة فى الطريق وفى مكة والمشاعر المقدسة، ويقع جزء من الطريق فى منطقة مكة المكرمة، والمواقع الرئيسية التى وردت فى المصادر الجغرافية المبكرة هى: المسلح، القصر، الغمرة، أو طاس، ذات عرق، غمر ذى كندة، بستان بنى عامر، مشاش، ومن ثم إلى مكة المكرمة، وآثار الطريق مشاهدة حتى اليوم فى المسلح، والعقيق، والخرابة، ومسلحة، والضريبة، ومكة الرقة، والمضيق، والعلوية، وأم الضميران، والشرائع، والبرود، ومواضع أخرى بالقرب من مكة، ويلتقى طريق البصرة ـ مكة المكرمة ـ مع طريق درب زبيدة عند ذات عرق فى الموقع المسمى اليوم الضريبة، كذلك ترتبط مكة بطريق تجارى قديم ينطلق من مكة إلى وادى سرف، وبطن مر، وعسفان، والسيالة، وملل، والشجرة، ثم المدينة المنورة، وتتصل مكة أيضًا بالمدينة المنورة بواسطة الطريق السلطانى الذى يمر عبر مرة رهاط حيث يتفرع من درب زبيدة عند المسلح، ومنه إلى حاذة وصفينة والسوارقية[٣٦٣].

عين زبيدة

تعد عين زبيدة من الآثار التى تشتهر بها مكة المكرمة، وهى من الأعمال الجليلة التى قامت بها السيدة زبيدة بنت جعفر ـ زوجة الخليفة هارون الرشيد ـ فعندما علمت بما يعانيه أهل مكة والحجاج والمعتمرون من نقص شديد فى مياه الشرب، وجهت المهندسين لإيجاد وسيلة لتوفير المياه، فعثروا على مصدر للمياه يأتى من أعلى جبل شامخ بين الطائف وعرفات، فشقت مجرى العين الرئيسية فى وادى حنين، وأسالت إليها المياه، كما قام المهندسون بحفر عيون وقنوات مساندة للعين الأم لضمان رفع منسوب المياه، ومن هذه العيون: عين حشاش، عين ميمون (عين ميمونة)، عين الزعفران، عين البرود، عين الصفدة، عين الطارفى والحربيات، وأوصلت السيدة زبيدة مياه هذه العيون حتى مكة المكرمة، كما أمرت بايصال عين

مماثلة لصعيد عرفات وهى عين وادى نعمان، وتم تحويل قناة مماثلة إلى مزدلفة ومنى، وقد نفذت عمارة هذه القنوات والعيون بطرق هندسية دقيقة، وزودت بفتحات ذات أعماق متفاوتة، أما مجرى القناة فتتفاوت سعته حسب طبيعة الطبقة الصخرية، ولا تزال معظم المعالم المعمارية لعين زبيدة باقية حتى اليوم وذلك من خلال مجرى العين الممتد على سفوح الجبال، والخرزات الدائرية والمربعة المقامة على مجرى العين الرئيسية، وبقية العيون المساندة الأخرى، وقد صرفت زبيدة أموالاً طائلة على العين وإصلاح مرافقها طوال حياتها، وقد استمر جريان عين زبيدة طوال قرون عديدة حسب تعهدها بالصيانة، وحسب توافر مياه السيول والأمطار، ومع التطور الحضارى الذى شهدته مكة المكرمة، واستخدام التقنيات العصرية فى استخراج المياه وتنقيتها، وجلب المياه بعد تحليتها من البحر، فقد جفت عيون زبيدة بسبب انسداد مجاريها، وتعرض خرزاتها للتلف، والامتداد العمرانى، وغيرها مما جعلها غير صالحة للاستخدام مرة أخرى[٣٦٤].

الأمين

(١٩٣- ١٩٨هـ / ٨٠٩- ٨١٣م)

ولد أبو عبد الله محمد الأمين سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م، وهى السنة التى ولى فيها أبوه هارون الرشيد الخلافة، وذلك بعد مولد أخيه عبد الله المأمون بستة أشهر، وأمه أم جعفر زبيدة ابنة جعفر بن المنصور، وليس فى خلفاء بنى العباس من أبوه وأمه هاشميان سواه، ولمامات الرشيد بطوس[٣٦٥]، أحضر إليه رجاء الخادم وهو ببغداد البردة والقضيب والخاتم، وهى شارات الخلافة[٣٦٦].

الدنانير والدراهم بخراسان

من الاشارات التاريخية التى تتعلق بالدنانير والدراهم ما أورده الطبرى فى أحداث سنة "خمس وتسعين ومائة" ونصه "فمن ذلك ما كان من أمر محمد بن هارون بإسقاط ما كان ضرب لأخيه عبد الله المأمون من الدنانير والدراهم بخراسان فى سنة أربع وتسعين ومائة، لأن المأمون كان أمر ألا يثبت فيها اسم محمد، وكان يقال لتلك الدنانير والدراهم الرباعية، وكانت لا تجوز حينًا"[٣٦٧].

نقش مؤرخ بسنة ١٩٥هـ بوادى الصويدرة

ومن النقوش المؤرخة المنتشرة على الواجهات الصخرية فى وادى الصويدرة، يوجد نقش مؤرخ سنة ١٩٥هـ، ويقع فى الجهة الجنوبية الغربية من المرتفع الجبلى غربى الجسر وشمالى بلدة الصويدرة الحديثة، وكتب النقش على واجهة صخرية بمساحة ٤٠×١٨ سم ويتكون من ثلاثة أسطر كالآتى:

١ - اللهم أغفر لشعيب ابن ا

٢- لفضل السلمى مرفى صفر سنة خمس

٣- وتسعين ومئة[٣٦٨].

بناء قبة (الهوى) الهواء بمصر

من الإشارات التاريخية المعمارية التى تتعلق بمصر فى أحداث سنة "خمس وتسعين ومائة" بناء قبة الهوى (الهواء) على يد حاتم بن هرثمة، قال الكندى "ثم وليها حاتم بن هرثمة من قبل محمد بن هرون.. وابتنى حاتم بن هرثمة القبة التى تعرف بقبة الهوى وهو أول من ابتناها. فوليها حاتم إلى أن صرف عنها فى جمادى الآخر سنة خمس وتسعين ومائة"[٣٦٩].

عمارة إفريقية فى عهد

أبو العباس عبد الله (الأول) بن إبراهيم بن الأغلب

(١٩٦-٢٠١هـ/٨١١-٨١٦م)

تولى أبو العباس عبد الله بن إبراهيم الذى عرف بعبد الله الأول حكم دولة الأغالبة، وذلك بعد إبراهيم بن الأغلب ، فقد أورد ابن الأثير فى أحداث سنة "إحدى وثمانين ومائة" وسنة "ست وتسعين ومائة" عند ذكره ولاية عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب إفريقية ما نصه "ولما توفى إبراهيم بن الأغلب ولى بعده ابنه عبد الله، وكان عبد الله غائبًا بطرابلس قد حصره البربر.. فعهد إليه أبوه بالإمارة، وأمر ابنه زيادة الله بن إبراهيم أن يبايع لأخيه عبد الله بالامارة، فكتب إلى أخيه بموت أبيه، وبالإمارة، ففارق طرابلس، ووصل إلى القيروان، فاستقامت الأمور، ولم يكن فى أيامه شر، ولا حرب، وسكن الناس فعمرت البلاد، وتوفى فى ذى الحجة سنة إحدى ومائتين"[٣٧٠].

ذكر بعض القصور العباسية فى الأحداث التاريخية

ومن الأحداث التاريخية التى ارتبطت بالقصور العباسية ما أورده الطبرى ونصه فى أحداث سنة "ثمان وتسعين ومائة" "وذكر عن محمد بن راشد.. قصره بباب الذهب.. فصار إلى قصر القرار - فى قرن الصراة، أسفل من قصر الخلد"[٣٧١].

استحداث مدينة سيسر فى خلافة الأمين:

تعد مدينة سيسر من المدن التى استحدثت فى عهد الخليفة الأمين، فقد ذكرها ياقوت الحموى[٣٧٢] بما نصه "سيسر: بكسر أوله، وبعد الياء سين أخرى، وآخره راء: بلد متاخم لهمذان، قالوا: سمى سيسر لأنه فى انخفاض من الأرض بين رؤوس آكام ثلاثين فمعناه ثلاثون رأسًا، وهى بين همذان وأذربيجان، حصنها ومدينتها استحدثت فى أيام الأمين بن الرشيد، وفيها عيون كثيرة لا تحصى، وكانت تدعى صدخانية لكثرة عيونها ومنابعها، ولم تزال سيسر وماو الاها مراعى لمواشى الأكراد وغيرهم حتى أنفذ المهدى إليها مولى له يعرف بسلمان بن قيراط وأبوه صاحب الصحراء التى تسمى صحراء قيراط ببغداد ومعه شريك له يعرف بسلام الطيفورى.. فكتبا إلى المهدى يعرفانه ذلك فأمرهما ببناء حصن.. فبنيا مدينة سيسر وحصناها وسكناها وضم إليها رستاق ما ينهرج من الدينور ورستاق الجوذمة من أذربيجان من كورة برزة ورستاق خانيجر فكورت بها الرساتيق وولى عليها عاملاً برأسه إلى أن كان أيام الرشيد كثر الذعار بنواحيها، فلما كان أيام فتنة الأمين والمأمون تغلب عليها مرة بن أبى مرة العجلى ومنع الخوارج، فلما استقر أمر المأمون أخذت من يد مرة وجعلت فى ضياع الخلافة..".

الفتن والاضطرابات فى عهد الأمين

كان عهد الخليفة الأمين مليئًا بالفتن والاضطرابات، وفى الوقت الذى قامت فيه هذه الفتنة بينه وبين أخيه المأمون، اشتعلت نار الثورة فى بلاد الشام على يد على بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية، المعروف بالسفيانى، الذى دعا إلى نفسه، واحتل دمشق ومايليها بعد أن طرد عامل الأمين، وكاد أن يتم له الاستقلال بهذه البلاد، لولا أن قام بين اليمنيين والمضريين نزاع خطير حال دون تحقيق ذلك، وقد أرسل الأمين الجيوش لقمع هذه الفتن بقيادة الحسين بن على بن عيسى بن ماهان، ثم عبد الله بن صالح، ولكن سوء الحالة فى بغداد حال دون القيام بعمل جدى ضد السفيانى، وهكذا أصبحت بلاد الشام مسرحًا للفوضى سنتين أو أكثر[٣٧٣].

وقد اجتمعت فى الأمين خصائل لم تكن فى غيره، فقد كان أحسن الناس وجهًا وأسخاهم، وأشرف الخلفاء أبًا وأمًا، حسن الأدب عالمًا بالشعر، لكن غلب عليه الهوى واللعب، وكان مع سخائه بالمال بخيلاً بالطعام جدًا، وبنى مجالس للتنزه، قال الطبرى "قال حميد: ولما ملك محمد وجه إلى جميع البلدان فى طلب الملهين وضمهم إليه، وأجرى لهم الأرزاق، ونافس فى ابتياع فره الدواب، وأخذ الوحوش والسباع والطير وغير ذلك، واحتجب عن إخوته وأهل بيته وقواده، واستأنف بهم، وقسم ما فى بيوت الأموال وما بحضرته من الجوهر فى خصيانه وجلسائه ومحدثيه، وحمل إليه ما كان فى الرقة من الجوهر والخزائن والسلاح، وأمر ببناء مجالس لمتنزهاته ومواضع خلوته ولهوه ولعبه بقصر الخلد والخيزرانية وبستان موسى وقصر عبدويه وقصر المعلى ورقة كلواذى وباب الأنبار وبناورى والهوب، وأمر بعمل خمس حراقات فى دجلة على خلقة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس، وأنفق فى عملها مالاً عظيمًا.. وذكر عن الحسين بن الضحاك، قال: ابتنى الأمير سفينة عظيمة، أنفق عليها ثلاثة آلاف ألف درهم، واتخذ أخرى على خلقة شىء يكون فى البحر يقال له الدلفين، فقال فى ذلك أبو نواس"[٣٧٤].

ولم يعمر الأمين طويلاً، فقد قتل بعد أن جلس على عرش الخلافة أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام، وذلك فى شهر ربيع الأول سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م، وكان فى الثامنة والعشرين من عمره، وقد ذهب ضحية هذه الفتنة التى قامت بينه وبين أخيه المأمون، بسبب خلعه أخاه، وتوليته ابنه موسى العهد من بعده، ونكث العهد والميثاق الذى أخذه عليه أبوه الرشيد، ولما قتل الأمين أرسل عبد الله بن طاهر رأسه إلى المأمون، الذى صفا له الجو واستقرت له الأمور[٣٧٥].

المأمون

(١٩٨- ٢١٨ هـ / ٨١٣- ٨٣٣م)

ولد عبد الله أبو العباس المأمون بن الرشيد فى سنة ١٧٠ هـ/ ٧٨٦م فى الليلة التى مات فيها عمه الخليفة الهادى، وأمه أم ولد تسمى مراجل، وقد ولاه أبوه العهد وهو فى الثالثة عشرة من عمره بعد أخيه الأمين، وأسند إليه ولاية خراسان وما يتصل بها إلى همذان[٣٧٦]، ولما توفى أبوه لم يف له أخوه الأمين بعهده، كما تقدم، بل عول على أن يقدم عليه ابنه موسى فى ولاية العهد، فأبى المأمون ذلك،ونشبت بينهما تلك الحروب التى انتهت بقتل الأمين فى ٢٥ من المحرم سنة ١٩٨ هـ/ ٨١٣م، وقد بويع المأمون بالخلافة وهو فى الرى، وظل بخراسان حتى قدم بغداد فى منتصف شهر صفر سنة ٢٠٤ هـ[٣٧٧].

كسوة الكعبة

وفى ذلك أورد الطبرى فى أحداث سنة "ثمان وتسعين ومائة" ما نصه "وفى هذه السنة وضعت الحرب - بين محمد وعبد الله ابنى هارون الرشيد - أوزارها، واستوسق الناس بالمشرق والعراق والحجاز لعبد الله المأمون بالطاعة"[٣٧٨].

وقد أورد الطبرى فى أحداث سنة "مائتين" فيما يتعلق بكسوة الكعبة ما نصه "وفى هذه السنة فى أول يوم من المحرم منها بعدما تفرق الحاج من مكة جلس حسين بن حسن الأفطس خلف المقام على نمرقة مثنية، فأمر بثياب الكعبة التى عليها فجردت منها حتى لم يبق عليها من كسوتها شيئًا، وبقيت حجارة مجردة، ثم كساها ثوبين من قزرقيق، كان أبو السرايا وجه بهما معه مكتوب عليهما: أمر به

الأصفر بن الأصفر أبو السرايا داعية آل محمد، لكسوة بيت الله الحرام، وأن يطرح عنه كسوة الظلمة من ولد العباس، لتطهر من كسوتهم. وكتب فى سنة تسع وتسعين ومائة. ثم أمر حسين بن حسن بالكسوة التى كانت على الكعبة فقسمت بين أصحابه من العلويين وأتباعهم على قدر منازلهم عنده، وعمد إلى ما فى خزانة الكعبة من مالٍ فأخذه، ولم يسمع بأحد عنده وديعة لأحد من ولد العباس وأتباعهم إلا هجم عليه فى داره.. وكان الذى يتولى العذاب لهم رجلاً من أهل الكوفة يقال له محمد بن مسلمة، كان ينزل فى دار خالصة عند الحناطين، فكان يقال لها دار العذاب، وأخافوا الناس.. وجعلوا يحكون الذهب الرقيق الذى فى رؤوس أساطين المسجد، فيخرج من الأسطوانة بعد التعب الشديد قدر مثقال ذهب أو نحوه، حتى عم ذلك أكثر أساطين المسجد الحرام، وقلعوا الحديد الذى على شبابيك زمزم، ومن خشب الساج، فبيع بالثمن الخسيس[٣٧٩].

نقوش أثرية بمنطقة القصيم فيما بين القرنين الثانى والثالث الهجريين

أسفرت الدراسات والمسوحات الأثرية فى منطقة القصيم عن اكتشاف مجموعة من النقوش الإسلامية المبكرة، عثر عليها منقورة على الواجهات الصخرية للجبال والهضاب الواقعة حول المواقع الأثرية، وبالقرب من طرق الحج الممتدة عبر أراضى المنطقة، وذلك فى موقعين أثريين مهمين: الأول موقع ضرية فى الجزء الغربى من المنطقة، وهو الأكثر ثراءً بالنقوش الإسلامية، أما الموقع الثانى الذى عثر فيه أيضًا على نقوش إسلامية فهو موقع النبهانية جبل الكويفر بالقرب من جنوب غرب بريدة، وتعود تواريخ النقوش الإسلامية المكتشفة حتى الآن فيما بين القرن الثانى والثالث الهجريين[٣٨٠].

وتتناول هذه النقوش موضوعات مختلفة، فمنها ما كتب لطلب المغفرة من الله عز وجل، أو لا ثبات الإيمان به والتوكل عليه، والثقة به، والشهادة بوحدانيته. ومنها ما هو للدعاء فى طلب الجنة، وبعضها يتضمن نصوصًا مقتبسة من آيات قرآنية، وتتميز نقوش المنطقة بأنها كتبت على نمط الخط الغائر على الواجهة الحجرية، وهى تخلو من الاعجام (النقط)، وتتباين فيما بينها فى أسلوب الخط، فبعضها كتب بإتقان ومهارة، وبعضها الآخر كتب على غير ذلك، وتتركز نقوش ضرية الإسلامية على واجهة جبل السناف، ومن أمثلة نقوشه النقش الذى يتكون من ثلاثة أسطر،ويقرأ على النحو التالى:

١ - اللهم أغفر ٢ - لحكيم بن إبراهيم ٣- ذنبه ونور عليه قبره

أما النقش الثانى فيشتمل على سطرين على النحو التالى:

١ - اللهم أغفر ٢ - لجحيس بن محمد

أما النقش الثالث فيتكون من سطرين على النحو التالى:

١ - الله إله محمد ٢ - بن على ووليه[٣٨١].

أما النقش الرابع فيتكون من سطرين على النحو التالى:

١ - الله ثقة محمد ٢ - بن أحمد ووليه

وكتب النقش الخامس من ثلاثة أسطر على النحو التالى:

١ - محمد بن أ السلم ٢ - يشهد أن لا إله إلا الله ٣- وحده

ويتكون النقش السادس من سطرين على النحو التالى:

١ - اللهم أغفر لحسن ٢ - بن أيوب

أما نص النقش السابع فهو ١ - حسن أحمد يتوكل ٢ - على الله

ونص النقش الثامن هو :

١ - بسم الله الرحمن الرحيم ٢ - اللهو اغفر لمحمد ٣- بن حسن ذنبه.

أما النقش التاسع فنصوصه:

١ - وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا ٢ - الحزن

إن ربنا لغفور شكور الذى ا

٣- حلنا دار المقامة من فضله لايمسنا ٤ ـ فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب.

أما النقش العاشر فهو من خمسة أسطر على النحو التالى:١ ـ اللهم إذا ٢ ـ جمعت الأولين والآ ٣ ـ خرين لميقات يوم معلوم ٤ ـ فاجعل يحيى بن ذبيب ٥ ـ من رفقاء محمد فى الجنة.

أما النقش الحادى عشر فقد جاء من ثلاثة أسطر على النحو التالى: ١ - اللهم إن

إبراهيم ٢- بن زياد بك واثق فلا ٣- تخذله، وجاء النص الثانى عشر من سطرين: ١- اللهم اغفر ليحيى ٢- بن ذبيب[٣٨٢].

أما فيما يتعلق بنقوش النبهانية فقد عثر على إحدى الواجهات الصخرية لجبل الكويفر بالقرب من النبهانية الواقعة على مسافة ١٠٧ كم جنوب غربى بريدة، على نقش يتكون من ثلاثة أسطر على النحو التالى: ١- اللهم أغفر لموسى ٢- بن حميد ذنبه كله ٣- وارحم من قال آمين[٣٨٣].

هوامش الفصل الأول

(١) ابن خلكان (أبى العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر) ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. يوسف على طويل، د. مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٨٨ م، مج ٥، ص٢٦٦.

(٢) ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى) ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، مج٢، ص٣٠٧.، أنظر أيضاً: عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية الإسلامية فى العراق، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٢م، ج١، ص ص ٥٦-٥٧.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٤، ص ص ٢٦-٢٩.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٤، ص ٣٩.

(٥) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، دار الجيل، بيروت، النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ج٢، ص ص ١٤-١٥.

(٦) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، ص٢٩٥.

(٧) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، ص٧٦.

(٨) الكوفة: بالضم: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسميها قوم خد العذراء، قال أبو بكر محمد بن القاسم: سميت الكوفة لاستدارتها.. وقيل: سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم: قد تكوف الرمل.. وقيل: سميت كوفة لأنها قطعة من البلاد، من قول العرب: قد أعطيت فلانًا كيفة أى قطعة.. قال أبو القاسم: قد ذهبت جماعة إلى أنها سميت كوفة بموضعها من الأرض وذلك أن كل رملة يخالطها حصباء تسمى كوفة، وقال آخرون: سميت كوفة لأن جبل ساتيدما يحيط بها كالكفاف عليها، وقال ابن الكلبى: سميت بجبل صغير فى وسطها كان

يقال له كوفان وعليه اختطت مهرة موضعها وكان هذا الجبل مرتفعًا عليها فسميت به، فهذا فى اشتقاقها كافٍ.. وأما تمصيرها وأوليته فكانت فى أيام عمر بن الخطاب، رضى الله عنه.. وقال ابن عباس: كانت منازل أهل الكوفة قبل أن تبنى أخصاصًا من قصب إذا غزوا قلعوها وتصدقوا بها فإذا عادوا بنوها فكانوا يغزون ونساؤهم معهم، فلما كان فى أيام المغيرة بن شعبة بنت القبائل باللبن من غير ارتفاع..".

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص ص ٤٩٠ ـ ٤٩١.

(٩) خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلى العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلى الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وهى كانت قصبتها.. وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحًا.. وذلك فى سنة ٣١ فى أيام عثمان، رضى الله عنه، بإمارة عبد الله بن عامر بن كريز، وقد اختلفت فى تسميتها بذلك...".

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ٣٥٠.

(١٠) تعتمد هذه النظرية على ما ذكر من زواج الحسين رضى الله عنه من شهر بانوه ابنة يزدجرد الثالث آخر ملوك آل ساسان انظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ص ١٧.

(١١) "البصرة: .. البصرة فى كلام العرب الأرض الغليظة، وقال قطرب: البصرة الأرض الغليظة التى فيها حجارة تقلع وتقطع حوافر الدواب.. وقال غيره: البصرة حجارة رخوة فيها بياض، وقال ابن الأعرابى: البصرة حجارة صلاب.. وذكر الشرقى بن القطامى أن المسلمين حين وافوا مكان البصرة.. نظروا إليها من بعيد وأبصروا الحصى عليها فقالوا: إن هذه أرض بصرة، يعنون حصبة، فسميت بذلك.. وقيل الأرض الطيبة الحمراء.. سميت البصرة لأن فيها حجارة سوداء صلبة.. وأما النسب إليها.. بصرى، بكسر الباء.. وأما فتحها وتمصيرها.. أن عمر بن الخطاب أراد أن يتخذ المسلمين مصرًا، وكان المسلمون قد غزوا من قبل البحرين توج ونوبندجان وطاسان، فلما فتحوها كتبوا إليه: إنا وجدنا بطاسان مكانًا لا بأس به. فكتب إليهم: إن بينى بينكم دجلة، لا حاجة فى شئ بينى وبينه دجلة أن تتخذوه مصرًا. ثم قدم عليه رجل من بنى سدوس يقال له ثابت، فقال: يا أمير المؤمنين إنى مررت بمكان دون دجلة فيه قصر وفيه مسالح للعجم يقال له

الخريبة ويسمى أيضًا البصيرة.. له خليج يجرى فيه الماء.. فأعجب ذلك عمر". ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ٤٣٠.

(١٢) جزيرة أقور: .. وهى التى بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر، سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات.. بها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة، ومن أمهات مدنها حران والرها والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمدوميا فارقين والموصل وغير ذلك". ياقوت الحموى: معجم مج٢، ص ١٣٤.

(١٣) اشتق هذا اللفظ من حروراء "وحروراء.. يجوز أن يكون مشتقاً من الريح الحرور، وهى الحارة.. قيل: هى قرية بظاهر الكوفة.. نزل به الخوارج الذين خالفوا على بن أبى طالب، رضى الله عنه، فنسبوا إليها".

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ٢٤٥، حسن إبراهيم حسن: تاريخ، ج٢، ص١٦ هامش١.

(١٤) ذكر حسن إبراهيم حسن العلج حمار الوحش. أنظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ، ج٢، ص١٦ هامش ٢.

(١٥) المقدسى (أبو عبد الله محمد بن أحمد البشارى) ت حوالى ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

(١٦) قال ابن الأثير فى أحداث سنة ١٢٤هـ عند ذكره ابتداء أمر أبى مسلم الخراسانى" "قد اختلف الناس فى أبى مسلم، فقيل: حرًا، واسمه إبراهيم بن عثمان بن بشار بن سدوس بن جود زده، من ولد بزرجمهر، ويكنى [أبا] إسحاق، ولد بأصبهان، ونشأ بالكوفة، وكان أبوه أوصى إلى عيسى بن موسى السراج، فحمله إلى الكوفة وهو ابن سبع سنين، فلما اتصل بإبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس الإمام قال له: غير اسمك.. فسمى نفسه عبد الرحمن بن مسلم، ويكنى أبا مسلم.. وزوجه إبراهيم الإمام ابنة عمران بن إسماعيل الطائى المعروف بأبى النجم، وهى بخراسان مع أبيها.. وقيل: أنه من أهل ضياع بنى معقل العجلية بأصبهان أو غيرها من الجبل، وكان اسمه إبراهيم، ويلقب حيكان، وإنما سماه عبد الرحمن، وكناه أبا مسلم إبراهيم الإمام، وكان مع أبى موسى السراج صاحبه يخرز الأعنة

ويعمل السروج، وله [معرفة] بصنعة الأدم والسروج، فكان يحملها إلى أصبهان والجبال والجزيرة والموصل ونصيبين وآمد وغيرها يتجر فيها.. وقيل: أن أبا مسلم كان عبدا.. وقيل: أنه كان لبعض أهل هراة أو بوشنج. ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد أبى عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى) ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م: الكامل فى التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب المصرى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج٤، ص ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩.

(١٧) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٥، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، ص ص ١٦-١٧.

(١٨) مرو: مرو الشاهجان: هذه مرو العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها، نص عليه الحاكم أبو عبد الله فى تاريخ نيسابور مع كونه ألف كتابه فى فضائل نيسابور إلا أنه لم يقدر على دفع فضل هذه المدينة، والنسبة إليها مروزى على غير قياس.. أما لفظ مرو فقد ذكرنا أنه بالعربية الحجارة البيض التى يقتدح بها إلا أن هذا عربى ومرو مازالت عجمية ثم لم أر بها من هذه الحجارة شيئًا البتة، وأما الشاهجان فهى فارسية معناها نفس السلطان لأن الجان هى النفس أو الروح والشاه هو السلطان، سميت بذلك لجلالتها عندهم".

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ص ١١٢ – ١١٣.

(١٩) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٣، ص١٢٠، حسن إبراهيم حسن: تاريخ، ج٢، ص ص ١٨-٢٠.

(٢٠) الطبرى (أبى جعفر محمد بن جرير) ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م: تاريخ الطبرى (تاريخ الأمم والملوك)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، مج٤، ص ص ٣٤٣ ـ ٣٤٧.، حسن إبراهيم: تاريخ، ج٢، ص ص ٢٠-٢١.

(٢١) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ١١٦.، أنظر أيضًا: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، ص ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

(٢٢) أورد حسن إبراهيم حسن أن السفاح قيل معناه الرجل الكثير العطايا، وقد أطلق هذا الاسم على بعض شيوخ القبائل فى الجاهلية، ويرجح ما ذهب إليه نيكلسون من أنه سمى بهذا الاسم لقوله فى أول خطاب له "فأنا السفاح المبيح"، وأن هذا

الاسم أو اللقب إنما أطلق وشاع عن أبى العباس بعد هذه الخطبة، لما قام به من سفك دماء بالنسبة للأمويين وغيرهم من الخارجين على الدولة، ولا يبعد أن يكون قصده من عبارة "السفاح" انه يتوعد أهل الكوفة لما أظهروه فى ماضى أيامهم من تغير فى الأهواء والميول، وأن يتوعد غيرهم من أعدائه، ولاسيما الأمويين.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ، ج٢، ص٢٤ هامش١.

(٢٣) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٣٤٨.

(٢٤) حمام أعين: ذكره ياقوت الحموى بقوله "حمام أعين: بتشديد الميم: بالكوفة، ذكره فى الأخبار مشهور، منسوب إلى أعين مولى سعد بن أبى وقاص".

ياقوت الحموى: معجم، مج٢، ص٢٩٩.

(٢٥) أبو سلمة الخلال: ذكره ابن خلكان فقال "أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمدانى، مولى السبيع وزير أبى العباس السفاح أول خلفاء بنى العباس، وأبو سلمة أول من وقع علية اسم الوزير، وشهر بالوزارة فى دولة بنى العباس ولم يكن من قبله يعرف بهذا النعت.. وأنفق أموالاً كثيرة فى إقامة دولة بنى العباس، وصار إلى خراسان فى هذا المعنى ، وأبو مسلم الخراسانى يومئذ تابع له فى هذا الأمر، وكان يدعو إلى بيعة إبراهيم الإمام أخى السفاح، فلما قتله مروان بن محمد.. بحران وانقلبت الدعوة إلى السفاح، توهموا من أبى سلمة.. أنه مال إلى العلويين ، فلما ولى السفاح واستوزره بقى فى نفسه شئ". ابن خلكان: وفيات، مج٢، ص١٦٧.

(٢٦) واسط: فى عدة مواضع: نبدأ أولاً بواسط الحجاج لأنه أعظمها وأشهرها.. فأما تسميتها فلأنها متوسطة بين البصرة والكوفة.. لا قول فيه غير ذلك إلا ما ذهب إليه بعض أهل اللغة حكاية عن الكلبى أنه كان قبل عمارة واسط هناك موضع يسمى واسط قصب، فلما عمر الحجاج مدينته سماها باسمها... ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص٣٤٧.

(٢٧) المدائن: .. بالفتح جمع المدينة.. فهى مثل قرينة وقرائن وسفينة وسفائن، والنسبة إليها مدائنى.. أن الإسكندر لما سار فى الأرض ودانت له الأمم وبنى المدن العظام فى المشرق والمغرب رجع إلى المدائن وبنى فيها مدينة وسورها وهى إلى هذا الوقت موجودة الأثر.. قال يزدجرد: أما أنوشروان بن قباذ وكان أجل ملوك فارس.. فإنه بنى المدائن وأقام بها هو ومن كان بعده من ملوك بنى ساسان إلى أيام عمر بن

الخطاب، رضى الله عنه، وقد ذكر فى سير الفرس أن أول من اختط مدينة فى هذا الموضع أردشير بن بابك.. والذى عندى فيه أن هذا الموضع كان مسكن الملوك من الأكاسرة الساسانية وغيرهم فكان كل واحد منهم إذا ملك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التى قبلها وسماها باسم.

ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ص ٧٤-٧٥.

(٢٨) الأهواز: آخره زاى، وهى جمع هوز، وأصله حوز، فلما كثر استعمال الفرس لهذه اللفظة غيرتها حتى أذهبت أصلها جملة لأنه ليس فى كلام الفرس حاء مهملة.. وعلى هذا يكون الأهواز اسمًا عربيًا سمى به فى الإسلام، وكان اسمها فى أيام الفرس خوزستان، وفى خوزستان مواضع يقال لكل واحد منها خوزكذا... فالأهواز اسم للكورة بأسرها، وأما البلد الذى يغلب عليه هذا الاسم عند العامة اليوم فإنما هو سوق الأهواز.. الأهواز تسمى بالفارسية هرمشير.. وقال صاحب كتاب العين: الأهواز سبع كور بين البصرة وفارس.. وبها آثار كسروية.

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

(٢٩) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠، أحمد مختار العبادى: فى التاريخ العباسى والفاطمى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص ص ٤١-٤٢.

(٣٠) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص ٣٥٤، ٣٦٣-٣٦٥.

(٣١) البلاذرى (الإمام أبو الحسن أحمد بن يحيي بن جابر) ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م: فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٢٨١.

(٣٢) طاهر مظفر العميد: بغداد مدينة المنصور المدورة (رسالة مقدمة إلى جامعة بغداد للحصول على درجة الماجستير)، منشورات المكتبة الأهلية، بغداد، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م، ص ص ١٠٨-١٠٩.

(٣٣) البلاذرى: فتوح، ص ٢٨١.

(٣٤) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٣٦٥.

(٣٥) ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ٣٨٩.

(٣٦) طاهر العميد: بغداد، ص ١١٠.

(٣٧) البلاذرى: فتوح، ص ٢٨١.

(٣٨) ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص٢٥٧.

القت جنس نباتات عشبية، فيه أنواع تزرع وأخرى تنبت برية فى المروج والحقول.

إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة، استانبول، ١٩٨٩م، ج٢، ص ٧١٤.

(٣٩) ابن خلكان: وفيات، مج٢، ص١٣١.

(٤٠) ابن خلكان: وفيات، مج٢، ص ٢٤٢.

(٤١) ابن الأثير: الكامل، ج٠، ص١٨.

(٤٢) ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٥٠٩.

(٤٣) ابن خلكان: وفيات، مج٣، ص ص ١٢٦-١٢٧.

(٤٤) أورد ابن دقماق هنا ما يطابق نص ياقوت الحموى. أنظر: ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن يدمر العلائى): الانتصار لواسطة عقد الأمصار فى تاريخ مصر وجغرافيتها، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ق٢، ص٢.

(٤٥) الكندى المصرى (أبى عمر محمد بن يوسف) ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م: تاريخ ولاة مصر ويليه كتاب تسمية قضاتها، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ص٨١ ـ ٨٣.

(٤٦) أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها، المدخل، دار المعارف بمصر، ص ٧٠ ـ ٧١.

(٤٧) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص٨٣.

(٤٨) المقريزى (تقى الدين أبى العباس أحمد بن على) ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م، ج١، ص٣٠٤.

(٤٩) فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الإسلامية (عصر الولاة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م، المجلد الأول، ص ٣٤٨.

(٥٠) ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى): الانتصار لواسطة عقد الأمصار، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى دار الآفاق الجديدة، بيروت، ق١، ص ٣٤.

(٥١) المقريزى: الخطط، ج١، ص٣٠٤.

(٥٢) المقريزى: الخطط، ج٢، ص ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٥٣) المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٢٦٤.، إبراهيم العدوى: مصر الإسلامية، وزارة الثقافة، هيئة الآثار، ص ٩٩.

(٥٤) سمرقند: بفتح أوله وثانيه، ويقال لها بالعربية سمران: بلد معروف مشهور قيل: إنه من أبنية ذى القرنين بما وراء النهر، وهو قصبة الصغد مبنية على جنوبى وادى الصغد مرتفعة عليه.. وقال الأزهرى: بناها شمر أبو كرب فسميت شمركنت فأعربت فقيل سمرقند، هكذا تلفظ به العرب فى كلامها وأشعارها.

ياقوت الحموى: معجم، مج٢، ص ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٥٥) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٣٦٩. أنظر أيضاً: ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٤٣.

(٥٦) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٤٦٠.

(٥٧) الصغد: بالضم ثم السكون، وآخره دال مهملة، وقد يقال بالسين مكان الصاد: وهى كورة عجيبة قصبتها سمرقند، وقيل: هما صغدان صغد سمرقند وصغد بخارى، وقيل: جنان الدنيا أربع: غوطة دمشق وصغد سمرقند ونهر الأبلة وشعب بوان، وهى قرى متصلة خلال الأشجار والبساتين من سمرقند إلى قريب من بخارى لا تبين القرية حتى تأتيها لالتحاف الأشجار بها، وهى من أطيب أرض الله، كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار متجاوبة الأطيار.. وقال: منبرها الأجل سمرقند ثم كش ثم نسف ثم كشانية، وقال غيره: قصبة الصغد اشتيخن، وفضلها على سمرقند، وبعضهم يجعل بخارى أيضاً من الصغد، وقال: إن النهر من أصله إلى بخارى يسمى الصغد، ولا يصح هذا، والصغد فى الأصل اسم للوادى والنهر الذى تشرب منه هذه النواحى".

ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص٤٠٩.

(٥٨) بخارى: بالضم: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها يعبر إليها من آمل الشط.. وكانت قاعدة ملك السامانية.. وأما اشتقاقها وسبب تسميتها بهذا الاسم فإنى تطلبته فلم أظفر به، ولاشك أنها مدينة قديمة نزهة كثيرة البساتين واسعة الفواكه.. وليس بما وراء النهر وخراسان بلدة أهلها أحسن قيامًا بالعمارة على ضياعهم من أهل بخارى ولا أكثر عددًا على قدرها فى المساحة، وذلك مخصوص بهذه البلدة لأن متنزهات الدنيا صغد سمرقند ونهر الأبلة".

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٣٥٣.

(٥٩) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٣٦٩.

(٦٠) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٣٧٠.، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٤٤.
ذكر ياقوت "الأملال: آخره لام.. قال: أراد ملل وهو منزل على طريق المدينة من مكة وقد ذكر فى موضعه" ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص٢٥٥، مج٥، ص ص ١٩٤-١٩٥.

(٦١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ص ٣٧٤-٣٧٥.

(٦٢) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٤٩.

(٦٣) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ص ٢٣-٢٨.

(٦٤) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، ص ص ٢٨-٢٩.

(٦٥) البلاذرى: فتوح، ص ٢٨١.

(٦٦) ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ٣٨٩.

(٦٧) برقة: بفتح أوله والقاف: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية، واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن.. وأرض برقة أرض خلوقية بحيث ثياب أهلها أبدًا محمرة لذلك، ويحيط بها البرابر من كل جانب.. وفى برقة فواكه كثيرة وخيرات واسعة مثل جوز ولوز وأترج وسفرجل، وفى مدينة برقة قبر رويقع صاحب النبى، صلى الله عليه وسلم، وأهلها يشربون من ماء السماء يجرى فى أودية ويفيض إلى برك بناها لهم الملوك، ولها آبار يرتفق بها الناس، ولها ساحل يقال له أجية، وهى مدينة بها سوق ومنبر وعدة محارس..".
ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ص ٣٨٨-٣٨٩.

(٦٨) الكندى: تاريخ، ص٨٥.

(٦٩) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٣٩٢.

(٧٠) ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ص١٩٢ -١٩٣.

(٧١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٣٩٢.

(٧٢) أورد ابن جبير عند ذكره المسجد الحرام والبيت العتيق "وللصوامع أيضاً أشكال بديعة، وذلك أنها ارتفعت بمقدار النصف، مركنة من الأربعة جوانب بحجارة رائعة النقش عجيبة الوضع، قد أحاط بها شباك من الخشب الغريب الصنعة، وارتفع عن الشباك عمود فى الهواء كأنه مخروط مختم كله بالآجر تختيماً يتداخل

بعضه على بعض بصنعة تستميل الأبصار حسنًا. وفى أعلى ذلك العمود الفحل وقد استدار به أيضًا شباك آخر من الخشب على تلك الصنعة بعينها. وهى متميزة الأشكال كلها لا يشبه بعضها بعضًا. لكنها على هذا المثال المذكور، من كون نصفها الأول مركنًا ونصفها الأعلى عمودًا لا ركن له".

ابن جبير: رحلة ابن جبير (رسالة اعتبار الناسك فى ذكر الآثار الكريمة والمناسك)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، ص ٦٩.

(٧٣) أحمد رجب محمد على: المسجد الحرام بمكة المكرمة ورسومه فى الفن الإسلامى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ص ٤٩ -٥٠.

(٧٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٣٩٧.

(٧٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص٨٤.

(٧٦) أنطاكية: بالفتح ثم السكون، والياء مخففة.. وكانت العرب إذا أعجبها شئ نسبته إلى أنطاكية، قال الهيثم بن عدى: أول من بنى أنطاكية انطيخس وهو الملك الثالث بعد الاسكندر، وذكر يحيي.. أن أول من بنى أنطاكية أنطيغونيا.. ولم يتمها فأتمها بعده سلوقوس.. وقال فى موضع آخر من كتابه: بنى الملك انطيغونيا على نهر أورنطس مدينة وسماها أنطيوخيا وهى التى كمل سلوقوس بناءها وزخرفها وسماها على اسم ولده انطيوخوس وهى أنطاكية.. وقيل: إن أول من بناها وسكنها انطاكية بنت الروم.. ولم تزل انطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهى من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير.. وأنطاكية: بلد عظيم ذو سور وفصيل، وسوره ثلاثمائة وستون برجاً..".

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٧٧) طرسوس: بفتح أوله وثانيه، وسينين مهملتين بينهما واو ساكنة، بوزن قربوس، كلمة عجمية رومية.. وهى فى الإقليم الرابع، وقالوا: سميت بطرسوس بن الروم.. وقيل: إن مدينة طرسوس أحدثها سليمان كان خادمًا للرشيد فى سنة نيف وتسعين ومائة، قاله أحمد بن محمد الهمذانى، وهى مدينة بثغور الشام بين أنطاكية

وحنب وبلاد الروم.. وعلى طرسوس سوران وخندق واسع ولها ستة أبواب ويشقها نهر البردان وبها قبر المأمون عبد الله بن الرشيد جاءها غازيًا فأدركته منيته فمات.. ومازالت موطنًا للصالحين والزهاد يقصدونها لأنها من ثغور المسلمين ثم لم تزل مع المسلمين فى أحسن حال وخرج منها جماعة من أهل الفضل".

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص٢٨.

(٧٨) ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٧٩) الكندى: تاريخ، ص ص ٩١-٩٤.

(٨٠) البلاذرى: فتوح، ص ٢٨١.

(٨١) ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص٣٨٩.

(٨٢) الراوندية: أورد الطبرى فى أحداث سنة ١٤١هـ ما نصه "فمن ذلك خروج الراوندية، وقد قال بعضهم: كان أمر الراوندية وأمر أبى جعفر الذى أنا ذاكره، فى سنة سبع وثلاثين ومائة أو ست وثلاثين ومائة.. والراوندية قوم ـ فيما ذكر عن على بن محمد ـ كانوا من أهل خراسان على رأى أبى مسلم صاحب دعوة بنى هاشم، يقولون ـ فيما زعم ـ بتناسخ الأرواح، ويزعمون أن روح آدم فى عثمان بن نهيك، وأن ربهم الذى يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور، وأن الهيثم بن معاوية جبرائيل..".

الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٣٩٥.، أنظر أيضاً: ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٨٦.

(٨٣) البلاذرى: فتوح، ص ٢٨٩.

(٨٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٤٥٧.، أنظر أيضًا: ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص١٣٢.

أنظر عن تأسيس بغداد:

Creswell: Ashort Account, pp. 229-230.

(٨٥) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٤٥٧.، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص١٣٢.، عيسى سلمان حميد: تخطيط المدن، (حضارة العراق)، بغداد، ١٩٨٥م، ج٩، ص٢٩.

(٨٦) جرجرايا: بفتح الجيم، وسكون الراء الأولى: بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقى، كانت مدينة وخربت مع ما خرب من النهروانات، وقد خرج منها جماعة من العلماء والشعراء والكتاب والوزراء، ولها ذكر فى الشعر كثير..".

ياقوت الحموى: معجم، مج٢، ص١٢٣.

(٨٧) الموصل: بالفتح، وكسر الصاد: المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير كبرًا وعظمًا وكثرة وسعة رقعة فهى محط رحال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان فهى باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى اذربيجان، وكثيراً ما سمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة: نيسابور لأنها باب الشرق، ودمشق لأنها باب الغرب، والموصل لأن القاصد إلى الجهتين قل ما لا يمر بها، قالوا: وسميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل وصلت بين دجلة والفرات، وقيل لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة، وقيل بل الملك الذى أحدثها كان يسمى الموصل، وهى مدينة قديمة الأس على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقى نينوى.. كان أول من عظمها وألحقها بالأمصار العظام وجعل لها ديوانًا برأسه ونصب عليها جسراً ونصب طرقاتها وبنى عليها سورًا مروان بن محمد بن مروان..".

ياقوت الحموى: معجم، مج ٥، ص ٢٢٣.

(٨٨) أرمينية: بكسر أوله ويفتح.. اسم لصقع عظيم واسع فى جهة الشمال، والنسبة إليها أرمنى.. قال أهل السير: سميت أرمينية بأرمنيا بن لنطا.. وقيل: هما أرمينيتان الكبرى والصغرى.. وقيل: ارمينية الكبرى خلاط ونواحيها وإرمينية الصغرى تفليس ونواحيها، وقيل: هى ثلاث أرمينيات، وقيل: أربع.. وبها قبر صفوان بن المعطل صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم..".

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ص ١٥٩-١٦٠.

(٨٩) الرقة: بفتح أوله وثانيه وتشديده، وأصله كل أرض إلى جنب واد ينبسط عليها الماء، وجمعها رقاق، وقال غيره: الرقاق الأرض اللينة التراب.. وهى مدينة مشهورة على الفرات.. معدودة فى بلاد الجزيرة".

ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص ص ٥٨-٥٩.

(٩٠) الصراة: بالفتح.. وهما نهران ببغداد: الصراة الكبرى والصراة الصغرى، ولا أعرف انا إلا واحدة وهو نهر يأخذ من نهر عيسى من عند بلدة.. المحول بينها وبين بغداد فرسخ ويسقى ضياع بادوريا ويتفرع منه أنهار إلى أن يصل إلى بغداد فيمر بقنطرة العباس..".

ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص ٣٩٩.

(٩١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٤٥٧.، أنظر أيضاً: طاهر العميد: بغداد، ص ص ١١٨ -١٣٤.، بشير فرنسيس: بغداد تاريخها وآثارها، مطبعة الرابطة، بغداد، ط١، ١٩٥٩م، ص ص ٥-٦.، صالح أحمد العلى: بغداد مدينة السلام، مطبعة المجمع العلمى العراقى، ١٩٨٥م، مج١، ص٢٦.

(٩٢) "الساباط: سقيفة بين حائطين تحتها ممر نافذ": إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ص٤١٣.

Ministry of information: Baghdad, Republic of Iraq, Baghdad, 1972, pp. 3 - 4.

(٩٣) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٤٥٧.، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص١٣٢.، ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ص ٤٥٨-٤٥٩.

(٩٤) بارما: بكسر الراء، وتشديد الميم: جبل بين تكريت والموصل، وهو الذى يعرف بجبل حمرين، يزعمون أنه محيط بالدنيا، قال أبو زيد: وجبل بارما تشقه دجلة عند السن، والسن فى شرقى دجلة، فتجرى بحافتيه وفى الماء منه عيون للقار والنفط. وجبل بارما يمتد على وسط الجزيرة مما يلى المغرب والمشرق حتى يتصل بكرمان، وهو جبل ما سندان. وبارما أيضاً: قرية فى شرقى دجلة الموصل وإليها نسب السن فيقال: سن بارما".

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٣٢٠.

(٩٥) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ص ٤٥٧-٤٥٨.، ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ص ٤٥٧-٤٥٨.

(٩٦) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٤٥٨.

(٩٧) رحا البطريق: ببغداد على الصراة، حدث أبو زكرياء، ولا أعرفه، قال: دخلت على أبى العباس الفضل بن الربيع يومًا فوجدت يعقوب بن المهدى عن يمينه ومنصور بن المهدى عن يساره.. فسلمت فأومأ بيده إلى بالإنصراف.. فخرجت فردنى أبو حيلة فدخلت فإذا عيسى بن موسى كاتبه قاعد فجلسنا حتى حضر الغداء.. فلما أكلنا جاؤوا بأطباق الفاكهة.. فأخذ الفضل منه رطبة فناولها ليعقوب بن المهدى وقال له: إن هذا من بستان أبى الذى وهبه له المنصور، فقال له يعقوب: رحم الله

أباك فإنى ذكرته أمس وقد اجتزت على الصراة برحا البطريق فإذا أحسن موضع فإذا الدور من تحتها والسوق من فوقها وماء غزير حاد الجرية..".

ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص ٣١.

(٩٨) المخرم: هو اسم رجل: وهو كثير التخريم، وهو نفاذ الشيء إلى شيء آخر، بضم أوله.. وهى محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى وفيها كانت الدار التى يسكنها السلاطين البويهية والسلجوقية خلف الجامع المعروف بجامع السلطان، خربها الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبو العباس أحمد.. فى سنة ٥٨٧، وكانت هذه المحلة بين الزاهر والرصافة".

ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص٧١.

(٩٩) العتيقة: بفتح أوله.. لفظ ضد الجديد، محلة ببغداد فى الجانب الغربى ما بين طاق الحرانى إلى باب الشعير وما اتصل به من شاطئ دجلة، وسميت العتيقة لأنها كانت قبل عمارة بغداد قرية يقال لها سونايا.. وكانت منازل هذه القرية فى مكان هذه المحلة وما حولها كان مزارع وبساتين.

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص ٨٣-٨٤.

(١٠٠) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٤٥٨، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص١٣٣.

قال الطبرى "فأحضره وشاوره، وساءله ـ فهو الدهقان الذى قريته قائمة إلى اليوم فى المربعة المعروفة بأبى العباس الفضل بن سليمان الطوسى، وقباب القرية قائم بناؤها إلى اليوم، وداره ثابتة على حالها ـ فقال: يا أمير المؤمنين، سألتنى عن هذه الأمكنة وطيبها وما يختار منها، فالذى أرى يا أمير المؤمنين أن تنزل أربعة طساسيج فى الجانب الغربى طسوجين وهما قطر بل وبادوريا، وفى الجانب الشرقى طسوجين وهما نهر بوق وكلوازى، فأنت تكون بين نخل وقرب الماء، فإن أجدب طسوج وتأخرت عمارته كان فى الطسوج الآخر العمارات، وأنت يا أمير المؤمنين على الصراة، تجيئك الميرة فى السفن من المغرب فى الفرات، وتجيئك طرائف مصر والشأم وما اتصل بها فى تأمرا حتى تصل إلى الذاب، وتجيئك الميرة من الروم وآمد والجزيرة والموصل فى دجلة، وأنت بين أنهار لا يصل اليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة، فإذا قطعت الجسر وأخربت القناطر لم يصل اليك عدوك، وأنت بين دجلة والفرات لا يجيئك أحد من المشرق والمغرب إلا احتاج إلى العبور، وأنت متوسط

للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله، وأنت قريب من البر والبحر والجبل".

الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٤٥٨.، أنظر أيضًا: ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٤٥٨.

ونهر بوق ذكره ياقوت "طسوج من سواد بغداد قرب كلوازى" أنظر: ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ٣١٨، أما كلوا ذى فهو "طسوج قرب مدينة السلام بغداد وناحية الجانب الشرقى من بغداد من جانبها وناحية الجانب الغربى من نهر بوق"

ياقوت الحموى: معجم، مج ٥، ص ٤٧٧، أما قطر بل فهو "بالضم.. اسم قرية بين بغداد وعكبرا.. وقيل: هو اسم الطسوج من طساسيج بغداد أى كورة، فما كان من شرقى السراة فهو بادوريا وما كان من غربيها فهو قطر بل"

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ٣٧١، أما بادوريا فهو "طسوج من كورة الاستان بالجانب الغربى من بغداد"، أنظر ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٣١٧.

(١٠١) طاهر العميد: بغداد، ص ص ١٣٥-١٤٣.، خالص الأشعب: مدينة بغداد، دار الجاحظ، بغداد، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م، ص ص ٥-٢٦.

(١٠٢) البلاذرى: فتوح، ص ٢٨٩. Creswell: Ashort Account, pp. 230-231

(١٠٣) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٤٥٧.

(١٠٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٤٥٩.

(١٠٥) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ٤٥٩.

(١٠٦) ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٤٥٨.

(١٠٧) ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص٤٥٧.

(١٠٨) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ص ٤٥٩-٤٦٠.

(١٠٩) طاهر العميد: بغداد، ص ص ١٨٣-١٨٥.

(١١٠) البلاذرى: فتوح، ص ٢٨٩.

(١١١) اليعقوبى: أحمد بن أبى يعقوب بن واضح الكاتب، (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م): كتاب البلدان، السلسلة الجغرافية (٦)، دار احياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ص ٧-٩.

(١١٢) طاهر العميد: بغداد، ص١٤٩.، مكسمليان شتريك: خطط بغداد وأنهار العراق القديمة، دراسة خططية تاريخية، ترجمة خالد إسماعيل على، المجمع العلمى العراقى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٨٤.

(١١٣) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ١١٩.

(١١٤) زوراء: تأنيث الأزور، وهو المائل، والأزورار عن الشئ: العدول عنه والانحراف، ومنه سميت القدس الزوراء لميلها، وبه سميت دجلة بغداد الزوراء.. قال الأزهرى: ومدينة الزوراء ببغداد فى الجانب الشرقى، سميت الزوراء لا زورار فى قبلتها، وقال غيره: الزوراء مدينة أبى جعفر المنصور، وهى فى الجانب الغربى، وهو أصح مما ذهب إليه الأزهرى بإجماع أهل السير، قالوا: إنما سميت الزوراء لأنه لما عمرها جعل الأبواب الداخلة مزورة عن الأبواب الخارجة أى ليست على سمتها..".

ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص ص ١٥٥ – ١٥٦.

(١١٥) قال ياقوت "مدينة بغداد طولها خمس وسبعون درجة وعرضها اربع وثلاثون درجة داخلة فى الإقليم الرابع، وقال أبو عون وغيره: إنها فى الإقليم الثالث.. قلت أنا: ولاشك أن بغداد أحدثت بعد بطليموس بأكثر من ألف سنة.. وقال صاحب الزيج طول بغداد سبعون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلث، وتعديل نهارها ست عشرة درجة وثلثا درجة، وأطول نهارها أربع عشرة ساعة وخمس دقائق، وغاية ارتفاع الشمس بها ثمانون درجة وثلث، وظل الظهر بها درجتان، وظل العصر أربع عشرة درجة، وسمت القبلة ثلاثة عشرة درجة ونصف، وجهها عن مكة مائة وسبع عشرة درجة، فى الوجود ثلاثمائة درجة".

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ص ٤٥٦-٤٥٧.

(١١٦) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ المكتبة السلفية، المدينة المنورة، جـ١، ص ص ٦١ – ٦٢.، ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ص ١٣٢ – ١٣٣.

(١١٧) طاهر العميد: بغداد ص ص ١٦٠ – ١٦٢. أحمد مختار العبادى، فى التارخ العباسى، ص٥٥.

(١١٨) اليعقوبى: البلدان، ص١١.، أورد الخطيب البغدادى عن مساحة بغداد "أخبرنا أبو عمر الحسن بن عثمان.. قال أنبأنا جعفر بن محمد بن أحمد .. قال حدثنى أبو الفضل العباسى.. قال سمعت أحمد.. يقول: مدينة أبى جعفر ثلاثون ومائة جريب، خنادقها وسورها ثلاثون جريباً، وانفق عليها ثمانية عشر ألف ألف، وبنيت فى سنة خمس وأربعين ومائة. وقال أبو الفضل حدثنى أبو الطيب.. قال قال لى خالى، وكان قيم بدر – قال لنا بدر غلام المعتضد: قال أمير المؤمنين أنظروا كم هى مدينة أبى جعفر؟ فنظرنا وحسبنا فإذا هى ميلين مكسر فى ميلين .". الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ١، ص٦٩.

(١١٩) شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية فى مختلف العصور، دار الرشيد للنشر الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م، ص٢٧٥.

(١٢٠) اختلف الرواة حول مساحة بغداد، حيث أن هناك ست روايات أوردها الخطيب البغدادى مزيد من التفاصيل أنظر: طاهر العميد: بغداد، ص ص ١٦٣ – ١٦٥.، أورد شريف يوسف إن اسحق الأزدى ذكر أنه من كل باب إلى الباب الآخر ميل فإذا اعتبرنا الميل مساويًا أربعة آلاف ذراع سوداء. وكان طول محيط المدينة ١٦٠٠٠ ذراعًا، أى حوالى ٧٨٩٣م، وطول قطر المدينة ٥٠٩٣ ذراعًا، أى ٢٥١٢ م، فالمساحة الكلية للمدينة ٢٠٣٦٨٠٠٠ ذراعًا مربعًا وهذا يساوى ٤٩٥٦٧٥٦ م، وهى تساوى ٩٥و٤ كيلو مترًا مربعًا، وقد اعتمد على هذه المقاييس هرتزفلد وكريزويل واتخذاها أساسًا لتخطيط المدينة، وكانت الأبعاد التى ذكرها كل من الخطيب البغدادى وابن الجوزى وياقوت الحموى كما يلى: قطر المدينة ٥٢٨٣ ذراعًا، أى ٢٦١٥م، وطول المحيط ١٦٥٩٧ ذراعًا، أى ٨١٣٢م، المساحة ٢١٩١٦ ٢٣٨ ذراعًا، أى ٥٣١٤٢٦٢ مترًا مربعًا، ومن هنا نلاحظ وجود فروق كبيرة فى قياس الأبعاد ولا يمكن الوصول إلى الحقيقة إلا من خلال الحفائر على الرغم من زوال معالم السور: شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٢٧٥.

(١٢١) اليعقوبى: البلدان، ص١١.

(١٢٢) اليعقوبى: البلدان، ص ص ١٤– ١٥.

(١٢٣) اليعقوبى: البلدان، ص١١.، طاهر العميد: بغداد، ص ص ١٦٦ – ١٧١.

(١٢٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٤٥٩.

(١٢٥) ياقوت الحموى: معجم، مج١ ، ص٤٥٨.

(١٢٦) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ص ٥٤٢ – ٥٤٣.

أنظر عن وصف مدينة بغداد:

Creswell: Ashort Account, pp. 230-235.

(١٢٧) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، ص٧٣.

(١٢٨) الأزج: بناء مستطيل مقوس السقف. أنظر: إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، جـ١، ص١٥.

(١٢٩) الخطيب البغدادى، تاريخ بغداد، ص ص ٧٤ – ٧٥.

(١٣٠) اليعقوبى: البلدان، ص ص ١١ – ١٢.

(١٣١) اليعقوبى: البلدان، ص ص ١٢ – ١٣.

(١٣٢) الخطيب البغدادى: تاريخ، ص٧٣.

(١٣٣) الخطيب البغدادى: تاريخ، ص٧٣.

(١٣٤) الخطيب البغدادى: تاريخ، ص٧٣.

(١٣٥) عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية الإسلامية فى العراق، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٢م، جـ١، ص ص ٢٨ – ٣٨، Creswell: Ashort Account,pp.337-338.

(١٣٦) اليعقوبى: البلدان، ص١٣.

(١٣٧) اليعقوبى: البلدان، ص١٣.

(١٣٨) اليعقوبى: البلدان، ص ص ١٣ – ١٤.

(١٣٩) اليعقوبى: البلدان، ص١٣.

(١٤٠) الخطيب البغدادى: تاريخ، ص٧٣.

(١٤١) طاهر العميد: القصور (حضارة العراق)، جـ٩، ص ص ١٥٠ – ١٥١.

(١٤٢) عيسى سلمان حميد: تخطيط المدن (حضارة العراق)، جـ٩، ص ص ٣٠ – ٣١.

(١٤٣) طاهر العميد: القصور (حضارة العراق)، جـ٩، ص ص ١٥٠ – ١٥١.

(١٤٤) طاهر العميد: القصور (حضارة العراق)، جـ٩، ص ص ١٥١ – ١٥٢.

(١٤٥) اليعقوبى: البلدان، ص١٣.

(١٤٦)عيسى سلمان حميد: تخطيط المدن (حضارة العراق)، جـ٩، ص ٣٢.

(١٤٧)أحمد فكرى: مساجد القاهرة، المدخل، ص ص ٢٣١ - ٢٣٤.

(١٤٨) طاهر العميد: بغداد، ص٢٧٦.، أنظر عن المنارة: شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٢٨١.

(١٤٩) طاهر العميد: بغداد، ص ص ٢٧٩ - ٢٨٠، Creswell: Ashort Account,pp.240 - 241.

(١٥٠) شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص ٢٨١ - ٢٨٢.

(١٥١) أحمد فكرى: مساجد، المدخل، ص٣٤، هامش١.

(١٥٢) عيسى سلمان: تخطيط المدن (حضارة العراق)، جـ٩، ص٣٢.

(١٥٣) طاهر العميد: بغداد، ص٢٨١.

(١٥٤) طاهر العميد: بغداد، ص ص ٢٨١ - ٢٩٩.

(١٥٥) طاهر العميد: بغداد، ص ص ٢٩٩ - ٣٠١، ٣٠٢ - ٣٠٧.، شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص ص ٢٨٢ - ٢٨٤.

(١٥٦) عيسى سلمان حميد: تخطيط المدن (حضارة العراق)، جـ٩، ص ص ٣٦ - ٣٧.

(١٥٧) ياقوت الحموى: معجم، مج ٤، ص ص ٤٠٥-٤٠٦.

(١٥٨) ياقوت الحموى: معجم، مج ٣، ص ٣٩٩.

(١٥٩) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٣٥.

(١٦٠) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٤٨٣.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٤٩.

(١٦١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٤٩٤.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٦٠.

(١٦٢) البلاذرى: فتوح، ص٢٨٩.

الرى: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، فإن كان عربيًا فأصله من رويت على الراوية أروى.. وهى مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات وهى محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال.. قال العمرانى: الرى بلد بناه فيروز بن يزدجرد وسماه رام فيروز، ثم ذكر الرى المشهورة بعدها وجعلها بلدتين. فأما الرى المشهورة فإنى رأيتها، وهى مدينة عجيبة الحسن مبنية بالآجر المنمق المحكم اللمع بالزرقة. وإلى جانبها جبل مشرف عليها.. وكانت مدينة عظيمة خرب أكثرها.. وكان أهل المدينة ثلاث طوائف: شافعية وهم الأقل، وحنفية وهم الأكثر، وشيعه وهم السواد الأعظم.. وقد حكى الأصطخرى أنها

كانت أكبر من أصبهان لأنه قال: وليس بالجبال بعد الرى أكبر من أصبهان..". يا قوت الحموى: معجم، مج ٣، ص ص ١١٦-١١٧

(١٦٣) اليعقوبى: البلدان، ص ص ٢٢ - ٢٣.

(١٦٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٠٠.

(١٦٥) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٠٠.

(١٦٦) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ص ٥٠٠ - ٥٠١.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ص ١٧١ - ١٧٣.

(١٦٧)أورد ياقوت ".. وقال ابن طاهر: أبو بكر محمد بن عبد الله يعرف بقاضى العسكر وهو عسكر المهدى كان يتولى القضاء فيه، هذا أحد أصحاب الرأى، وهو ممن اشتهر بالاعتزال وكان يعد فى عقلاء الرجال".

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص١٢٤.

(١٦٨) ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص٤٦..

أورد ياقوت ".. وبلصقها محلة أبى حنيفة الإمام وبها قبره، وهناك محلة وسويق ويلاصقها دار الروم لم يبق شيء غير هذا، وفى هذه الرصافة يقول على بن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

.. وحدث جماعة من أهل هذه الرصافة.. وبرصافة بغداد مقابر جماعة الخلفاء من بنى العباس وعليهم تربة عظيمة بعمارة هائلة المنظر عليها هيبة وجلالة إذا رآها الرائى خشع قلبه، وعليها وقوف وخدم مرتبون للنظر فى مصالحها، وبها من الخلفاء الراضى بن المقتدر، وهو فى قبة مفردة فى ظاهر سور الرصافة وحده، وفى التربة قبر المستكفى والمطيع والطائع والقادر والقائم والمقتدى والمستظهر والمقتفى والمستنجد، وأما المستضيء فعليه تربة مفردة فى ظاهر محلة قصر عيسى بالجانب الغربى من بغداد معروفة، وقبر المعتضد والمكتفى والقاهر أبنية بدار طاهر بن الحسين وبها الملتقى أيضاً".

ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص ص ٤٦ - ٤٧.

والرصافة لغة كما أورد ياقوت "بضم أوله، مشهور إن لم يكن اشتقاقه من الرصف وهم ضم الشيء إلى الشيء كما يرصف البناء فلا أدرى ما اشتقاقه"

(١٦٩) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٧١.

(١٧٠) عيسى سلمان حميد: تخطيط المدن، (حضارة العراق)، جـ٩، ص٣٧.

(١٧١) طاهر العميد: القصور، (حضارة العراق)، جـ٩، ص١٥٣.

(١٧٢) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص ١٧٢ - ١٧٣.

(١٧٣)عيسى سلمان حميد: تخطيط المدن (حضارة العراق) جـ٩، ص ص ٣٧ – ٣٨.، طاهر العميد: القصور (حضارة العراق)، جـ٩، ص ص ١٥٣ - ١٥٤.

(١٧٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٦٨.

(١٧٥) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٢١.

(١٧٦) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٠٤.

(١٧٧) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٠٤.

القلنسوة: لباس للرأس مختلف الأنواع والأشكال جمعها قلانس، وقلانيس، وقلاس، وقلاسى". المعجم الوسيط، ص٧٥٤.

(١٧٨) البلاذرى: فتوح، ص٢٩١.، ابن خرداذبة (أبى القاسم عبد الله بن عبد الله) ت حوالى ٣٠٠هـ: المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص٧٣.

(١٧٩) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٠٦.

(١٨٠) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٨٢.

(١٨١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٠٧.

(١٨٢) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٨٤.

(١٨٣) شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص ص ٣٠٥ – ٣٠٦.، أحمد عبد الرازق أحمد: العمارة الإسلامية فى العصرين العباسى والفاطمى، القاهرة، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م، ص ص ٢٣ - ٢٤.

أنظر عن الرقة وقصورها:

Creswell: Ashort Account, pp 243-248, 270-275.

(١٨٤) ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص١٥.

(١٨٥) كمال الدين سامح: العمارة فى صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م، ص ص ٦٤ - ٦٥.

(١٨٦) أحمد عبد الرزاق: العمارة الإسلامية، ص ص ٢٧ - ٢٨.

(١٨٧) نص التجديد من ثمانية أسطر على النحو التالى "بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر

مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاه – ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين هذه البنية المباركة وتجديدها – وهى إحدى عشرة قنطرة وأركانها والجمالون.. الانفاق عليها من مال عبد الله الفقير – إلى رحمة الخاضع لهيبته المعضد بقوته المجاهد فى سبيله المرابط لأعداء دينه الملك العادل العالم الغازى – الزاهد المجاهد المرابط المؤيد المظفر المنصور نور الدين (ركن الإسلام) والمسلمين محى العدل فى العالمين – منصف المظلومين من الظالمين نصير الحق بالبراهين قاهر المشركين قامع الملحدين قاتل الكفرة والمشركين ـ أبو القاسم محمود بن أتابك زنكى من آق سنقر ناصر أمير المؤمنين تقبل الله أعماله وبلغه أماله وختم بالصالحات ـ وأقواله وأفعاله فى شهور سنة إحدى وستين وخمسمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله. أحمد فكرى: المدخل، ص٣٥.، أحمد عبد الرزاق: العمارة الإسلامية، ص ص ٢٩ – ٣٠.

(١٨٨) أحمد فكرى: المدخل، ص٢٣٥.، أحمد عبد الرزاق: العمارة، ص٢٨.، Creswell Ashort, p. 247.

(١٨٩) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ٢٣٦ – ٢٣٧.

(١٩٠) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٠٧.

(١٩١) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٨٤.

(١٩٢) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥١١، أنظر عن قصر الخلد: شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية، ص٢٨٨.

(١٩٣) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٩٠.

كان بإزاء قصر الخلد دار سكنى البرامكة فى الجانب الغربى من بغداد، وكانت للبرامكة عدة قصور بالجانب الشرقى، وشيد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك قصراً بالرصافة فى جوار الشماسية، وكان للفضل بن يحيى القصر الذى فى سويقة خالد بباب الشماسية واسمه قصر الطين، وقد خرب ولا يعرف له موضع.

شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص ٢٩٠ – ٢٩١.

(١٩٤) طاهر العميد: القصور (حضارة العراق)، جـ٩، ص١٥٢.

(١٩٥) شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص ٢٨٨ – ٢٨٩.

(١٩٦) البلاذرى: فتوح، ص٢٨٩.

(١٩٧) اليعقوبى: البلدان، ص١٨.

(١٩٨) الطبرى تاريخ، مج٤، ص٥١١.

(١٩٩) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٩٠.

(٢٠٠) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٤٤٨.

(٢٠١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥١٤.

(٢٠٢) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥١٥.

(٢٠٣) ياقوت الحموى: معجم، مج ٤، ص ٣٥٤.

(٢٠٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥١٧.

(٢٠٥) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٤٠.

(٢٠٦) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ص ٥٤٢ – ٥٤٦.

(٢٠٧) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٣٦١، مج ٥، ص ٣٢٠

(٢٠٨) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٣٥٤.

النجف: بالتحريك.. وهو بظهر الكوفة كالمسناة تمنع ميل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها.. وبالقرب من هذا الموقع قبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب، رضى الله عنه، وقد ذكرته الشعراء فى أشعارها فأكثرت..".

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٥، ص ٢٧١.

(٢٠٩) شريف يوسف: تاريخ فن، ص٢٨٩.

(٢١٠) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ٢، ص ص٢٩ – ٣٧.

(٢١١) سيس: ذكرها ياقوت الحموى سيسية، فقد أورد ما نصه "سيسية: وعامة أهلها يقولون سيسية: بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة وبها مسكن ابن ليون سلطان تلك الناحية الأرمنى. قال الواقدى: جلا أهل سيسة ولحقوا بأعالى الروم فى سنة ٩٤ أو ٩٣".

ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص ص ٢٩٧ – ٢٩٨.

(٢١٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ، جـ٢، ص ص ٣٨ – ٣٩.

(٢١٣) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٤٨.

(٢١٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ٢١٣.

(٢١٥) سجستان: بكسر أوله وثانيه.. وهى ناحية كبيرة وولاية واسعة، ذهب بعضهم إلى

أن سجستان اسم للناحية وأن اسم مدينتها زرنج.. وهى جنوبى هراة، وأرضها كلها رملة سبخة، والرياح فيها لا تسكن أبداً.. قال الاصطخرى: أرض سجستان سبخة ورمال حارة، بها نخيل، ولا يقع بها الثلج، وهى أرض سهلة لا يرى فيها جبل.. وبسجستان نخل كثير وتمر، وفى رجالهم عظم خلق وجلادة ويمشون فى أسواقهم وبأيديهم سيوف مشهورة، ويعتمون بثلاث عمائم وأربع كل واحدة لون ما بين أحمر وأصفر وأخضر وأبيض وغير ذلك من الألوان.. وهم فرس وليس بينهم من المذاهب غير الحنفية من الفقهاء إلا قليل نادر".

ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص١٩٠.

(٢١٦) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢١٣.

(٢١٧) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٤٨.

(٢١٨) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٥١.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢١٣.

(٢١٩) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٥٨، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ص ٢٢٠ - ٢٢١.

(٢٢٠) ابن الأثير: الكامل، مج٥، ص ٢١٦.

(٢٢١) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٢٢٢) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٢٢٣) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص ص ١٥٠ - ١٥٤.

(٢٢٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ص ٥٦٠ - ٥٦١.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ٢٢٦.

(٢٢٥) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٦١.

(٢٢٦) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ١٩٩-٢٠٠.

(٢٢٧) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٦١.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢٢٦.

(٢٢٨) طاهر العميد: الأخيضر ومظاهره العسكرية، العمارة العسكرية (حضارة العراق)، جـ٩، ص ص ٢٠٧ - ٢٠٨.، شريف يوسف: تاريخ فن العمارة العراقية فى مختلف العصور، ص٢٩٢.

كربلاء: بالمد: وهو الموضع الذى قتل فيه الحسين بن على، رضى الله عنه، فى طرف البرية عند الكوفة، فأما اشتقاقه فالكربلة رخاوة فى القدمين، يقال: جاء يمشى

مكربلاً، فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رخوة فسميت بذلك، ويقال: كربلت الحنطة إذا هذبتها ونقيتها.. فيجوز على هذا أن تكون هذه الأرض منقاة من الحصى والدغل فسميت بذلك".

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٤، ص ٤٤٥.

(٢٢٩) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربى الكوفة بقربها موضع يقال له شفاثا، منها يجلب العشب والتمر إلى سائر البلاد، وهو بها كثير جداً، وهى على طرف البرية، وهى قديمة افتتحها المسلمون فى أيام أبى بكر على يد خالد بن الوليد فى سنة ١٢ للهجرة، وكان فتحها عنوة..".

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص١٧٦.

(٢٣٠) عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية الإسلامية فى العراق (قصور ومشاهد)، جـ٢، ص١٦.، شريف يوسف: تاريخ فن العمارة، ص٣٠٣.

يذكر شريف يوسف أنه ثبت أن قصر الأخيضر بحدوده المؤشرة فى المخططة الجوية يعود لها أو من زمنها أو أنه شيد بعدها بقليل حينما ازدهرت المنطقة، لأن قصر الأخيضر لا يمكن أن يقوم وحده فى هذه المنطقة إلا وحوله مرافق سكن كثيرة تتبع له أو يتبع لها، وبعد هذا الاكتشاف الأثرى الواضح يرى المؤرخون أن لابد من إجراء مزيد من الحفائر الأثرية الواسعة فى منطقة الأخيضر، وبغير هذه الحفائر لا يمكن البت فى تاريخ الأخيضر على الوجه الدقيق.

شريف يوسف: تاريخ فن، ص٣٠٣.

(٢٣١) شريف يوسف: تاريخ فن العمارة، ص ص ٣٠١ - ٣٠٣.

(٢٣٢) عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية، جـ٢، ص ص ١٦ - ١٧.

(٢٣٣) حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ص ٢٢٦.، طاهر العميد: الأخيضر ومظاهره العسكرية، العمارة العسكرية، (حضارة العراق)، جـ٩، ص٢٠٧.

(٢٣٤) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ٢، ص١٧.

(٢٣٥) طاهر العميد: الأخيضر ومظاهره العسكرية، (حضارة العراق)، جـ٩، ص ٢٠٨.

(٢٣٦) شريف يوسف: تاريخ فن، ص٢٩٤.

(٢٣٧) عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية، جـ٢، ص٢٢.

(٢٣٨) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ٢، ص٢٢.، شريف يوسف: تاريخ فن، ص٢٩٤.

Cresweel: Ashort Account, p.250.

(٢٣٩) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ٢، ص٢٣.

(٢٤٠) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ٢، ص٢٣.

(٢٤١) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ٢، ص٣٤.

(٢٤٢) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ٢، ص ص ٣٧ - ٣٩.

(٢٤٣) أحمد فكرى: المدخل، ص٢٣٤.، عيسى سلمان وآخرون، العمارات، جـ١، ص ١٠٥.

(٢٤٤) عيسى سلمان وآخرون: العمارات، جـ١، ص ص ١٠٥ - ١٠٨.

(٢٤٥) عيسى سلمان: العمارات العربية، جـ٢، ص٣٩.

(٢٤٦) شريف يوسف: تاريخ فن، ص٣٠٤.

(٢٤٧) عيسى سلمان: العمارات، جـ٢، ص ص ٣٩ - ٤٣.

(٢٤٨) شريف يوسف: تاريخ فن، ص ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٢٤٩) شريف يوسف: تاريخ فن، ص٣٠٥.

(٢٥٠) عيسى سلمان: العمارات، جـ ٢، ص ص ٣٩-٤٣.

(٢٥١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٦٤، أنظر أيضًا: ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢٢٩، أورد الطبرى فى أحداث سنة ١٦٨هـ "وفيها ولى المهدى على بن يقطين ديوان زمام الأزمة على عمر بن بزيع.. ولم يكن لبنى أمية دواوين أزمة"، الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٨٢، أنظر أيضًا: حسن إبراهيم حسن: تاريخ، جـ ٢، ص ٢١٨.

(٢٥٢) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٦٤، أنظر أيضًا: ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ٢٢٩.

(٢٥٣) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٦٤، أنظر أيضًا: ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ٢٢٩.

(٢٥٤) ياقوت الحموى: معجم، مج٢، صص٢٢٧ـ٢٢٨.

(٢٥٥) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٧٠، أنظر أيضًا: شريف يوسف: تاريخ فن، ص ٢٩٠.

(٢٥٦) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، صص١٧٢ـ١٧٣.

(٢٥٧) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص١٠٠.

(٢٥٨) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة القصيم، ص١٤٧.

(٢٥٩) الطبرى: تاريخ، مج ٤، ص ٥٧٨.

(٢٦٠) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢٤١.

(٢٦١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٧٨، أنظر أيضًا: ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ٢٤٤.

(٢٦٢) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٨٠.

(٢٦٣) الطبرى: تاريخ، مـج٤، ص٥٨٠، أنظر أيضًا: ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ٢٤٧.

(٢٦٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص ص ٥٨٠ـ٥٨١.

(٢٦٥) ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص٢٤٨.

(٢٦٦) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص٦١.

(٢٦٧) ابن جبير: رحلة، ص ص ٧٦ـ٧٧.

(٢٦٨) ابن جبير: رحلة، ص٧٧.

(٢٦٩) ابن جبير: رحلة، ص٧٧.

(٢٧٠) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة مكة المكرمة، ص ص ١١٠ـ١١١.

(٢٧١) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة مكة المكرمة، ص ص ١١١ـ١١٤.

(٢٧٢) أحمد رجب محمد على: المسجد الحرام، ص٥٢.

(٢٧٣) أحمد رجب: المسجد الحرام، ص٥٢.

(٢٧٤) أحمد رجب: المسجد الحرام، ص ص ٥٢ـ٥٣.

(٢٧٥) أحمد رجب: المسجد الحرام، ص ص ٥٣ـ٥٤.

(٢٧٦) أحمد رجب، المسجد الحرام، ص ص ٥٤ـ٥٥.

(٢٧٧) أحمد رجب: المسجد الحرام، ص ص ٥٥ـ٥٦.

(٢٧٨) أحمد رجب: المسجد الحرام، ص٥٦.

(٢٧٩) أحمد رجب: المسجد الحرام، ص ص ٥٦ـ٥٧.

(٢٨٠) أحمد رجب: المسجد الحرام، ص٥٧.

(٢٨١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٨١.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢٤٨.

(٢٨٢) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٨٢.

(٢٨٣) اليمامة: منقول عن اسم طائر يقال له اليمام واحدته يمامة، وكان فتحها وقتل مسيلمة الكذاب فى أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه سنة ١٢ للهجرة.. وهى معدودة من نجد وقاعدتها حجر. وتسمى اليمامة جوًا والعروض. بفتح العين، وكان اسمها قديمًا جوًا فميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم".

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ص ٤٤١ـ٤٤٢.

(٢٨٤) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة الرياض (سلسلة آثار المملكة العربية السعودية)، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص ص ٥٦ـ٥٧.

(٢٨٥) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص ص ١٠٥ـ١٠٦

(٢٨٦) جرجان: بالضم ، وآخره نون.. مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، فبعض يعدها من هذه وبعض يعدها من هذه، وقيل: إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبى صفرة، وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين، قال الاصطخرى: أما جرجان فإنها أكبر مدينة بنواحيها.. وهى قطعتان: إحداهما المدينة والأخرى بكراباذ، وبينهما نهر كبير، ويرتفع منها الإبريسم وثياب الإبريسم ما يحمل إلى جميع الآفاق.. وليس بالمشرق بعد أن تجاوز العراق مدينة أجمع ولا أظهر حسنًا من جرجان على مقدارها.. وقد خرج منها رجال كثيرون موصوفون بالستر والسخاء، منهم: البرمكى صاحب المأمون،ونقودهم نقود طبرستان الدنانير والدراهم.. وقال مسعر.. وجرجان مدينة حسنة على واد عظيم فى ثغور بلدان السهل والجبل والبر والبحر".

ياقوت الحموى: معجم، مج٢، ص ص ١١٩ـ١٢٠.

(٢٨٧) طبرستان: بفتح أوله وثانيه، وكسر الراء، قد ذكرنا معنى الطبر قبله، واستان: الموضع أو الناحية، كأنه يقول: ناحية الطبر.. وهى بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم، خرج من نواحيها من لا يحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه.

والغالب على هذه النواحى الجبال، فمن أعيان بلدانها دهستان وجرجان واستراباذ وآمل، وهى قصبتها، وسارية، وهى مثلها، وشالوس وهى مقاربة لها، وربما عدت جرجان من خراسان إلى غير ذلك من البلدان، وطبرستان فى البلاد المعروفة بها زندران.. وهى بين الرى وقومس والبحر وبلاد الديلم والجبل، رأيت أطرافها وعاينت جبالها، وهى كثيرة المياه متهدلة الأشجار كثيرة الفواكه.. جاء الإسلام وفتحت المدن المتصلة بطبرستان.. فلما ولى السفاح وجه إليهم عاملًا فصالحوه على مال ثم غدروا وقتلوا المسلمين، وذلك فى خلافة المنصور..".

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص ١٣-١٥.

(٢٨٨) ما سبذان: بفتح السين والباء الموحدة، والذال معجمة، وآخره نون، وأصله ماه سبذان مضاف إلى اسم القمر.. قال مسعر.. وخرجنا من مرج القلعة إلى الطزر نعطف منها يمنة إلى ما سبذان ومهرجان قذق وهى مدن عدة، منها: أريوجان.. ومن هذه المدينة إلى الرذ، بالراء، عدة فراسخ، وبها قبر المهدى وليس له أثر إلا بناء قد تعفت رسومه ولم يبق منه إلا الآثار".

ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص٤١.

(٢٨٩) الطبرى: تاريخ مج٤، ص ص ٥٨٣-٥٩٣، ٥٩٥.

(٢٩٠) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ٢، ص ص ٣٩-٤١.

(٢٩١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ٢، ص٤١.

(٢٩٢) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٥٩٥.

(٢٩٣) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٠٤، أنظر أيضًا: ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص ٢٦٧.

(٢٩٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦١٧.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢٧٣.

(٢٩٥) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ٢، ص٤٥.

(٢٩٦) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة عسير، ص٧٨.

(٢٩٧) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة عسير، ص ص ١٠٨-١٠٩.

(٢٩٨) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة عسير، ص١١١.

(٢٩٩) أبهر: بالفتح ثم السكون وفتح الهاء وراء: يجوز أن يكون أصله فى اللغة من الأبهر، وهو عجس القوس، أو من البهر وهو الغلبة.. وأبهر، أيضًا، مدينة مشهورة

بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحى الجبل، والعجم يسمونها أوهر.. وأما فتحها، فإنه لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة، وجرير بن عبدالله البجلى همذان، والبراء بن عازب الرى، فى سنة أربع وعشرين فى أيام عثمان بن عفان، رضى الله عنه، وضم إليه جيشًا، فغزا أبهر، فسار البراء، ومعه حنظلة بن زيد.. حتى نزل على أبهر، فأقام على حصنها، وهو حصن منيع.. وينسب إليها كثير من العلماء والفقهاء المالكية وكانوا على رأى مالك بن أنس.. وأبهر أيضًا: بليدة من نواحى أصبهان ينسب إليها آخرون..".

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ص ٨٢ـ٨٣.

(٣٠٠) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص ٢٤٣ـ٢٤٤.

(٣٠١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ٢، ص ص ٤٥ـ٤٦.

(٣٠٢) قنسرين: بكسر أوله.. فى جبلها مشهد يقال إنه قبر صالح النبى عليه السلام.. وكان فتح قنسرين على يد أبى عبيدة بن الجراح، رضى الله عنه، فى سنة ١٧ ،وكانت حمص وقنسرين شيئًا واحدًا.. وقال أبو المنذر: سميت قنسرين لأن ميسرة بن مسروق العيسى مر عليها فلما نظر إليها قال: ما هذه؟ قسميت له بالرومية، فقال: والله لكأنها قن نسر، فسميت قنسرين..".

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٤٠٣.

(٣٠٣) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٢٠.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢٧٥.

(٣٠٤) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٢٠.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢٧٥.

(٣٠٥) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٢٨.

(٣٠٦) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٢٢.

(٣٠٧) ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص١٠١.

(٣٠٨) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٢٥.

(٣٠٩) ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص٣٢١.

(٣١٠) ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص٣٢٧.

(٣١١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٢٥.

(٣١٢) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٢٦.

(٣١٣) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص١٠٨.

(٣١٤) أحمد فكرى: المدخل، ص ص ٦٩ـ٧٠.

(٣١٥) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٣٦.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٣٠٣.

(٣١٦) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٣٧.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٣٠٧.

(٣١٧) المعجم الوسيط، ص٣٢٣.

(٣١٨) سورة آل عمران، الآية (٢٠٠).

(٣١٩) سورة الأنفال، الآية (٦٠).

(٣٢٠) حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص ص ١٦٩ـ١٧٠.

(٣٢١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٤٤.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٣٠٢.

(٣٢٢) البكرى: المسالك، جـ٢، ص٦٩٢.

(٣٢٣) ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص٣٠٢.

(٣٢٤) المهدية: بالفتح ثم السكون.. وهذه المدينة بإفريقية منسوبة إلى المهدى.. والثياب السوسية المهدوية إليها تنسب، وقد اختطها المهدى، واختلف فى نسبه.. وهى على ساحل بحر الروم داخلة فيه ككف على رند، عليها سور عالٍ محكم كأعظم ما يكون يمشى عليه فارسان، عليها باب من حديد مصمت مصراع واحد تأنق المهدى فى عمله".

ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ص ٢٢٩ـ٢٣٠.

(٣٢٥) سوسة: بضم أوله.. قال أبو سعد: سوسة بلد بالمغرب، وهى مدينة عظيمة بها قوم لون الحنطة يضرب إلى الصفرة، ومن السوسة يخرج إلى السوس الأقصى على ساحل البحر المحيط بالدنيا، فمن السوس الأقصى إلى القيروان.. ومن القيروان إلى أطرابلس.. ومن أطرابلس إلى مصر.. وفيه تخليط، والصحيح أن سوسة مدينة صغيرة بنواحى إفريقية.. أكثر أهلها حاكة ينسجون الثياب السوسية الرفيعة.. وقيل.. وهى مدينة قد أحاط بها البحر من ثلاث نواح: من الشمال والجنوب والشرق..".

ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص ص ٢٨١ـ٢٨٢.

(٣٢٦) أورد ياقوت الحموى عند ذكره سوسة ما نصه: ".. وخارج سوسة محارس ومرابط ومجامع للصالحين، وداخلها محرس عظيم كالمدينة مسور بسور متقن يعرف بمحرس الرباط يأوى إليه الصالحون والعباد، وقيل: داخلها محرس آخر

عظيم يسمى محرس القصب وهو متصل بدار الصناعة.. ومن محارس سوسة المذكورة المنستير..".

ياقوت الحموى: معجم، مج ٣، ص ٢٨٣.

(٣٢٧) القيروان: قال الأزهرى: القيروان معرب وهو بالفارسية كاروان، وقد تكلمت به العرب قديمًا.. وهذه مدينة عظيمة بإفريقية.. وليس بالغرب مدينة أجل منها.. وهى مدينة مصرت فى الإسلام فى أيام معاوية، رضى الله عنه، وكان من حديث تمصيرها ما ذكره جماعة كثيرة من أهل السير، قالوا: عزل معاوية بن أبى سفيان معاوية بن حديج الكندى عن إفريقية واقتصر به على ولاية مصر وولى إفريقية عقبة بن نافع.. وكان مقيمًا بنواحى برقة وزويلة منذ ولاية عمرو بن العاص له.. وسار إلى إفريقية.. وقال: إن أهل هذه البلاد قوم لا خلاق لهم، إذا عضهم السيف أسلموا وإذا رجع المسلمون عنهم عادوا إلى عادتهم ودينهم.. ولست أرى نزول المسلمين بين أظهرهم رأيًا، وقد رأيت أن أبنى ههنا مدينة يسكنها المسلمون، فاستصوبوا رأيه فجاؤوا إلى موضع القيروان وهى فى طرف البر..". ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٤٢٠.

(٣٢٨) ياقوت الحموى: معجم، مج ٥، ص ص ٢٠٩ ـ ٢١٠.

(٣٢٩)حسن الباشا: مدخل، ص ص ١٧٠ـ١٧١، Creswell: A short Account, pp.288-289.

(٣٣٠) ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ص ٢١٦ـ٢١٧.

(٣٣١) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٢٥.

(٣٣٢) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٤٤.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٣١٤.

(٣٣٣) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٤٤.

(٣٣٤) ياقوت الحموى: معجم، مج٢، ص ص ٣٢٨ـ٣٢٩.

(٣٣٥) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٣١٦.

(٣٣٦) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص ١٧٧ـ١٧٨.

(٣٣٧) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٤٦.

(٣٣٨) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٤٨، أنظر أيضًا: شريف عبد الوهاب السيد محمد: منشآت الأغالبة فى إفريقية "العمائر الدينية"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة

الإسكندرية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧ م، ص ص ٣٣-٣٦.

(٣٣٩) ابن الأثير: الكامل، مج٥، ص٣١٨.

(٣٤٠) ابن عذارى المراكشى: البيان المغرب فى تاريخ وحلى المغرب، دار الثقافة، جـ١، ص٩٢.

(٣٤١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ، جـ٢، ص١٨٠، شريف عبد الوهاب: منشآت الأغالبة، ص ٣٦.

(٣٤٢) البكرى (أبى عبيد) ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٧م: المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م، جـ٢، ص ٦٨٠.

(٣٤٣) ابن الأثير: الكامل، مج٥، ص٣١٨.

(٣٤٤) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٧٥.

(٣٤٥) ابن عذارى المراكشى: البيان المغرب، جـ١، ص ص ٩٢ـ٩٣.

(٣٤٦) ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٣١٩.

(٣٤٧) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٤٩.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٣٣٩.

(٣٤٨) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٥٧.، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٣٤٨.

(٣٤٩) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٦٥.، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٣٦٢.

(٣٥٠) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٧٦.، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٣٧٣.

(٣٥١) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٦٧٧.، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ص٣٧١ ـ ٣٧٢، ٣٧٣.

(٣٥٢) ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ص٣٩٨ـ٣٩٩.

(٣٥٣) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص٤٥ـ٤٦.

(٣٥٤) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة عسير، ص٧٨.

(٣٥٥) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص٣.

(٣٥٦) الطبرى: تاريخ، مج٤، ص٣.، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٣٨٠

(٣٥٧) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ص٣٨٠ ـ ٣٨١.

(٣٥٨) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٢٨.

(٣٥٩) الطبرى: تاريخ، مج٥، ص ص١٤ ـ ٢٦.، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ٣٩٥.
(٣٦٠) ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص٣٥٤.
(٣٦١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، ص ص٤٦ـ ٥٥.
(٣٦٢) ياقوت الحموى: معجم، مج ٤، ص ص ٣٤٢-٣٤٣.
(٣٦٣) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة مكة المكرمة، ص ص ٩٦-٩٩، آثار منطقة المدينة المنورة، ص ص ١٠٤-١٠٨، ١١١-١١٢، ١٢٥.
(٣٦٤) هناك دراسات قائمة الآن لإعادة استخدام مجارى عين زبيدة، أو أجزاء منها.

- مزيد من التفاصيل أنظر:

وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة مكة المكرمة، ص ص ١٠٣-١٠٥.

(٣٦٥) طوس: ذكرها ياقوت الحموى فقال "طوس.. مدينة بخراسان.. تشتمل على بلدتين يقال لإحداهما الطابران وللأخرى نوقان ولهما أكثر من ألف قرية فتحت فى أيام عثمان بن عفان، رضى الله عنه، وبها قبر على بن موسى الرضا وبها أيضًا قبر هارون الرشيد، وقال مسمر.. وطوس أربع مدن منها اثنتان كبيرتان واثنتان صغيرتان، وبها آثار أبنية إسلامية جليلة، وبها دار حميد بن قحطبة، ومساحتها ميل فى مثله، وفى بعض بساتينها قبر على بن موسى الرضا وقبر الرشيد، وبينها وبين نيسابور قصر هائل عظيم محكم البنيان لم أر مثله علو جدران وإحكام بنيان، وفى داخله مقاصير تتحير فى حسنها الأوهام وآزاج وأروقة وخزائن وحجر للخلوة، وسألت عن أمره فوجدت أهل البلد مجمعين على أنه من بناء بعض التبابعة..".
ياقوت الحموى: معجم، مج ٤، ص ٤٩.
(٣٦٦) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ ٢، ص ٥٦.
(٣٦٧) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ٤١.، ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ٤١١.
(٣٦٨) وكالة الآثار والمتاحف: أثار منطقة المدينة المنورة، ص ١٣٧.
(٣٦٩) الكندى: تاريخ ولاة مصر، ص ص ١١٧-١١٨.
(٣٧٠) ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ص ٣٢٠، ٤٣٦.
(٣٧١) ورد ذكر قصر القرار أيضًا عند الطبرى بقوله ".. يقصر أم جعفر المعروف بالقرار".

الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ص ٩٢، ١١٢.، ابن الأثير: الكامل، جـ ٥، ص ٤٤٥.

(٣٧٢) ياقوت الحموى: معجم، مج ٣، ص ٢٩٧.

الذعار: (الذاعر): الخائف والفزع. وفى الحديث: "لايزال الشيطان ذاعرًا من المؤمن". ويقال: رجل ذاعر: ذو عيوب. (ج) ذعار".

إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ص ٣١٢.

(٣٧٣) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ ٢، ص ٥٦.

(٣٧٤) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ ٢، ص ٥٧.

(٣٧٥) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ ٢، ص ٥٧.

(٣٧٦) همذان: بالتحريك.. قال هشام... سميت بهمذان بن الفلوج بن سام بن نوح، عليه السلام، وهمذان وأصبهان أخوان بنى كل واحد منهما بلدة.. ووجد فى بعض كتب السريانيين فى أخبار الملوك والبلدان: إن الذى بنى همذان يقال له كرميس بن حليمون، وذكر بعض علماء الفرس أن اسم همذان إنما كان نادمه ومعناه المحبوبة.. كان فتح همذان فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من مقتل عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، وكان الذى فتحها المغيرة بن شعبة فى سنة ٢٤ من الهجرة.. وهو عامل عمر بن الخطاب على الكوفة.. وقال بعض علماء الفرس: كان همذان أكبر مدينة بالجبال.. وذكر أيضًا بعض مشايخ همذان أنها أعتق مدينة بالجبل، واستدلوا على ذلك من بقية بناء قديم باقٍ إلى الآن.. قال المؤلف: ولا شك عند كل من شاهد همذان بأنها من أحسن البلاد وأنزهها وأطيبها وأرفهها ومازالت محلاً للملوك ومعدنًا لأهل الدين والفضل إلا أن شتاءها مفرط البرد..".

ياقوت الحموى: معجم، مج ٥، ص ص ٤١٠-٤١٢.

(٣٧٧) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ ٢، ص ٥٨.

(٣٧٨) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ١٢١.

(٣٧٩) الطبرى: تاريخ، مج ٥، ص ص ١٢٧-١٢٨.

(٣٨٠) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة القصيم، ص ١٢٢ .

(٣٨١) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة القصيم، ص ص ١٢٢-١٢٥.

(٣٨٢) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة القصيم، ص ص ١٢٦-١٣٤.

(٣٨٣) وكالة الآثار والمتاحف: آثار منطقة القصيم، ص ١٣٥.